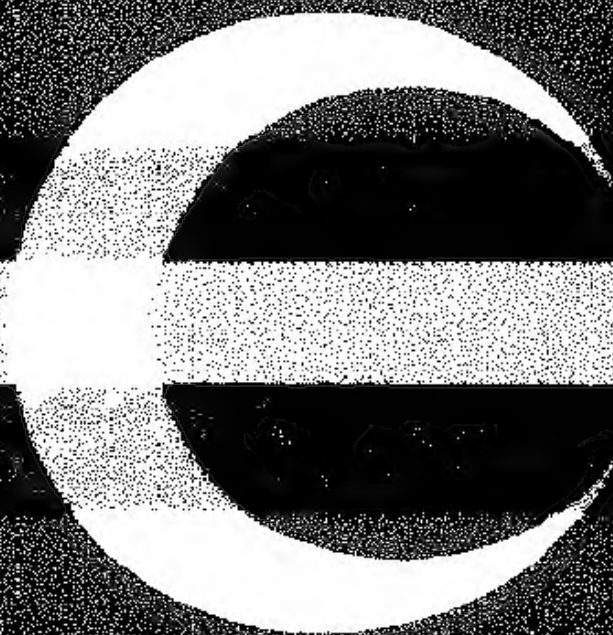


دور الأزهرف السودان



محمد سليمان



تذكرة الأئمة في السيرة

محمد سليمان



الهيئة العامة للكتاب

١٩٨٥

الاخراج الفنى : كادل اشعيا
تصميم الغلاف : أسامة سعيد

تقديم

يرجع الفضل في كتابة هذه الدراسة التسجيلية إلى الصديق
الفاضل الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف الأسبق في مصر وكنت
آنذاك سفيرا لبلادي لديها وكان الحديث قد دار بيننا حول الأزهر الشريف
ودوره البناء في نشر العلم والثقافة الإسلامية وتمنى الصديق العلامة أن
يرى في كل قطر عربي دراسة عن دور الأزهر وأثره فيه .

وللحقيقة فإن للأزهر ومنتخبيه على السودان وغيره من البلاد ديننا
في الأعناق ونحن في السودان نعترف بذلك الفضل ونحفظ له ولمصر
بكثير من الامتنان تلك اليه البيضاء والمأثرة الحميدة . فمنه تخرج ذلك
النصر الكريم من السودانيين الذين عملوا جنبا إلى جنب مع انصوائهم العلماء
المصريين في نشر التعليم الديني النظامي وشريعة الاسلام السمحاء ونسان
العرب والحضارة العربية الاسلامية ووفاء وعرفانا لهؤلاء وأولئك العلماء
الكرام نقلم ونهني هذه الدراسة التسجيلية الموجزة .

انه من حق أبنائنا وأحفادنا ومن حق الأمة العربية والاسلامية
التعرف الى هذا السجل لادراك ما قدمه أولئك النصر من العلماء وما أسدوه
من جميل للسودان وللأمة العربية جميعاء .

جزاهم الله عن أهل السودان قاطبة كل خير ، وطيب ترى من رحلوا
منهم الى الدار الباقية .

الخروطوم في فبراير ١٩٨٤ م

الؤلف

● العرب ووادي النيل

من قديم وقيل ظهور الاسلام كان العرب على صلة بوادي النيل وكان البحر الاحمر قناة تلك الصلة في جنوبه ميناء سواكن وفي شماله برزخ السويس ، وقد أنشأ العرب محطات تجارية هناك ومنهم من أقام وتزاوج مع السكان المحليين وبلغت هجرات العرب مداها في عهد مملكتي معين وسبأ قبل الميلاد بنحو سبعة قرون وكذلك نشطت حركة التجارة بين العرب وأفريقيا في زمن البطالة والرومان وتوالت هجراتهم نحو أفريقيا من جنوب شرق الجزيرة خاصة بني حمر في القرنين السابقين للميلاد . وقامت دولتا الحبشة واكسوم نتاجا لتلك الهجرات وذلك التمازج واستمر العرب المهاجرون يتجهون نحو قلب القارة وتابع بعضهم نهر عطبرة أحد روافد النيل الى أرض النوبة .

ولكن ظل طريق برزخ السويس هو الطريق الرئيسي الذي تدفقت عبره القبائل العربية نحو وادي النيل غير ان دخول العرب في السودان قبل الاسلام لم تترتب عليه آثار عميقة اذ انحصر وجودهم أغلب الظن في الجزء الشرقي ولم يضيفوا شيئا جديدا للحياة في تلك المنطقة لا من الناحية الثقافية ولا من حيث تغيير الخصائص الانثروبولوجية والاثنية على السكان المحليين .

ولكن بعد ظهور الاسلام وخاصة بعد فتح مصر تدفقت القبائل العربية نحو أفريقيا وأحدثت تغييرات هامة في وادي النيل وشمال أفريقيا على وجه الخصوص مما أدى الى ارتباط تاريخ تلك البقاع السياسي والفكري والاجتماعي منذ ذلك الوقت ببقية الوطن العربي .

كان فتح مصر يمثل إحدى طلائع الهجرات الكبرى التي انحدرت

من الجزيرة العربية الى أفريقيا عبر برزخ السويس وأخذت تهيبط أرض مصر الطيبة تحمل معها رسالتها الجديدة ولسانها العربي وتوالت وفادة القبائل العربية وتواترت هجراتهم لمصر بغرض تمزيق الجند أو الاستيطان وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد منع أولئك المهاجرين من الاشتغال بالزراعة وحرّم عليهم تملك الأراضي وألا تعنى بغير السياسة والحكم والحرب .

اتخذ العرب من مصر قاعدة لمزيد من الفتوحات والتوسع جنوبا وغربا بل وشمالا عبر البحر الأبيض المتوسط فكانت الجيوش تخرج منها اما لتأمين حدودها وطرق تجارتها مثل تلك المحاصيل التي خرجت لفتح النوبة جنوبا وبرقة أو لغزو غرب أفريقيا في عهدي عثمان بن عفان ومعاوية .

لم تكن هذه الموجة العربية الكبرى التي جاءت مع الاسلام كسابق الموجات العربية التي خرجت لتتشد أرضا جديدة وتستبدل بقعة بأخرى أو مدفوعة برداءة الاحوال أو كثافة السكان أو هربا من خطر معين ولكنها كانت موجات تحمل مفاهيم وقيما وانماطا للحياة جديدة والقرآن الكريم ينادى فيهم « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » .

وانها لم تكن موجات جزئية متقطعة كحال الهجرات العربية الاولى التي كانت تقتصر على جزء معين من وادي النيل أو ما بين النهرين أو على اطراف العراق والشام ولذلك كان أثرها عظيما على كل ما يسمى الآن بالوطن العربي حيث أضحي وحدة كاملة ... لقد قضت الموجات العربية العارمة على الحضارات السابقة الهلينية والرومانية التي كانت تسود في تلك المنطقة وصهرتها في بوتقة واحدة مما أدى الى انحسار ثم اندثار اللغات اليونانية واللاتينية والآرامية والسريانية تباعا والتي كان يتكلمها السكان هناك وأصبحت اللغة العربية لغة البلاد ليومنا هذا .

لقد دانت اجزاء كثيرة من اطراف البسيطة للعرب منذ عهد معاوية تخضعت لهم البلاد الواقعة من سواحل الاطلس الى غربا الى بلاد الصين شرقا ومن جبال القوقاز شمالا الى خط الاستواء جنوبا ودخلت الاسلام شعوب كثيرة مثل السريان والكلدان والفرس واليونان والقتار والترك والبربر وغيرهم ، ويلاحظ ان العرب كونوا آنذاك طبقة ارسقراطية ارادت ان تخضع تلك الشعوب المحكومة من أمسل الذمة بتوفير أسباب العيش والراحة ليا ورأى أولئك في الحكام العرب ملوكا لا خلفاء يسرون بهم على

نهج الاسلام بل اعادوا لهم نظام الحكم (١) الكسروي والقيصري وقلب بعض خلفاء بني أمية الحكم الى ملك عضوض كما يقول الجاحظ .

واستولى العباسيون على الحكم اثر ثورة عامة استجاب لها السكان وخاصة الموالي والمحرومين وكانت بالفعل ثورة ولم تكن مجرد تقويض حكم وذوال سيطرة أسرة واستبدالها بأخرى بل كانت نقطة تحول في تاريخ الاسلام غير أن الدولة العباسية نفسها لم تغير من أحوال المسلمين والرعايا المحرومين شسيتها يذكر فكانت بمثابة تغيير خليفة بخليفة ولهذا قامت الثورات هنا وهناك في الامبراطورية الاسلامية في مصر وفي المغرب العربي وكانت ثورة الزنج والقرامطة بل بدأت الثورة منذ قيام الدولة العباسية والتي كان على رأس ضحاياها أبو مسلم الخراساني القائد الذي قاد العباسيين الى النصر .

لقد أسهم المسلمون (٢) من غير العرب مساهمة فاقت مساهمة العرب في بناء الامبراطورية الاسلامية واثراء الحضارة الاسلامية فقد نشر الأتراك أولوية الاسلام في آسيا والهند والصين وفي أوروبا أيضا والبربر في شمال أفريقيا والاندلس وكذلك فعل الفرس وغيرهم وكان الخلفاء العباسيون يستعينون بهم وخاصة الموالي منهم في الدفاع عنهم والحفاظ على ملكهم غير أنه على أيديهم تقطعت أوصال الدولة الاسلامية حيث استقل الولاة بمقاطعاتهم وأقاموا دويلات لهم .

الدولة الفاطمية :

على أن أقوى تلك الدويلات الاسلامية التي انسلخت من جسم الدولة العباسية وأخطرها أتراك هي الدولة الفاطمية (نسبة الى السيدة فاطمة الزهراء) في عام ٢٩٧ هـ - ٥٦٧ هـ الموافق ٩٦٩ م - ١١٧١ م) في المغرب على يد داعيتها ومؤسسها عبيد الله المهدي - جد المعز لدين الله -

كان قيام الدولة الفاطمية في المغرب انتصارا للدعوة السرية القرمطية التي تأثر دعاؤها منذ قيام الدولة العباسية بالفلسفات اليونانية والفارسية والهندية فكانوا أول الدعاة للجمهورية الاسلامية والاشتراكية الاسلامية - لقد كانت دعوة فكرية وفلسفية اتخذت أسلوب الخلايا السرية وتجنيد من سموهم بالمحرومين والمظلومين ووجدوا في سلوك العديد من

(١) الاسلام والحضارة - معهد كرد على صفحة ١٩٦ .

(٢) التمدن الاسلامي - الجزء الرابع - صفحة ٢٠٤ هامش - جرجي زيدان .

الخلفاء العباسيين مادة للتنديد بهم وإثارة الطبقات المحرومة من المسلمين
ضدهم وكانت أعمال قادة الدعوة القرمطية ضد خلفاء بني العباس لا تخلو
من العمل الإرهابي والاعتقالات الأمر الذي دفع الدعوة الثورية إلى
الخروج منهم والتبرؤ من أعمالهم مع التمسك بنهجهم الفلسفي في الحكم
واقامة العدالة الاجتماعية في إطار إسلامي ويقال أن الدعسوة الفاطمية
انسلخت عن الدعوة القرمطية وكذلك نجد أن معظم الدعوات الفكرية
الإسلامية ذات الطبيعة الفلسفية والصوفية قد نشأت وتفرعت من الدعوة
القرمطية فظهرت الدعوة الشيعية بمنهجها وأسلوبها وكذلك خرجت
منهم الدعوة الصوفية الخ . . ودليلنا على ذلك وجود المراتب القيادية التي
تكاد تكون واحدة بينهم كالامام والسيد والشيخ والمقدم وحجة الإسلام
والباب العالي الخ . .

لقد لقي دعاة تلك الدعوة السرية التي كانت تعمل في الخفاء قهرا
وتنكيلا وصلبا زهاء القرنين من الزمان على يد الحكام الأمويين والعباسيين
وخاصة في عهد المنصور والرشيد والتركلي وأحمد بن طولون في مصر
(٢٥٤ هـ) ومع ذلك واصل أولئك الدعاة دعوتهم وتوجهوا شرقا وغربا
إلى أطراف الدولة الإسلامية في صبر وإناة حتى كملت بالنجاح .

وفي عهد السلطان المعز لدين الله الخليفة الرابع دخل جوهر الصقلي
عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م مصر منتزعا الحكم من الإخشيديين وكان يقود جيشا
لجبا وصفه ابن هاني الأندلسي الشاعر الشيعي الذي يضعونه في مرتبة
المتنبي في الشرق بقوله عند خروجه من القيروان : -

فقد ضرعت حتى الرواسي لما رأت
فكيف قلوب الانس والانس اجزع
فلا عسكر من قبل عسكر جوهر
تغيب المطايا فيه عشرا وتوضع
تسير الجبال الجامدات لسييره
وتسجد من أدنى الخفيف وترقع
إذا حل في أرض بناها مدائننا
وإن سار عن أرض ثوث وهي بلقع

واختطف جوهر مدينة القاهرة لتصبح عاصمة ملكهم وخلافتهم وانتقل
إليها المعز لدين الله من المغرب بعد أربع سنوات من دخول قائده جوهر

وبعد أن اكتمل بناؤها وبوطينت دعائم حكمهم سار المعز في موكب ضخم ليس كوال أو حاكم فقط وإنما كإمام ديني أيضا كعهده الشيعة وبطريهم إلى الإمام -

وكان القائد جوهر قد وضع أساس مسجد كبير في القاهرة في اليوم الرابع عشر من رمضان عام ١٥٩ هـ الموافق لعام ٩٧١ م واستمر بناؤه زهاء العامين وأقيم فيه الصلاة لأول مرة في السابع من شهر رمضان ٣٦٠ هـ الموافق الثاني والعشرين من يونيو عام ٩٧١ م وهو ما عرف بالجامع الأزهر الشريف . إن اهتمام الولا المسلمين ببناء مساجد إنما يعود لأنها ليست أماكن للعبادة وحسب وإنما للدرس والمحصن ولإحياء سياسية واجتماعية أيضا إذ ليس ثمة فصل في الإسلام بين السياسة والدين ، لقد كان هناك المسجد الحرام أو البيت الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى وما حرج المسلمون في مداخلهم المعروفة كتب الخليفة (١) عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في الصحراء إلى سعد ابن أبي وقاص في الكوفة وعمرو بن العاص في مصر بأن يبنوا مساجد تجمع فيها المسلمون كما كتب إلى أمراء أحياء الشام أن تبنوا في كل مدينة مسجدا .

كانت مصر تمثل مجتمعاً راقياً متديناً صقلته التحارب وعركته الأحداث الدينية والفكر وتمازجت فيه الحضارات وقد نبأت مصر (٢) مركزاً ممتازاً في الدولة الإسلامية وكان أعضاء المسلمون يولونها اهتمامهم الخاص فقامت حركات دينية واسعة كان مركزها جامع عمرو بن العاص وأصبحت القسطنطينية حقله طويلة من الزمن قبل الحركة الإسلامية في مصر حيث كانت تعقد فيها حلقات الدراسة والمناقشة وما يشبه الصالونات الأدبية اليوم وكان يسهم فيها العلماء المصريون والوافدون التي بقصدونها من البلاد العربية الأخرى .

لم يسرح العاطميون ندع الأزهر إلى غاية (٣) التي من أجلها أنشئ وهي الدعوة إلى الفقه الشيعي ومناقشة حلقات الدراسة الكبرى التي كانت تعقد في جامع عمرو بن العاص وابن طولون بل اكتفوا بجعله مسجداً رسمياً يقوم في عاصمة ملكهم الجديدة وتلقى من فوق مسرة حلقة الجمعة

(١) الأزهر - تاريخه وتطوره - الأوقاف صفحة ١١٦ .

(٢) مصر في عصر الإسلام - سيدته كاشف صفحة ٣٣٦ .

(٣) الأزهر - تاريخه وتطوره - الأوقاف صفحة ٢٠٨ .

التي كانت بمثابة برنامج الدولة الرسمي وفصروا دعايتهم والدعسوه
لدهبهم وعمايتهم السياسية في محاليس خاصة .

وبعد أن توطدت دعائم حكمهم واستتب لهم الأمر في مصر استأثر
الأزهر برعايه الدولة حيث اهتم به الخلفاء العاطميون اهتماما بالغا وبعد
أقل من عشرين عاما وفي عهد الخليفة العزيز بالله فتحت أبواب الأزهر
لدراسة العلوم الدينية والعقلية التي تقوم على أساس الفقه الشيعي
واستقبلوا له حرمه فقهاء وعلماء الدعوة الشيعية وفصائها وأعذفوا عنهم
المال والعطايا ونقبوا الى الجامع الأزهر كثيرا (١) من الكتب من مختلف
الخرائن وشجعوا طلاب العلم من اسلاف الاسلامية الاخرى أسوة بالمشريين
للاستحقاق به وكانوا بين الوقت والآخر يخرجون توسعا في مناهيه لدراسة
واروفة للطلاب ودورا بجماعة الاسانسة والفقهاء وخصصوا أموالا ثاقته
للاطلاع على الجامع الأزهر كما أسهم رجال الدولة والأمراء وأهل البر
في تخصيص جزء من أموالهم لسقف على الأزهر وعلى الطلاب وبعد ذلك
الوقت وسبحة لذلك الاهتمام ارتبط اسم الأزهر برسالة العلم وأصبح
مبارة علمية كبرى وجامعة عظمى وظل يحافظ على رسالته هذه على مر
السنين وفي يومنا هذا - ويكفي الدولة العاطمية فخر انها شيدت الأزهر
وأشأت دار الحكمة

لقد أصبحت القاهرة بفضل الدولة العاطمية قصبة لدخاوة الاسلامة
ومركزا رئيسيا لها ومهما قيل عن ذلك العهد فقد كان عهدا ازدهرت فيه
انعماره والعنون وجعل بمحتنع علمي مع نه أعلام وعلماء في الفقهية
والفلسفة واللغة والرياضيات والهندسة وغيرها ، حيث لفوا الاحترام ،
والعامنة الكرسة من قبل لحكم . لقد استطاع ذلك العهد تحقيق كل
ذلك بعض ما انعموه في سياسة داخلية انسيب بالعدل والحسنة بعد
عرضوا التمتع باليسعيرة وراحموا استعمال الموازين في الأسواق وأدخلوا
النجد الادبي عن الأهور لبطفت الفعيرة في الأسواق وفي انباء - وحددوا
ملكه الاراضي وعبرها من التشريعات التي كسقت في كثير من الاحيان
لصحة المستصمق من الناس .

وعندما دالت دولة العاطميين على يد صلاح الدين الايوبي (٥٦٧ هـ
- ٦٤٨ هـ الموافق ١١٧١ م - ١٢٥٠ م) عادت مصر للانحاء السني وأحد
صلاح الدين على صفة ارالة كل مطهر من مظاهر التشيع ولم ير في

(١) القريوى - شطط ٢ من ٢٧٥/٢٧٣ -

الجامع الأزهر إلا سبوا للدعاية العاطفية والدعوة الشيعية فاصبلت الدراسة فيه وعطل نشاطه وتواضع شأنه ولم يكن كسابق عهده وبالعزم من ذلك ظلت أبوابه مفتوحة تدرس العقيدة السنية على المذاهب الأربعة وفي آخر حكم الأيوبيين كان الأزهر مسرحا لنشاط بعض اعلام الفكر والأدب .

لكن الأزهر بعث من جديد في عهد المماليك (٦٤٨ هـ - ٩٢٢ هـ - الموافق ١٢٥٠ م - ١٥١٧ م) والذي دام ما يقارب اثنتي عشرة عام وعادت اليه سرلته العالية وأصبح جامعة إسلامية عظيمة وفي ذلك العهد انقصر المعول على تعداد في الشرق وأحدثوا بها وبنائها وكنبها ما هو معروف في التاريخ وفي المغرب العربي كانت دولان العرب تنهال قلاعها وتسقط الاندلس وتركزت آمال المسلمين في مصر وأصبحت قبلة للعلماء والعقهاء والتارحين اليها وكعادتها أفسحت لهم صدرها وآوتهم في حبان ورفق وأخذ أولئك العلماء الوافدون يتعاونون مع رصفائهم المصريين في حمل رسالة العلم في الأزهر المعمور وفي معاهد مصر الأخرى ، وقد وصف العلامة ابن خلدون (٧٣٢ هـ - ٨٠٨ هـ - الموافق ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) مصر آنذاك وهو أحد العلماء العظماء الذين وفدوا اليها وتولوا التدريس في الأزهر بقوله « لا أولر (١) اليوم في الحصاره من مصر فهي أم العالم وايوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع .. » .

ولكن بعد تلك الحقبة العنية من النشاط الفكري والروحي الذي حققه الأزهر ران عليه الجمود وأصابه العقم بعد أن حتم الابرار العثمانيون على صدر مصر (٩٢٢ هـ - ١٢٥٠ هـ الموافق ١٥١٧ م - ١٨٠٥ م) فقد عمدوا الى اضعاف مرلة مصر ليجعلوا من مدينتهم اسطنبول قبلة للعالم الاسلامي وليسهل لهم حكم المسلمين فقبض السلطان العثماني سليم على أكابر مصر وقضائها ورجال المهن والفنون ويمت بهم الى اسطنبول وحرب مساجد مصر وانتزع مائسها وكنورها وما كانت ترحر به من كتب ومخطوطات وأرسلها لسلاطه - بعد كان احتلال العثمانيين (٢) لمصر والسلاط الاسلاميه تكتب ومحنة بل وتقوصا للمدنية الاسلامية -

(١) ابن خلدون - المقدمة - صفحة ٢٨٦ .

(٢) م . عبد الله عيان - مصر الاسلامية ٢٠٩ .

نجح الأتراك العثمانيون في مهمتهم ولم يعد مصر كما كانت عليه عظمه الجاه سامقة المكاثرة حيث فقدت أهميتها السياسية والاجتماعية وأغلقت مدارس الفكر والعلم الأخرى ولكن بقي بصيص (١) من الدور يشع من الأزهر الشريف استطاع به أن يحفظ اللغة العربية والعلوم الإسلامية وبذلك حمى هذا التراث العظيم في وجه المتربصين به .

ولكن الأيام دول .

فقد دالت دولة الأتراك وولايهم من الممالك وكذلك خرج «بيليون وجيشه الغاري من مصر مذبذوما مذخورا بمصر سياسك المصريين ووعدهم وراء رعاء الأزهر ونولي محمد علي باشا الحكم بعد أن احساره شيوخ الأزهر والبا على مصر .

كان محمد علي باشا وأسرته من بعده يسيطرون الى الأزهر كمؤسسة مصرية مصرية الجاه وقد عاد عنصرها عاما في السياسة والشئون العامة وكانوا يسعون لضعاف نفوذ ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ولكنهم كانوا يضطرون لاحراء بعض الإصلاحات فيه رضوخا لم يكن في وسعهم تحسها .

وطلب مصر كما كانت دائما ابدا كعبه العلماء والقصاص يهرعون اليها ليستظلوا بظلي الوارف وليتهلوا من سعبها الفياض وكان جمال الدين الافغانى قطب الرضى منذ أن حطت رحاله مصر عام ١٨٧١ والتفت حوله مجموعة من طلابه النابهين وقامت نهضة فكرية ميمونة ثم بقي جمال الدين وغادر مصر عام ١٨٧٩ ولكن الشعلة التي أوقدها ظلت تنقد حتى قامت الثورة العربية وكان عرابي والبارودى ومحمد عبده وعبد الله النديم وقادة الثورة ومن قامت على اكتافهم نهضة مصر من متخرجي الأزهر .

لقد شهد الأزهر تطورا واصلاحا كبيرا منذ أواخر القرن التاسع عشر وهما يقفز الى الذهن الامام محمد عبده فقد اقترن اسمه بما جرى للأزهر من اصلاح ونهضة في أداء رسالته ، كما ارتبط الأزهر باسماء نحة كبرى من رجالاب مصر أسهمت بدور كبير في تاريخ مصر السياسى والثقافى وفي ثورة مصر الكبرى عام ١٩١٩ ممن يعرفهم الصعير والكبير .

(١) م . عبد الله عباس - تاريخ لجامع الأزهر ١٤٦ / ١٤٧ -

بعد الحرب العالمية الثانية تطورت الأحداث العلمية وبرز
الشعوب مطالب بحق تقرير مصيرها وفدت نوره يونس في مصر عام
١٩٥٢ شملت يدها الأزهر وأجرت فيه إصلاحات حسنة من حيث
تنظيم هيئته (١) وإقامة كليات للدراسات الإسلامية والعربية والطب
والعلوم والحجارة والهندسة وأصبح الأزهر يعيش بالإسلام في واقع
الحنوع ويبحث روح الدين في شتى مجالات العمل ويحيل مكانه في
لعالم كجامعة إسلامية مرموقة تأخذ بأسباب الدين والدنيا وحق التفكير
العربي الأسناد (٢) عباس محمود العقاد أن نور عيب في مرقده عيسى
المبادئ بإصلاح الأزهر بقوله

• حر ما يطلب للأمر هو أن يرداد نصيبه من أجماع العنينة
وأن يرداد نصيبه من المشاركة في الأعمال الدنيوية وأن يحل بيته
وبين العرلة والانقطاع •

وبن مؤمنون بأصلي الأزهر العظيم ولكنها أشد إيماناً بمسئله
لأن وظيفته في الماضي كانت واحدة لا مبارع فيها ولكنها في المستقبل
وظيفتان ينهض بهما فيكون له شأنان متعادلان في حكمة العلم وحكمه
الإسلام •

والجامع الأزهر أحق مكانة بأن يتدارك عيب العصر الحاضر الذي
ينمثل في العزل بين عالم العقل وعالم الروح فيتعلم فيه المرحل وهو
مؤمن ويؤمن فيه وهو عالم •

(١) الأزهر تاريخه وتطوره - الأوقاف صفحة ٤٦٧ •

(٢) سببه قراغة - تاريخ الأزهر في ألف عام من ٢٨٩ •

● السودان وبداية انتشار الاسلام

يعرف شمال السودان في العصور الوسطى بالنوبة وكان أول من أطلق نبطه النوبة هو المؤرخ الاغريقى اراتوتينيس فى القرن الثانى قبل الميلاد على المنطقة الواقعة على جانبى النيل بين أسوان ودقلا وهو تعبير حفرامى حرف أخيراً ليصبح اسماً للقبائل المستعربة هناك .

دخلت المسيحية الى شمال السودان منذ القرن السادس الميلادى وقامت فيه ثلاث ممالك مسيحية وهى مملكة النوباط فى المنطقة الممتدة من الشلال الأول الى الشلال الثالث وعاصمتها فرس (٥٤٣ م) وجنوبها مملكة المعرة وعاصمتها دنقلا حوالى (٥٦٩ م) وامتدت هذه الدولة جنوباً حتى كنوشية الحالية والتي سماها العرب بالأبواب ولكن دولتى النوباط والمعرة اندمجتا فى مملكة واحدة قوية للوقوف فى وجه الزحف العربى الاسلامى من مصر وبالفعل عاشت هذه الدولة الموحدة ما يقرب من سبعمائة عام - أما الدولة المسيحية الثالثة كانت تعرف بعدوة وعاصمتها سونا (٥٨٠ م) على بعد اثنى عشر ميلاً جنوب الخرطوم على الضفة الشرقية للنيل الأزرق .

وما ان استتب الأمر لعمرو بن العاص بعد فتح مصر عام ٦٤١ م فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب حتى سبر حملة جنوباً لغزو النوبة المسيحية وفتحها باسم الاسلام ولتأمين حدود مصر الجنوبية ولكنها قوبلت بمقاومة عنيفة ولم تستطع التوغل جنوباً لأداء مهمتها ويبدو أن عمرو بن العاص شغل بمشاكل الحكم فى مصر فترك النوبة وشأنهم

ولكن بعد أن تولى عبد الله بن سعد بن أبي السرح حكم مصر حثها لعنرو
ابن العاص سير جيشا يلجأ لفتح اثيوبه عام ٦٥١ م بعد عشر سنوات
من فتح مصر وتقاتل الطرفان قتالا شديدا وصعد الشاعر (١) بقوله
لم نر عيني مثل يوم دنقله والخيل تغدو باندروع مثقله

وافق الطرفان على حده بينهم عرمت بالهبط يحسرها المؤرخون
بأنها معاهدة حسن جوار (٢) أو عدم اعتداء بتعبير حديث فحقق لمصر
الاطمئنان على سلامة أراضيها من ناحية الجنوب والتبادل التجاري بين
البلدين فحصل مصر على الرقيق وسواعدهم القوية وعلى الماشية كما
حصل النوبة (السودان اليوم) على بعض الحبوب غير أن المعاهدة
اشترطت على النوبة المسيحية حفظ مصالح المسلمين وحرثهم النديسة
فيها والعناية بجامع دنقلا ونظامه وإسراجه وكان هذا الجامع يجتمع
فيه المسلمون الذين دخلوا الاسلام هناك أما بعد محاولة عمرو بن العاص
غزو النوبة أو بفضل انتحار والوافدين من مصر الاسلامية - لقد كانت
ملك الانفاقية تحظى بموافقة البلدين - مصر الاسلامية والسودان المسيحي
- لحاجه كل منهما لذلك التعاون والتبادل التجاري ولذلك ظلت ساريه
المفعول أكثر من ستمائه عام دون ما إحلال بنصوصها الا في حالات
قليلة .

كذلك وفي عهد الخليفة العباسي المأمون خضع البحر في شرق
السودان لحكم الاسلامي أي بعد حوالي ثمانئة عام من غزو ابن أبي
المرج لاثيوبه وأصبحت بذلك الأراضي الواقعة من جنوب أسسوان الى
جنوب دهنك - موضوع جزءا من الدولة الاسلامية .

وبالرغم من بقاء مصر دولة اسلامية فقد ظل السودان (النوبة)
كما كان دولة مسيحية مئات السنين وكان ينظر الى ملوكها على قسمين
المساواة مع ملوك مصر وبلاد الشرق الأدنى . وقد أرسل (٣) ملك النوبة
المسيحي زكريا ابنه جورج المعروف بقميرفي في الوثائق العربية الى
بغداد عام (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م) في مهمة دبلوماسية لنسوية متأخرات
البحرية التي فرضتها معاهدة البقط وقد استقبله الخليفة العباسي

(١) ابن عبد الحكم فتوح مصر - دلائل المكتبة السودانية العربية مجموعة النصوص
والوثائق المتكثرة مصطفى مسعد .

(٢) د. يوسف فضل - دراسات في تاريخ السودان ج ١ - ص ٢٧ .

(٣) د. مصطفى مسعد - الاسلام العربى ص ١٢١ .

انضم استقلاً كريماً في بغداد واستمع له ولشكواه من أن بعضاً من المسلمين في أسوان أخذوا يشنرون أراضي من رعاياه المسيحيين وهي من أشكوى إسي كان قد تقدم بها ملك النوبة بخليفة (١) المأمون عند زيارته لمصر وبالرغم من الاستقبال الحافل الذي لقيه جورج في بغداد وإحاطة بعض مطالبه إلا أن شكواه بخصوص شراء المسلمين لأراضي النوبة (السودان) لم يفلح مع أن معاهدة البقعة لم تسمح للمسلمين بملامه في أرض السودان المسيحية .

ثم حصدت مصر لحكم الماليك في القرن التاسع الميلادي ولم يعد العرب كما كانوا حكماً بل رعايا ولم يكن لهم شأن في الدولة كما كانوا (٢) ونسب الصراع بينهم وبين أحكام المسلمين غير العرب في مصر وأصبح يطرأ اليهم كمصريين وحارجين على القانون فزاد نفوذ القبائل العربية بآثار ذلك على السودان الشمالي واحتلوا بالسكان المحليين وانتشر لسانهم وديهم .

وكان الحكم الماليك وبالذات الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون يرسلون حملات تادسية على النوبة (السودان الشمالي) لاهتساعهم عن دمع الحرية التي فرصتها معاهدة البقعة .

وأخيراً أمام تكاثر الهجرات العربية للنوبة (شمال السودان) وحالة الفوضى التي كانت عليها المنطقة وصراعات الملوك حول السطوة وعزوات سلاطين مصر سقطت الدولة المسيحية في دنقلا في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي وانفتح الباب على صراعيه للقبائل العربية فتدفقت جنوباً وأخذوا يكوون بيئاتهم ومجتمعاتهم القبليسة وكما قال ابن خلدون (٣)

«واقشرت أحياء العرب من جهينة في بلادهم واستوطعوها وملكوها وعلاوها عبثاً وفساداً وذهب ملوك النوبة إلى مدافعهم فمجزوا ثم صاروا إلى مصالحهم بالصاهرة» .

هكذا سقطت دولة المعرة المسيحية في دنقلا ونفتت دولة (علوة)

(١) السعدي - مروج الذهب - نقل من مصنفين مسند المكتبة السودانية ص ٥٣ .

(٢) د. مصطفى مسعد .. اعتماد الإسلام والعروبة .

(٣) ابن خلدون - العبر وديوان المبدع والنسر نقل من المكتبة السودانية العربية

مجرفة القصص من ٢٨٠ - د. مصطفى مسعد

المسيحية في سونا ينظر مصيرها المعلوم والقبائل العربية تتجمع وتوحد بعد قسره رمنية تقرب من القرين وتقيم تحالفا مع أسره سودانية حاكمه وسقط الدولة المسيحية على يد ذلك التحالف عام ١٥٠٤ م .

كان قيام الدولة المسيحية في السودان ايدانا ببدء تقدم سياسي وثقافي بعد ما أصاب السودان من ضعف وتدهور بعد سقوط دولة مروي في منتصف القرن الرابع للميلاد .

لقد امتدت فترة العهد المسيحي في السودان ما يقرب من الألف عام مما أثر تأثيرا مباشرا سياسيا وثقافيا وروحيا وسامعسسه في تكوين الحضارة المميزة للسودان حيث كانت الطقوس الدينية تؤدي في الكنائس باللغة اليونانية قبل الفتح الاسلامي ثم باللغة القبطية وأخيرا باللغة النوبة نفسها بعد ترجم اليها الكتاب المقدس بنفسه .

اصحى للسودان المسيحي اسم كبير في الشرق الأدنى وكان ملوكه يعاملون على قدم المساواة مع حكام مصر وبربطة والبلاد الأخرى في تلك المنطقة .

وكانت للسودان علاقة طيبة بمصر الاسلامية الا في فترات بسيطة وقد قويت العلاقة بينه وبين الدولة الفاطمية في مصر بصفة خاصة وقد ارسل القائد جوهر الصقلي عقب فتح مصر رسوله عبد الله بن أحمد بن سليم الاسواني برسالة ودية لمك التوبة فيرقى (حورح) كان معا حذاء فيها دعوه له لاعناقته الاسلام .

كما أكثر الفاطميون من استتلاب السودانيين وتجنيسهم في صفوف الجيش الفاطمي خاصة في عهد الخليفة المستنصر ، وقد كانت أمه سودانية ويروي أنهم بلغوا الخمسين ألفا وأصبحوا قوة كبرى في مصر مما اضطر صلاح الدين الأيوبي أن يحاربهم ويقضي عليهم ليقيم دولة الأيوبيين .

لقد كان السودان أول بلد زنجي غرست فيه بذور المسيحية وقامت فيه دولة مسيحية وشهد السودان قيام دولة عربية اسلامية عرفت بسلطنة سنار أو سلطنة الفويح نسبة الى الاسرة السودانية الحاكمة ثم تبعها دولة دارفور وملكة تغل في كردفان وكلها انضوت مؤخرا بعد فتح محمد علي باشا للسودان لتكون السودان اليوم في الحرة الشمالي الشرقي لأفريقيا دولة عربية أفريقية ذات سيادة كما قامت دول اسلامية

في أفريقيا الغربية وانتشر الاسلام من البحر الاحمر الى بحيره تشاد ولم
يبقى في أفريقيا دولة مسيحية غير الحبشة .

ومن الطريف أن معظم القبائل العربية التي دخلت السودان مارالت
سجنظ بأسمائها العربية الى اليوم مثل كنانة وسليم وفزاره وحبيسه ورفاعة
ودائل وسي هببه وهلال وحرام والقضاية (محرقه من دسان) (١)
وغيرها .

(١) عند الله عبد الرحمن - العربية في السودان طعة بيروت .

❁ نواة التعليم الدينى المنتظم

كملت اتفاقية البقظ التى أشرنا إليها آنفا والتى عقدها عبد الله ابن سعد بن أمى السرح حاكم مصر آنذاك مع الدولة النوبية المسيحية . كفلت للمسلمين حرية ممارسة شعائرهم الدينية فى تلك الدولة المسيحية فقد جاء فيها بالنص .

« وعليكم حفظ المسجد الذى أبتناه المسلمون بقناء مدينتكم (يقصد دنلا عاصمة دولة النوبة المسيحية) ولا تمنعوا منه مصليا ولا تمصوا لمسلم قصده وجاور فيه الى أن ينصرف عنه وعليكم كنسه واسراجه وتكرمه » .

كان ذلك أول إشارة تاريخية الى مسجد دنلا العتيق الذى كان قائما قبل غزو ابن أبى السرح لأرض النوبة (السودان الشمالى) ربما بساه المسلمون الذين تخلفوا هناك بعد حملة عمرو بن العاص التى شنها بعد عامين من توليه حكم مصر (٢٠ هـ - ٦٤١ م) أو العجبار أو الحنود أو الوافدون إليها من مصر .

لم تكن الفائل العربية الوافدة تهتم بنشر الاسلام ربما لانشغالها بمشاكل الرعى فى وطنها الجديد ولجها بأصوله خاصة بعد مصارعتها للسكان المحليين الا فى حدود حبيقة حيث عكف بعض الرواد المسلمين ينشرون العقيدة الاسلامية فى سباطها وسماحتها واتسع قبساط المنشرين الاسلاميين بعد سقوط الدولة المسيحية فى الشمال كما ذكرنا آنفا وانفتح الطريق لكثير من العلماء المسلمين من مصر والحجاز

واليمن والمغرب للإقامة في السودان حيث أخذوا يدرسون لاساس قواعد الاسلام وكان مسجد دنقلا بمثابة جامع عمرو بن العاص في مصر آنذاك يؤمه ويصلي ويحاور فيه مسلمو تلك المنطقة .

لقد بقيت دولة علوه المسيحية في سوبا وحدها تقاوم النفوذ العربي الاسلامي الذي كان يحيط بها حتى سقطت في عام ١٥٠٤ وقامت دولة - ر كما ذكرنا سابقا .

لقد صاعت دولة سار - او ما تسمى ايضا بسطننة الفويح - اساس السودان العربي الاشرقي الذي نزاوجت فيه الحضارة النوبية والعروبية والريحية لتصب في رافد الحضارة الاسلامية التي اردت ان تهرس في السودان بفضل العلماء الوافدين اليه من البلاد العربية لا سيما مصر وبفضل العلماء السودانيين الذين خرجوا في الازهر وأنشأهم وتلاميذهم ويمكننا اذا ان نقول ان انتشار الاسلام في السودان تم على مرحلتين احدهما تلقائية وبواسطة طلائع المهاجرين والآخرى منظمة وعلى اساس علمية من طريق الازهر اساسا .

أخذت الحياة الدينية الاسلامية تأخذ طابعها العلمي المنظم في عهد الشيخ عجيبي بن الشيخ عبد الله جماع احد مؤسسي دولة سار لقد ارسى ذلك العامل الذي حسن على كرسى الحكم مدة طويلة (٩٧٠ - ١٠١٩ هـ / ١٥٦٣ - ١٦١٠ م) أسس الحياة الدينية في السودان حيث بنى المساجد ودور العلم في أنحاء البلاد وفي عهده الطويل اقبل كثير من العلماء المسلمين الى البلاد حيث لقوا من التكريم والقبول ما هم به حريون وهو الذي بنى رواقا في المدينة المنورة (١) لايواء السودانيين وآخر في مصر لطلاب العلم السودانيين في الازهر الشريف .

أقبل السودانيون على الدراسة والعلم في شغف ونهم وكانوا يهاجرون من شيخ الى شيخ في طلب المريد منه ثم يولون وجههم شطر الازهر الشريف بالذات حيث صدق عليهم القول المأثور بأن للمسلمين ثلثين دينية وهي الكعبة الشريفة وعلمية وهي الازهر الشريف ، كانوا يسافرون الى الازهر وهم يحفظون القرآن وعلى دراية بعلوم اللغة والفقه .

(١) محمد محيي الدين . مشيخة اعدلات - ص ٢٦٢ .
محمد صيب الله - الطبقات - ص ١٦٧ نسخة مريم صديق .

لقد ترك لنا أحد العلماء السودانيين وهو الشيخ عبد بن عبد الحفيظ وصفاً لرحلته إلى مصر والحجاز كعنى العلم والدين أنقله
ينصه .

« كان سمرنا من سائر لطلب العلم بالأزهر وللحج في يوم الجمعة بعد العصر خامس رمضان سنة تسعة وسعين بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ولم يدخل مصر إلا في أول شهر صفر في سنة ثمان وسعين وجلسنا بالأزهر إلى شوال ثم سافرنا إلى الحج وحججنا حجة الإسلام في تلك السنة أي سنة ثمان وسعين وفي شهر صفر سنة تسع وسعين جلسنا بالأزهر بعد عودنا من الحج ومكثنا بقية صفر وأربعين والحمدان ورحب وشعبان ورهضنا ثم سافرنا للحج أي حج التطوع في شهر شوال مع الصحيح المصري وحججنا في سنة تسع وسعين ثم جلسنا بمكة مجاورين بيت الله الحرام ثم سافرنا إلى حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في شهر المحرم سنة ثمان وجلسنا في المدينة ماشاء الله أن يجلس ثم رجعنا إلى مكة شريها الله مجاورين بيت الله الحرام إلى أن حضرنا مولد المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام بمكة ودخلنا فيه وصرفنا إن شاء الله من الأمنين ثم سافرنا من مكة يوم سابع عشر من ربيع الأول إلى جدة ومنها إلى مصر بالسلامة في البحر في شهر رمضان من سنة ثمانين وألف ثم أدركتنا سنة واحد وثمانين بمصر وسافرنا منها إلى البلد وكان حجتنا حجة الإسلام سنة ثمان وسعين وحججة التطوع سنة تسع وسعين وكان يوم عرفة يوم الجمعة والحمد لله رب العالمين .
ويقول عنه المؤرخ السوداني محمد ضيف الله المتوفى عام ١٢٢٤هـ
... ١٨٠٩ م صم ما قال .

« ... ولد بسند وسافر إلى مصر والحجاز لطلب العلم والحج قرأ فيها العلوم الفقهية والنقلية والعقنية وعلم النحو واللغة والأصول والمنطق والتصوف وسائر الفنون يقرأ الكتاب حزمة حزمة ونحصل على أكثر الشروح فاحضر معه رحلي أو ثلاثة كتب ٠٠٠ وعكف على تدريس مواطنيه » .

هكذا كان السودانيون يسافرون إلى الأزهر غير عابئين بمشاق السفر ووعثائه وطوله وعنائه فقد كانت الرحلة من سائر إلى مصر تستغرق آنذاك خمسة شهور يتعرض المسافرون فيها للمخاطر والأهوال

التي كانت تتمش في عارات الذهب والفضة ومن حراء الحروب المعلىة
العسفة انى شهدتها اسلاد فى آخر عهد دولة ستر *

وكما ترك لنا الشيخ عمار بن عبد الحفيظ وصفا لرحلته الى
الازهر عام ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م كذلك سجل الشيخ محمد المبارك
عند الله شيخ علماء السودان رحلته الى الازهر عام ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م
أى بعد مائتين وخمسة وستين عاما من رحلة الشيخ عمار - وبلاحظ
ان السفر للازهر كان املا عظيما وهذا كيرا لدى طالبى العلم على
سند الزمان مع اختلاف فى الظروف والمعوقات *

يقول الشيخ محمد المبارك عبد الله :

« ويسامع الرمن اياما واسابيع وشهورا ، واسمع عن الازهر
الشريف واعلم عو شأنه فى جمعات العالم واصالته فى التعليم الدينى
وان ما سواه رافد من روافده وتبع له فى ذلك ، وانه منتهى معاصد
النماء بعدون اليه من كل فج شقيق ، وغاية غايات طلاب العالم
الاسلامى يهرعون اليه من كل حذب وصوب ، وانه كما قال شسوفى
فى عيائه

واشبع مليا والفض حتى ائمة	طلعوا به زهرا وما جسوا ابجرا
كانوا اجل من الملوك جلالة	واعز سلطانا وافخر مظهرهرا
زمن المخاوف كان فيه جنابهم	حرم اذكسان وكان ظلهم الذرا
من كل بحر فى الشريعة ذاخر	وبركه الخلق العظم غشفسرا

★ ★ ★

حتى ظننتنا الشماقمى وهالكا واما حنيفة وابن حنبل حضرا

فارغب مع الروس فى السفر الى مصر للاتحاق بالازهر حليا للعلم
على اعلى مستوى ، واذكر مفتش مصلحة المعارف المصرى ، الذى كان
يمر فى ربه الازهرى العاخر بالحلوى يعرف بطبها وعدد طلابها ونتائجها
ليقوم بتقويمها ويكتب عنها تقريراً يقدمه للمستولين فى مصلحة
المعارف تمهيدا لاعانة فقهاها كما أحسنا بذلك الفكى حدلان مسرورا
عندما مر بخلوتنا وقدمنى اليه الفكى فتناول لوى ونظر حطى فاعجبه
واخذ يسألنى وأحيب فاستحسن أجوبى كيف كان وقورا حسن
الهندام رفيع المقام جليل الشأن يقوم الناس على اختلاف مكاناتهم
احلالا له ليلقونه بالتكريم والتحييل فى كاكولته الازهرية الخصره
وعمامته ناصعة الساج على طربوشه الاحمر القانى *

ويجيء الشيخ حمد أدريس من اهالى جريرة توتي، وكان قد سافر الى الأزهر وحصل على اهلبة العرباء ومعه مؤلفه فى العروض الذى سماه (التذكرة التوتية) فحدثنا عن التعلم فى الأزهر وعراة علم علمائه وحقرياتهم وندراتهم الفاتكة على كشف الشبهات وحل المشكلات وتوضيح المضلات ، ومن أسر الالتحاق بالأزهر وعن رواف السنارية (داخلية السودانين) وبلهم هناك ويحيى بعض السودانيين من الأزهر غير الشيخ حمد الشيخ أدريس يحملون مختلف الشهادات الأزهرية على تعاونهم فى التحصيل واختلاف مراتبهم فى الملكات العلمية فتفتح لبعض منهم أبواب وظائف الحكومة فى القضاء والتدريس ويكون لهم المكانة الاجتماعية المرموقة فيزيد كل ذلك من رغبتى ، غسبر أن رغبتى كلما قويت تصطدم بصخرة صلبة أقوى منها ، هى توقع عدم موافقة والى على سمرى وحمى من أن يكون والدى كما يجب العلم يحب اقامتى بجسانه وأن تكون اقامتى بحابيه أحب اليه من العلم فأسف لذلك كثيرا . واعانى منه كثيرا .

ويختلف الليل والنهار وسقط من السنة الدراسية الثانية الى السنة الدراسية الثالثة وتشجعى الاولى فى نتيجة الامتحان . وتدخل دواع أخرى تحملنى على السفر غير مجرد الرغبة فيه ، فهذا زميل واحد منافسى فى السنة الدراسية يسافر الى الأزهر ويلتحق به شاددا من غير ادن والده . وهامهم أولاء جماعه من طلاب كلية عردون يابعون لطلب العلم بمصر ويساعدهم على هذا الادق أعضاء جمعية اللواء الأبيض وكم ند غيرهم من الطلاب كما يند البعير والتحق بالأزهر متحملا مشقة السفر مع المواشى فى عربات الحيوانات بقطارات الضامة فحسن حاله وصار له شأن فالعاية شريقه والسفر فى طاعة ، والله سبحانه وتعالى يقول : (فلولا نعر من كل فرقة طائفة لتفقهوا فى الدين ولتندروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلمهم يحذرون) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، وربما يكون صاحبى قد افنى نفسه من هنا بحواز ذلك .

ولكن اليس فى المعهد من العلم ما يكفى طلاب الفقه فى الدين ؟ والمنهج واحد والكتب المقررة هنا هى الكتب المقررة هناك ، وقد اقتبس الشيخ ابو القاسم هذا النظام من نظام الأزهر بواسطة الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر الذى كان قاضيا للقضاة بالسودان كما سمعنا ذلك من مشايخنا أكثر من مرة فى معرض الحديث عن نشأة المعهد والثناء

عنه . على كل حال طلب الريادة على العلم الواجب ان لم يكن واجبا
عسما فهو واجب كفائي أو مندوب اليه ، وقد كان الصحابة والعلماء
الصالح رصوان الله عليهم يرحلون طلبا لتفسير آية من كتاب الله أو
رواية حدثت من أحاديث رسوله إلى أقاصي البلاد مصلحا من أنه لا يمكن
أن يكون المعهد - كالآزهر - وهذه الكتب المغررة كلها أو أكثرها من تأليف
علماء الأزهر ، والمسألة ليست مسألة مجازلة في القرارات والكتب ، وإنما
هي مسألة رجال يشرحون هذه الكتب ويبيّنون ما غمض منها ،
ومشايخ ، وإن كانوا علماء كمله إلا أنه ما من كمال إلا وعبد الله ما هو
أكمل منه . فعوى كل ذي علم علمه وهر قصد البحر استقل السواقي .

وهكذا تبدأ هي الأفكار المتقاطعة وتتوارد الحواطير والمواردات
والمعادلات في ذهني فأعود الحديث مع والدي بشيء من الصراحة التي
أريد أن أسافر إلى مصر السنة الآتية بعد أداء الامتحان وانتهاء العام
الدراسي الحالي إن شاء الله وأريد أن أسافر وأنت راض على لا كما
فعل فلان وفلان ، وما دمت سأقضي اثنتي عشرة سنة في طلب العلم
بالمعهد فما لأحصل على العالمية فحير لي أن أقصى هذه السنة بالأزهر
وأحصل على العالمية من هناك .

ولكن ليس ربما والدي وحده هو كل شيء في عدة السمراني
مصر للتعليم ، وليس كل ما قام به نحوي من أعداد وراد يكفى لسمراني
ما لم يأخذ السكرتير الإداري أو مكتب المخبرات في ذلك الوقت أو دور
أن أحصل على تأشيرة الخروج كما سمونها الآن . ومن لي بأن تأخذ
السكرتير الإداري بسمراني إلى مصر للتعليم في تلك الظروف التي نشطت
فيها الحركة الوطنية ضد المستعمرين ، وتواطأت في مصر والسودان ،
واتحدت أهدافها ، وتجاوزت القائلين بها ، وأخذ أعضاء جمعية الأواء
الابيض يهرون طلاب كلية غردون الوطنيين إلى مصر لإكمال دراستهم
في المدارس الثانوية ، وجامعة القاهرة ، وأعدادهم للنضال ، كما تهرب
المجموعات ، فالحق إلى الوساطة الكريمة في هذا أيضا .

وتسهي الوساطة إلى البورياتي عبد الحائق حسن هامور مركز
أم درمان حينذاك ، غير أن وساطة عبد الحائق يك تريد الأمر تعقيدا
فيما يبدو من غير قصد ، وتنبئ مأساة في موضوع سسفرى بين
عبد الحائق بك ومكتب السكرتير الإداري : يسر عبد الحائق الرجل
المصري الوحيي المسلم ، أن أسافر لأطلب العلم بالأزهر الشريف ، وأن
تشجع مثل هذه الهجرة إلى مصر في طلب العلم بالأزهر بين طلاب

المعهد ، كما تشجيع الهجرة الى مصر طلبا للعلم في مستندارس ووزارة المعارف المصرية بين طلاب كلية غردون ، ويحتشى مكتب السكرتير الادارى ان اذن لى ان يسمح نائب السمر الى مصر لطلب العلم امام طلاب المعهد فينالوا عليه ، وهو ما لا تريده حكومة السودان ويعتبر في سياستها لنوهين العلاقات الثقافية بين مصر والسودان احظر شيء ، ويسالني كبير الموظفين في مكتب السكرتير الادارى لماذا لا التحق بقسم القضاء الشرعى في كلية غردون او اطلب التعمين في المحاكم الشرعية في الوظيفة التي تناسب معيومانى ان كنت لا اريد مواصلة الدراسة بالمعهد ؟ ولماذا أعرض نفسي بالسفر الى مصر في هذه الظروف للحرمان من العودة الى بلدى ، والالتحاق بوظائف الحكومة محاولا صرمى عن السفر بالترغيب ناره ، والترهيب أخرى ، غير أقي أصر على طلب الاذن بالسفر مهما كلفني ، ومهما كان من نتائج القربة والبعدة وأظفر بعد النبا والنبى كما يقولون بجوار السفر المطبوع والمعد للسفر بين مصر والسودان في تلك الأيام . وهو ورقة واحدة بها بيان حال المسافر وأوصافه وعنوانه هنا وهناك والصامس على صفحته باللغة العربية ، وعلى الاخرى باللغة الانجليزية مقابل حمسه قروش ، ولا اذكر الآن ابي فرحت منذ ولدت ووعنت الى ذلك التاريخ شيء فرحى بالحصول على هذه الورقة التي تسمح لى بالسفر الى غايتي » (١) -

لقد حصل الشيخ محمد المبارك عند الله على الشهادة الابتدائية النظامية في نفس العام الذي التحق فيه بالازهر وكان يحمل شهادة النقل من السنة الثالثة الى السنة الرابعة الابتدائية من معهد أم درمان العلمي الذي اشيء عام ١٩١٢ م على عرار الازهر كما سترى فيما بعد .

ولعله من المعارفات العربية ان المواطنين وعلى رأسهم سلاطين وحكام سمار كانوا يحتفلون بالطلاب السودانيين القاصدين الازهر ويودعونهم وداعا حارا على النقيض مما كان يجرى للطلاب بعد ثلثمائة سنة ابان الحكم البريطاني على السودان اذ كان أولئك الطلاب يتخفون في دعة البقر الذين يرافقون الأبقار والماشية التي صدرها أصعابها الى مصر تبيعها هناك -

(١) محمد المبارك عند الله مذكرات وذكريات من ٢٥ -

● الرواد السودانيون من متخرجي الأزهر

سلطنة سار (١٥٠٤ - ١٨٢١ م) .

أول من وفد الى مصر من السودان للدراسة في الأزهر كما تسجله
وثائق التاريخ هو الشيخ محمود أحمد المركي الذي تعلم على الشيخين
شمس الدين اللقاني وناصر الدين اللقاني في ما بين ١٢٣٥/٩٤٠ هـ -
الموافق ١٥٢٩/١٥٣٤ م وهما من شيوخ المالكية المعروفين .

وعندما عاد الشيخ محمود اشأ خمس عشرة مدرسة على النمط
الابيض في منطقة الكوة (اليس) على بعد ١٣٠ ميلا جنوب الخرطوم
ولما أن يعرف ملح الجهد والدور الكبير الذي قام به أد تم تشتهر
قبله في البلاد مدرسة علم ولا قرآن وعنده المواطنين الذين درسوا علمه
وانشروا يحملون رسالة النور لمواطنيهم الآخرين فوق التقدير

وهناك أولاد جابر الأربعة وهم ينحدرون من أسرة دينية معروفة
كان عبيدها العالم غلام الله بن حاند الذي وفد السودان من اليمن في
آخر القرن الخامس عشر الميلادي . كان أكبرهم ابراهيم جابر وقد
درس في الأزهر على الشيخ محمد السنواري وغيره من اعلام المالكية
في مصر الفقه المالكي وأصول اللغة والنحو وعاد الى بلاده ويقال انه
أول من درس مختصر خليل بن اسحق المالكي ورسالة ابن أبي زيد
القيرواني في السودان . ويعرف الشيخ ابراهيم بالولاد (١) ووراء

(١) ود صيف الله - الطبقات - نسخة ابراهيم صديق - ص ٦

هذا النقب قصة اذ يقال ان رجلا اقسام ان يدخل بينه جميع ما خلقه الله فافواه الشيخ ابراهيم بوضع المصحف على سريره مستندلا بقوله تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ولما سمع الشيخ البوقري تلك الغفوى قال لتلميذه ابراهيم « انت بولاد السر » ويقصد بالبر السودان كما كان بعضهم يسميه . ويروى ان الشيخ ابراهيم قد تعلم عليه اربعون رجلا اصبحوا اقطابا في الدين واعتبر ذلك العدد المناسب الذي يتولاه الشيخ بالتدريس والباقيون من الطلاب يتولى تدريسهم حواريون للشيخ ويعرف الواحد منهم بالعريف كما هو معروف في مصر واصبح ذلك تقليدا سار عليه العلماء اذ يتخرج على يد كل منهم اربعون قطبا في الدين وهم بدورهم يستشرون في أنحاء البلاد ليعلموا الناس ايضا .

وكان من تلاميذ الشيخ ابراهيم اخوه عبد الرحمن (١) وقد ذهب ايضا لمصر للاستزادة من العلم في الارهر على الشيخ البوقري وقد اظهر نوعا كآخيه ابراهيم وعاد الى بلاده وتولى التدريس بعد وفاته اخيه ابراهيم واقام ثلاثة مساجد احدها في دار الشافعية والثاني في كورتى والثالث في الدفر وكان يدرس في كل مسجد اربعة شهور مقتديا في ذلك النفل بين المساجد بأستاذة الشيخ محمد البوقري الذي كان يمضي اربعة شهور في القاهرة ومثلها في الاسكندرية ثم الاربعه شهور الاحيرة يقضيها في الحجارة حيث اعتاد ان يحج سنويا الى بيت الله الحرام ويروى ان الشيخ عبد الرحمن بن جابر درس مختصر خليل المالكي في تلك المساجد اربعين مرة .

ومن الشيوخ العلماء الذين درسوا على الشيخ عبد الرحمن ابن جابر الشيخ عبد الله بن دفع (٢) الله العركي الذي عباد الى اقليم الجزيرة في واسط السودان واخذ ينشر العلم هناك في تلك الربوع مرسما خطي استاذ في العلم وتولى مهمة القضاء ايضا . وقد ذهب الشيخ عبد الله العركي الى الحجاز وتولى تدريس الناس هناك في مقام الامام مالك ثم عاد الى بلاده رغم الحاح اهالي مكة لبقاء معهم ومواصلة تدريسه لهم .

وممن درسوا على الشيخ عبد الرحمن بن جابر الشيخ

(١) محمد شريف الله - الطبقات - ص ١١١ .

(٢) محمد شريف الله - الطبقات - ص ١١٢ .

ومنظومته في التوحيد على الشيخ على الأجهوري وعاد ليشر العلم بدوره
في ربوع البلاد .

وهناك كثيرون غيرهم أمثال القاضي على ود (١) عشيبي الذي درس
على الشيخ السنووري وولي القضاء والشيخ محمد جمال الدين (٢) المعروف
بحلاوي والذي كانت له دراية بالفقاه والأحكام نوردهم على سبيل المثال
لا الحصر . .

عاد أولئك الرواد إلى بلادهم بعد أن أخذوا عن أساتذتهم في
الأهر ما تيسر لهم من العلم وما أهلهم للتدريس والفتيا في بلادهم عادوا
وكل منهم يحمل اجازة علمية من استاذة أو اساتذته كما جرت العادة
آنذاك ولم تكن تلك الاجازات تمنح الا لسواج الطلاب فما كان الاساذ يقبل
لنفسه ان يصرح اجازة لغير مستحقها ان يرتبط اسمه بهذه الاجازة
مثل ما جاء في الاجازة التي منحها العلامة ابن الملقن للعالم القلقشندي
اد تنتهي الاجازة بقوله .

« . . واجزت له مع ذلك أن يروي عني من التأليف ومنها جامع
الجوامع أعانه الله على أكمله وكذا شرح « صحيح الامام أبي عبد الله
محمد بن اسماعيل البخاري » ومنها « البدر المنير في تخريج الأحاديث
والإثار الواقعة في اشرح الكبير للامام أبي القاسم الرافي » وبه تكتمل
معرفة الفقيه ويصير محدثا فقيها .

واجرت له مع ذلك ما حار لي وعني روايته بشرطه عند أهله زاده
الله وأبائ من فضله ومنها الكتب السنة - البخاري ومسلم وأبو داود
والترمذي والنسائي وابن ماجه والمسند - مسند أحمد ومسند الشافعي
وغير ذلك . .

لقد أصبح أولئك الرواد والوافدون من علماء الأهر المصريين
وبلامديهم بواء المجتمع ودعاهم فأقبل عليهم الطلاب من كل فج وأخذوا
يتلقون العلم عليهم وتسموق مثالا لذلك ما ذكره مؤرخ دولة سنار
(١٥٠٤ - ١٨٢١ م) عن أحد العلماء السودانيين الذين علا صيتهم
وهو الشيخ الزين بن صغيرون وكان قد درس على والده الشيخ صغيرون
الذي درس على الشيخ محمد السنووري في الأهر فقد قبل أن الشيخ

(١) محمد صيف الله - الطبقات - ص ١١٤ .

(٢) محمد صيف الله - الطبقات - ص ٧١ .

عن هذه الأسره - اسره اولاد جابر - يقول احسب المؤرخين السودانيين (١) انهم وضعوا أساساً قوياً للحياة الإسلامية في السودان فقد بشروا العلوم الإسلامية ووضعوها صهيحاً لدراستها ونصاعف مجهودهم على مدى السنين عن طريق الطلاب الذين تلقوا العلم عليهم ثم بشروه بدورهم في أرجاء مخلقة من السودان كما قام هؤلاء الطلاب بتطوير رساله مشايخهم اولاد جابر وذلك بإدخال مواد إسلامية في خلاويهم ومساكنهم كما اتصعوا بالاجتهاد الذي ندل عليه الكتب المخبطة التي ألفوها في شتى ضروب المعرفة الإسلامية .

ولم يكن نشاط تلاميذ اولاد جابر يقتصر على التدريس أو التمرس بالتصوف بل مارسوا أيضاً القضاء الشرعى وبرهوا من خلال ممارسته على تمكنهم من العلم والمسام واسع عميق به ومثما كان لأولاد جابر منهج في التعليم فقد كان لهم أيضاً منهج في التربية تمثل في نظرتهم للحياة ومفاهيمهم للحياة الدينية .

ومن العلماء السودانيين الذين واصلوا تعليمهم في الأزهر الشيخ عبد الرحمن (٢) حمدنو الخطيب الذي تتلمذ على الشيخ السنورى وعاد لسودان ليقوم بتدريس مواطنيه وقد تخرج على يده عدد من العلماء نذكر منهم الشيخ عبد الله الأغش عميد أسرة الغبش والذي قدم أهله من دنقلا في الشمال ولد في بربر جنوبها وأنشأ فيها مسجداً مازالت شعلة العلم تنقد فيه منذ ذلك الوقت الى يومنا هذا

من تلاميذ الشيخ عبد الرحمن حمدنو الشيخ ابراهيم (٣) بن عسودى المعروف بالعرضى وسمى كذلك لطول بابه في علم الفرائض الذي ألف فيه حاشية عرفت بالقرصية وظل عاكفا على تدريس الناس في منطقة النيل الأبيض الى أن توفاه الله .

ومن الذين تخرجوا في الأزهر كذلك في تلك الفترة من الزمن الشيخ عبد الرحمن (٤) بن ابراهيم بن أبى ملاح الكماي والد الشيخ حوحي العالم المشهور في نونى . درس الشيخ عيسى الرحمن مختصر خليل

(١) د. سر الختم عثمان - اولاد جابر - ص ٢٥ .

(٢) محمد صيف الله - الطبقات - ص ١١٥ .

(٣) محمد صيف الله - الطبقات - ص ٢٢ .

(٤) محمد صيف الله - الطبقات - ص ١١٥ .

ومنظومته في التوحيد على الشيخ على الأجهوري وعاد ليشر العلم بدوره
في ربوع البلاد .

وهناك كثيرون غيرهم أمثال القاضي على ود (١) عشيبي الذي درس
على الشيخ السنووري وولي القضاء والشيخ محمد جمال الدين (٢) المعروف
بخلوي والذي كانت له دراية بالعناوي والأحكام نوردتهم على سبيل المثال
لا الحصر .

عاد أولئك الرواد إلى بلادهم بعد أن أخذوا عن أساتذتهم في
الأزهر ما تيسر لهم من العلم وما أمهلهم للتدريس والفتيا في بلادهم عادوا
وكن منهم يحمل أجازة علمية من استأذنه أو أساتذته كما جرت العادة
آنذاك ولم تكن تلك الأجازات تمنح إلا لمواهب الطلاب فما كان الأستاذ يقبل
لنفسه أن يسمح إجاره بغير مستحقها إذ يرتبط اسمه بهذه الإجازة
مثل ما جاء في الإجازة التي منحها العلامة ابن الحنف للعلامة القفصندي
إذ تنتهي الإجازة بقوله :

« . . . وأحزنت له مع ذلك أن يروى عنى من التآليف ومنها جامع
الحوائج أعانه الله على أكباله وكذا شرح « صحيح الإمام أبي عبد الله
محمد بن إسماعيل البخاري » ومنها « البدر المنير في تهريج الأحاديث
والآثار الواقعة في الشرح الكبير للإمام أبي القاسم الرافعي » وبه تكمّل
معرفة العمية ويصير محدثا فيها .

وأجرت له مع ذلك ما حاز لي وعنى روايته بشرطه عند أهله زاده
الله وآبائى من فضله ومنها الكتب الستة - البخاري ومسلم وأبو داود
والترمذي والنسائي وابن ماجه والمسائيد - مسند أحمد ومسند الشافعي
وغير ذلك » .

لقد أصبح أولئك الرواد والوافدون من علماء الأزهر المصريين
وتلامذتهم بناة المجتمع ودعماته فأقبل عليهم الطلاب من كل فج وأخذوا
يتنقسون العلم عندهم وينسوق مثالا لذلك ما ذكره مؤرخ دولة سنان
(١٥٠٤ - ١٨٢١ م) عن أحد العلمساء السودانيين الذين علا صيتهم
وهو الشيخ الزين بن صغير وكان قد درس على والده الشيخ صغير
الذي درس على الشيخ محمد السنووري في الأزهر فقد قبل أن الشيخ

(١) محمد صيف الله - الطبقات - ص ١٦٤ .

(٢) محمد صيف الله - الطبقات - ص ٧٦ .

الريس « جلس في حلقه أبيه من بعده وشهدت اليه الرجال وصربت آيات
الأبل وطال عمره واشهر ذكره وأخذت عليه الأبناء والآباء والأحماد
والاجداد وبلغ تدريسه خمسين حنة وبعث حلقه ألف طالب ونامته
أصبحوا شيوخ الاسلام » .

وهكذا نشأت المدن والقرى حول أولئك العلماء وتولت بيسوت
دينية بعينها تأسيس المدارس وإيواء الطلاب ونشر العلم في البلاد
منذ ذلك العهد الى يومنا هذا كمدارس الشافعية في دنقلا والعش في
بربر والمجاذيب في الدامر وفور العلم في شندى وبوئى والعيصون
وكترايج وأبي حراز وأم صوابان وكثير غيرها .

● العلماء المصريون الأزهريون في السودان

ولم يكن العلماء السودانيون الذين خرجوا في الأحرار هم وحدهم
حمله رسالته في السودان في ذلك العهد فقد كان هناك نفر من علماء
المصريين الذين اسهموا بقسط وافر في نشر العلم في ربوع بلادنا بذكر
مهم

الشيخ محمد (١) المصري القناوي :

واصله من مدينة ادفو بصعيد مصر درس على الشيخين سالم
السجهرى مفتى المالكية ويوسف الوراقاني والد الشيخ عبد الباقي
شارح مختصر حطيل وكان زميلا للشيخ أبي الحسن الشاذلي المصري
... قدم السودان في منتصف القرن العاشر الهجري الموافق القرن
السادس عشر الميلادي وتبعه بين مدته واستقر في مدينة بربر القديمة
المعروفة آنذاك بالمخريف بعد أن طاب له المقام فيها لجودة مناخها .

كان دافع الشيخ المصري القناوي لزيارة السودان والإقامة فيه
نشر العلم بين أبنائه ابتغاء وجه الله واحتسابا فيأدر بتشييد مسجده
بالمخريف واقبل عليه طلاب العلم من كل صوب وحذب كما ترك مؤلفات
في الشرح على عقيدة السنوسي الصغرى وكتاب العشماوية ورسالة
في السلسلة وشرح على الشمسسة في علم المنطق وسوا منصب القضاء

(١) محمد صيف لله - الطبقات - ص ٣٩ -

والذى باسمه سراهه وعدل وعرف بالتقوى والورع وكان قد عمر طويلا .

وقد سلك فيه الشيخ محمد (١) بن عيسى بن صالح المعروف بسوار الذهب الذى قرأ عليه العقائد والمنطق وعلوم القرآن وأصبح فيما بعد من أهل علماء السودان .

ومضى يخرج على الشيخ المصرى القناوى حفيد الشيخ محمد المصوى (٢) وطفيده هذا مؤلفات منها شرح التفسير المطبوع على من التوحيد وهو شرح مطول يكثر فيه من النقل عن كتب لها مكانتها فى من ابنه ويعد هذا الشرح أوسع من شرح الشيخ سعد الدين التفتازانى على العقائد السلفية . ومن تلاميذ الشيخ محمد المصوى الشيخ حوجلى عبد الرحمن أبو الجاز المعروف بأرزق بوبى ومنهم أيضا أولاد سوار الذهب الذين قدموا إليه من دنقلا وهم بنوهم رجعوا لبطنتهم يدرسون العلم هناك .

ثم انتقل الشيخ المصوى الى تندي جنوبا وأقام فيها هناك يدرس للناس الفقه المالكي - المختصر وشرح المختصر والرسالة وعلوم اللغة والدلالة والتفسير والحديث وقد بلغ عدد طلبته ثمانئة طالب .

الشيخ محمد بن علي (٣) بن قوم الكيماني :

وهو من العلماء المصريين - قدم البلاد حوالي ٩٧٠ هـ / ١٥٦٣ وزار ارضى في منطقة اجريده وسار ثم بربر حيث استقر بها ويقال انه اول من درس المذهب الشافعى في السودان وقد تعلم عليه كثيرون منهم الشيخ عبد الله العركى والقاضى دشتي الملقب بعاصي العدالة والشيخ ابراهيم القرصى .

وكان الشيخ بن قرم قد درس في مصر على الشيخ محمد الخطيب الشربيني أحد أعلام الشافعية هناك .

(١) محمد صيف الله - الطبقات - ص ١٦٥ .

(٢) محمد صيف الله - الطبقات - ص ١٩٢ .

(٣) محمد صيف الله - الطبقات - ص ١٦٩ .

● مؤلفات العلماء السودانيين

لقد عسى بعض أولئك العلماء السودانيين سألين الكتب الدينية (١) واللفوية أسوة برصفائهم في مصر والشام والمغرب والملاذ الإسلامية الأخرى نذكر منهم الشيخ أرباب بن عون المعروف بأرباب العقائد المتوفى عام ١١٠٢ هـ / ١٦٩١ م مؤلف كتاب الجواهر في أركان الإيمان ووصف الكتاب بأنه كان ذا نفع عظيم وقد علمت أن نسخة منه موجودة اليوم في المغرب ضمن مخطوطات أخرى كثيرة وأرباب هذا درس الفقه على الشيخ الزين بن صغيرون الذي درس على أبيه صغيرون وهو الذي قرأ على أخواله أولاد جابر وعلى الشيخ محمد السوفري في مصر كما درس أرباب العقائد علم النوحيد على الشيخ علي ودبري المتوفى عام ١٠٧٣ هـ / ١٦٦٣ م / والذي درس على الشيخ صغيرون الذي ورد اسمه آنفا .

كذلك ألف الشيخ إبراهيم بن عبردي المعروف بالعرضي كتاباً في علم القرائن وقد درس على الشيخ عبد الرحمن بن حمدتو الذي درس في الأهر على الشيخ المنوفري - غير أن أولئك العلماء أكثروا من شرح بعض الكتب التي كانوا يدرسونها طلابهم لتناسب المستوي العلمي أو المرحلي لطلابهم إذ أن بعض الشروح المعنوية كانت متقدمة الصارعة وعربية المبنى فسطورها بما يلائم فيشبههم وفي ذلك ما يدل على طول بأعهم في المعرفة وإصالة التفكير التربوي ومدى انضباطهم في سبل البحث العلمي .

ومى بعض تصانيف أولئك الفقهاء والتي جاء ذكرها في كتاب العلاقات :

١١٠، وإمام يوسف حسن - دراسات في تاريخ السودان - ١ من ١١١ إلى ١١٨ .

- شرح محاصر خليل لكل من صيف الله بن علي ومحاصر بن جوده الله .
- حاشية على مختصر خليل لمحمد بن عبد الله بن حمد الاغبش
- حاشية على خليل لموده التنفار .
- رسالة في الفتاوى والاحكام لعبد الرحمن بن جابر .
- شرح الرسالة لمكي النحوي الرباطي .

في علم التوحيد :

- شرح أم البراهين الصغرى والكبرى لعلي بن نرى وفيها منها سار بذكرها الركبان .
- الحاشية على أم البراهين - الوسطى والصغرى والعمدة لمحمد بن المصوى كما كتب شرحا في بدء الأمل لسراج الدين بن عثمان الاوشى وتوجد نسخة من هذا المخطوط في مكتبة المعهد العلمي بام درمان كانت ملكا للعالم السوداني الشيخ يوسف الطريفي المعروف بابي شرا المتوفى عام ١٢١٧ هـ / ١٨٠٣ م / وقد وصف صاحب الطبعات هذه الشروح والحواشي بقوله « شأنها ان تكتب بماء الذهب » .

وقد شرح عقيدة رساله ابن أبي رينه القيرواني كل من محمد المصوى ومكي النحوي الرباطي .

كما شرح مقدمة السنوسي كل من علي حموده الكاظمي (شرفان) وغانم أبو شحال وعبد القادر البكاي ومحمد بن عدلان الشايفي (شرفان) ومكي النحوي الرباطي الذي شرحها في أربعين كراسا ونظام عبد الله ابن دفع الله التركي فلفين على كبرى السنوسية ومفهمات الأشعرية .

وآلف مالك بن عبد الرحمن ولد حمد بن ثلاث حواشي على المرات كبرى ووسطى وصغرى وقد وصفت بأربعين كس في غاية الابداع .

وفيه قام بشرح الجررية وهي منظومة مشهورة في النحويين لشمس الدين أبي الخير بن ياسين الدمشقي القرشي الجرري من أئمة الحفاظ وعلماء القراءات المتوفى عام ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م كل من المصوى محمد المصوى وعبد الرحمن بن حمد الاغبش .

وحقيقة بعد سار أولئك العلماء على نهج أساتذتهم ومن سبقوهم من
معها المسلمين في الأكتاف من الشروح عند سقوط بغداد في أيدي المغول
وعهد المسانيك (١٢٥٠ م - ١٥١٧ م) والحكم العثماني في مصر
(١٥١٧ هـ - ١٨٠٥ م) إذ نجد العلماء أكثروا من الشروح بل وشرح
الشروح وأخصصوها والتحشية عليها ونهملتها وانسبها على ما فات
وأصعبها .

لقد عاش العلماء السودانيون في فترة كان الحكم العثماني يهتم
على صدر الأمة الإسلامية وبالذات مصر وهو عصر يمكن أن نسميه دون
معاله عصر انحطاط وضعف الثقافة الإسلامية واللغة العربية وإذا رجعنا
إلى علماء الأزهر في تلك الفترة لا نجد منهم من بلغ شهرة وشأوا بالمقارنة
مع مجموع العلماء الأفاضل الذين قادوا الفكر الإسلامي في مختلف فروع
كالوصفي والمويزي والسكي والعمرى وابن عقيل والسفسي وابن
حنبل والفيلسوف والمقري والحافظ بن حجر والعسقي والسجواني
والسيوطي وابن أبي عمير وغيرهم .

لقد كانت مكتبات أولئك العلماء تمتلئ بالمعنى من الكتب اقتنوها
وجمعوها بعد جهد ومشقة ودفعوا ثمنها كل ما كانوا يسكنون وكان جلها
أن لم تكن كلها ثأنيهم من مصر على يد الراجحي في طلب العلم فكانت
مصر مهبط كثير من هؤلاء الطلبة كما كانت مصدرا هاما للمهجرات العربية
وللرواد من العلماء الذين وضعوا الأساس الثقافي لهذه البلاد وهي طريق
ما يروى أن العفيف حامد الدين بن سنيما ناع عبدا ليشتري بشفه كتاب
الشبرا حيتي على حليل وكان أول من أحضر شرح عبد الباقي على حليل
إلى السودان وعبد الباقي هذا هو عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي
والذي كان يدرس في الأزهر وشهد له بالشعر في العلم والفقه وقد
توفي عام ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٨ م .

ويروي أيضا عن الشيخ عبد الرحمن بن صالح بن بان البقا المتوفي
عام ١١٧٧ هـ / ١٧٦٢ م اهتمامه باقتناء الكتب المتنوعة ولما مرغ من
سمح كل ما عثر عليه في داخل البلاد أرسل إلى مصر والمجاز ليشتري
غيرها فتكونت له مكتبة ذات ست خزانات كما أحضر العالم عمار بن
عبد الحفيظ الخطيب الذي ورد ذكره في غير هذا المكان رحيل أو ثلاثة من
الكتب من مصر وكذلك كان للشيخ ابراهيم العودي خطيب سنار ومدرستها
على مذهب الشافعي خزانة كتب موقوفة على طلبة العلم .

لقد ترك لنا أحد فقهاء السودان دراسه عن سير لثلاثين وسبعين من علماء السودان في ذلك العهد (٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م الى ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م) يدل على سعة معارفهم ونبوغهم في مختلف صنوف العلم وهول منلا عن الشيخ حجارى انه كان طبيباً ماهراً كانه ابن سينا في حكمته وشاعراً حاداً كانه كعب بن زهير في شعره وله معرفة بالخط الحسن كانه ابن مقله في خطه ويعرف جميع الافلام العبرانية والسريانية واليونانية وله معرفة بصناعة الكيمياء كانه جابر في صنعه وهذا لوصف وان كانت بشوبه المبالغة الا انه يلقى صواباً على نبوغ الشيخ حجارى كما يدل على ان فراء ذلك العهد يعرفون شيئاً عن الاعلام الذين ورد ذكرهم .

وهذا المعجم الذى نحن بصددده هو كتاب الطمق في خصوص الاولياء والصالحين والعناء والشعراء في السودان تليفه العالم محمد ضيف الله بن محمد الجعلى الفصلى المولود بجنفاية الملوك عام ١١٣٩ هـ / ١٧٢٧ م والمتوفى عام ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م وهو يتحدث عن سيرة علماء وفقهاء ومتصوفة ذلك العصر والمهمل الثقافى والفكرى الذى استقروا فيه وهو طبيعة الحال سجل هام لحياة السودانيين الدينية والثقافية والأدبية والاجتماعية والسياسية في دولة سار .

ويستهل المؤلف معجمه بمقدمة جاء فيها « . . . وبعد فقد سلسي جماعة من الاحوان أفاضوا عنيما وعنيهم سحائب الاحسان واسكتوا ياهاهم أعلى مراديس الحبان بحرمة سيد ولد عدنان فاحبت سؤلهم بعد الاستحارة الواردة في السنة وبعد الالهام مع انه لم يكن لأسلامنا وأسلافهم وصنع في هذا الشأن الا أن أخبارهم متواترة عند الخاص والعام منها ما بلغ حد التواتر عندهم فاحبت ان أذكر ما تواتر واشتهر من تلك الأخبار وذلك لأن الخبر المتواتر عند الأصوليين من الأقسام القينة التى تفيد العلم بالشئ وتنفى عنه الشك والظن والوهم وقد اقتديت بجماعة من المحدثين والفقهاء والمؤرخين فانهم اعروا في التاريخ والمناقب كالامام عبد الغافر الفارسي في تاريخ نيسابور والجلال السيوطي في كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة والحافظ بن حجر الف كتابا في علماء عصره سماه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة والشميع أحمد المقرئ الف كتابا سماه نفح الطيب في عصن الاندلس الرطيب وأخبار وزيرها لسان الدين بن الخطيب . . . » .

اهتم علماء المسلمين بعد ان وقعت البلاد الاسلامية في يد التتار بالتأليف وخاصة كتب التاريخ وتراجم الاعلام كما هو معروف وربما أخذ

مقدمته ذلك من كتاب حسن المحاضرة للسيوطي الذي يذكر انه افندى في كتابه ببعض من تقدمه ممن ترجموا لأنفسهم ومنهم عبد الصادر الفارسي في تاريخ نيسابور وياقوت الحموي في معجم الأدياء ولسان الدين الخطيب في تاريخ غرناطة والحافظ نفي الدين الفارسي في تاريخ مكة وابن حجر العسقلاني في فضاء مصر وأبو شامة في الروصين - ولكن يبدو انه تأثر في منهج الكتاب بالشميخ عند الوهاب الشعراي في كتابه . -

(الطغاة الكبرى) .

ويحس لا يود ان ينفق موقف الناقد للكتاب فهو على أي حال سمر عظيم عن فترة هامة في تاريخ الثقافة والفكر في السودان . لا عسى لأى باحث عنه . لقد وضعه مؤلفه باللغة السودانية الدارجة وحققه العابد السوداني دكتور يوسف فضل وعلق عليه وكتب عنه مقدمة مستفيضة لا عسى لأى باحث في تاريخ تلك الحقبة عنها .

كان ملوك سنار وسلاطينها يعطون العلماء ويخلو بهم ويسرلويهم مكانة كبرى في نفوسهم وقد كان أولئك الملوك على قدر كبير من العلم والفقه ويروى ان الملك السماري (١) ناصر بن «دي» الذي حكم من ١١٧٥ هـ / ١٧٦٩ م الى ١١٨٢ هـ / ١٧٦٩ م قتل وكان المصحف على يمينه والموط كتاب الامام مالك على شماله .

كان سلاطين سنار يسيرون وفدا محملا بالمال والذهب الى الأهرار بعد الحصاد من كل عام كما كان بعضهم يرسل علماء الأهرار ويجزلهم العطاء كما سجل ذلك العالم الأزهرى عمر (٢) المغربي في قصيدة بعث بها الى السلطان جادى بن رباط المعروف بأبى دقن - والذي حكم ثمانية وثلاثين عاما ١٠٥٤ هـ / ١٦٤٥ م يمدحه ويشكره على هداياه له مذكر منها في وصف سنار عاصمة الملك .

<p>ايا راكبا يسرى على متن خسام ويطوى اليه شقة البعد والنوى وينهض من مصر وشاطئ نيلها لك الخير ان وافيت سنارقف بها والق عصا التسبار في سوح انسها</p>	<p>الى صاحب العلياء والجود والبر ويغتحم الاوعشار في المهمة القفر وازهرها المعمور بالعلم والذكر وقوف محب وانتهر فرصة الدهر تجد كل ما تهوى النفوس من الأمر</p>
--	--

(١) عموم شقير - جغرافية وتاريخ السودان - طبعة دار الثقافة بيروت - ص ٣٩٨ .
(٢) احمد بن الحاج - كفتب الشوكة - ص ١١ تحقيق لشايف صبي

وعندما دالت دولة سمار بكى عليها شاعرها وباعها بفصله
بماش مرثية أبي البقاء صالح الرضى المشهورة منذ سقوط مدن الأندلس
والتي جاء فيها .

لكل شيء إذا ما تم نقصان
هي الأمور كما شاهدتها دول
أين الملوكة ذوو النيتجان من يمن
وأين ما شاهدته شهاد من أرم
وأين ما حازه فارون من ذهب
أنى على الكل أمر لا مرد له
دها الجزيرة أمر لا عزاء له
ببكى الحديقة البهجة من
على دنار من الاسلام خالصة
بالأمر كانوا ملوكا في منازلهم

قال الشاعر السوداني ببكى (١) على سمار ويصف مشاعر اللوعة
والحر واليرسل أحكاما عامة وروال النعم وان الدنيا دار رحيل لا تدوم ،
الى غير ذلك -

أرى لنهرى القبالا وأدبارا
يوما يريه من الاقتراح اكملها
والنهر هذا فلا تبقى محاسنه
فأين عاد وشهاد وما ملكوا
وأين كسرى وأين الوالى وقصرهم
آه على زمن قد كان في طرب
آه على بلد الخيرات شمسنا
فأوحشت بعد ذاك الانس وارتحلنا
وصار عمرانها المحسون متدسا
وأبدلت دولة الاعزاز من همج
فمنصب الملك والتعظيم منظم
ناجد كانوا كرام الناس منقبة
فلو رأيت بهم ما حل من ضرر

فكل حين يرى للهرء أخبارا
يوما يريه من الاحزان اكدارا
فيبدل المرء احسانا واضارا
وأين فرعون والنمروذ اذجارا
وأين جمعهم فقد صار أخبارا
كنا بجمع من الأحباب سمارا
أعنى بذلك دار الفونج سستارا
عنها الامائل بدونا وحضارا
يصيح يوم به فى الليل حرارا
كانهم لم يكونوا الدهر أوذارا
كانه لم ينل بالفخر اظهسارا
بسيرة كاملي الفضل أحرارا
أجريت دمك اغسلانا واسرارا

(١) أحمد بن الحاج كاتب الشرافة - مخطوطة - تحقيق الشاعر بوصيل ، ص ٨١ .

ففيهم حكموا الرصاص والنار
يرمي عليهم دموع الحزن انقطار
فقد حطيم بخير النزل اجساد
بكي مفاخرهم تنبيك احبار

أئمة الدين يا هذا لهم شرف
تبكي مساجد اهل الله خامدة
فاشروا بفضل الله سسادتنا
تبكي محاكمهم بكي ملائرسهم

ويلاحظ ضعف القصيدة والاختاء بها فهي من نوع الشعر الضعيف
الذي سبق بهضة الشعر في العالم العربي ولكنها نisar بحرارة عاطفتها
ومى قطع من ارمي اشعار ذلك العهد .

وبعد أكثر من مائه عام نكى سيار الشعر السوداني محمد سعيد
العباس بقوله :

زفرات هدت قوى الصبر هدا
كانت مرادا للمعتفين وخلصدا
كهسولا حموا حماك ومردا
وخيا خيلهم ومنسدى
زان ارجاءهسا مليك مفدى
لم بعثر لشير مسولاه حسدا
قتباروا فى الحرب والسلم جندا
ومسا خلفوا اعمرى ندا
يا كرام الحمى من الهول وردا

زوت سستار والجسوانج اسرى
ان محا الدهر حسننها فنفسد
لهف نفسى ففسدت يا قبلة الخير
كنت مشوى للاكرمين وميلانا
ورحبا قد زيتت وقبابا
عاش ما عاش وهو جد أبى
ارخصسوا فى هسواك كل عزيز
فرقتهم يسد الزمان اناويسد
قد شسقتنا من بعدكم فسوردنا

● الأزهر والقضاء والفتاوى فى سلطنة سنار

انتظم القضاء والفصل فى النزاعات المدنية والأحوال الشخصية عند قيام سلطنة سنار . فى عهد الشيخ عجيب (١٥٦٣ - ١٦١٠ م) رسم القبائل العربية المسجدة آنذاك وأحد حكام دولة سنار على أسس الشريعة الإسلامية أسوة بما كان يجرى فى مصر والشام والحجاز فى القرن العاشر الهجرى هذا مع تطبيق لبعض القوانين العرقية .

كان هناك قاض يحكم فى (١) جميع المنازعات بالقانون السماوى - القرآن الكريم ولم يكن موزعا الى مسمى وحائلى وأحوال شخصية وكان يشترط على القاضى أن يكون . -

حافظا للقرآن الكريم عارفا لأحكامه مجودا له وان يكون قد ألم بطرف غير يسير من علم الكلام أى التوحيد . وان يكون متبحرا فى علوم الفقه وان تكون دراسته على مذهب الإمام مالك اذ هو السائد فى السودان منذئذ وإلى اليوم . كما يشترط بعضهم ان يكون القاضى سالكا للطريق السوى وهو فى الأغلب الطريقة القادرية ومشتقاتها . كما يتعين عليه ان يعرف اللغة العربية ويلم بها الملم كالمها .

وقد يندجأ أحد المتقاضين اذا لم يكن راضيا عن حكم صدر عليه من أحد القضاة لقاض آخر ويعرض عليه قضيته فيما يشبه الاستئناف وهنا قد تحرى مناظرات ومحاورات بين القضاة يكون الحكم فيها على ما استمر عليه رأى القضاة وفى بعض الأحيان يحتكمون الى علماء مصر فيما نشأ

(١) محمد محى الدين - مشجحة السداد ص ٤٢٨ .

سبهم من خلاف (١) . كما حدث في قضية حكم فيها القاضي السوداني عبد الرحمن بن الشيخ الدويري منحرج الأهر على امرأة سبعت بثنت مائها فاصدته بذلك صرر روحها حكم يرد المبيع وبارعه ففيها زمانه وكاتبوا الشيخ الاجهوري العالم المالكي في الأهر فاجابهم بصحة الحكم مراعاة لعرف والمصلحة .

كذلك عندما دجن المبيع في مصر وبدأ اشهاره في العالم العربي ومنه السودان في نهاية القرن العاشر الهجري احضرت العلماء السودانيون فيما بينهم قصصهم من اباحه ومنهم من حرمة تماماً مثل ما جرى في مصر وقد وقف الشيخ (٢) ادريس الارباب العالم والمتصوف السوداني معارضا الشيخ علي الاجهوري الذي ألقى باباحته ومؤيداً الشيخ ابراهيم اللقاني صاحب جوهرة التوحيد في حرمة . أما العلماء السوداني الشيخ عبد الوهاب رجل أم سنبل . فقد عارض الشيخ ادريس وأيد الشيخ اللقاني محرماً استعمال التبغ وحزت مناظرات عدة بين العالمين السودانيين في ذلك ثم أرسل الشيخ ادريس رسالة خاصة الى الشيخ الاجهوري حملها رسول منه هو حمد ولد أبي عقرب يعارضه فيها ويورد له حجته في تحريم التبغ وكانت بينهما مراسلات ودية من قبل . كذلك كانت هناك صلات ورسائل مودة بين بعض علماء السودان وعلماء الأهر منها ما كان بين الشيخ محمد الحراشي امام المالكية في مصر وأول امام للأهر وبين العالم السوداني الشيخ ابراهيم صفيرون وقد أهدى العالم السوداني حارة الى الشيخ الحراشي الذي بعث له بدوره نسخة من شرحه الكبير على مختصر خليل في مذهب مالك الذي عم النفع به شرقاً وغرباً كما يقول المؤرخ السوداني محمد سيف الله الخوفي عام ١٢٢٤ هـ / ١٨١٣ م .

وتوجد الآن بعض الأحكام التي صدرت في العهد السباري (١٥٠٥ هـ - ١٨٢١ م) في نزاعات حول الأرض ما زال أصحابها يحتفظون بها وينخدونها وثائق لائحات ملكيتهم للأرض وقد قدمت للقضاء السوداني في الحكم البريطاني وسجلت لهم أراضيهم بمقتضى تلك الأحكام وهي تدل على ما كان عليه القضاء آنذاك من نزاحة وفهم للمسائل العلمية (٣) .

(١) ود سيف الله - الطبقات - ص ٩٩٤ .

(٢) ود سيف الله - الطبقات - ص ٩ .

(٣) القاضي يوسف برهم النور - صفحة من تاريخ السودان القديم - القضاء -

مقال في مجلة الفكر السودانية مارس ١٩٣٧ .

كان جل الفقهاء الذين تولوا القضاء في سلطنة سنار من مخرجي
الادهر أو ممس درسوا على متحرجيه ولم تكن نصرة لهم مرتسبات بل
السلاطين يحزلونهم العطاء ويصحبونهم أراض يعيشون منها وكانت
أموالهم معفاء من الضرائب والعشور ، كما لم يكن الحاكم يتدخل في أحكام
القضاة لأنها كانت قائمة على القانون السماوي ولم يكن أحد يحالفها
وبالذات فيما يختص بالأحوال الشخصية ادعس فسوقا وحروحا عن
حكم الشرعة .

● سلطنة دارفور والأزهر

أسس هذه السلطنة الإسلامية السلطان سليمان صولون عام ١٦٤٠ وبعت النهضة الإسلامية في هذه السلطنة أوجها في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين وقد اتسعت رقعتها حتى شملت إقليم دارفور بأكمله وجزءا من كردفان ثم سقطت في فترة الحكم التركي على السودان عام ١٨٧٤ وأصبحت جزءا منه .

لقد عمل سلاطين دارفور منذ عهد مؤسس الدولة الإسلامية سليمان صولون (١٦٤٠) م على تشجيع العلماء من مصر وسنار وتونس ودعوتهم للإقامة في بلادهم لتدريس أهلها أصول الدين الإسلامي كما شجعوا مواطنيهم للسفر إلى مصر طلبا للعلم في الأزهر وأقاموا لهم رواتبا هو رواتب دارفور . وكانوا هم أنفسهم يمثلون القدوة الحسنة لمواطنيهم فلم يكن يتولى المسكهم أي منهم إلا إذا كان حافظا للقرآن . لقد أقام أولئك السلاطين مساجد عديدة يكاد يكون في كل بلدة مسجد أو أكثر يتعلم فيه الصبية الكتابة والقرآن ومع كل مسجد روايا ومسكن للمجاورين لدراسة العلوم الشرعية ومن أشهر تلك المؤسسات العلمية خلاوى طره وشويا والطيبة وجوامع الفاشر وكوبى وحديد السيل وكان فقهاء تلك الدور العلمية من الأئمة المتفقيين في الإسلام .

وكان السلاطين يهبون العلماء القطعات من الأرض يعيشون عليها من ريعها هم وتلاميذهم .

لقد انتقل إلى دارفور من سنار علماء سودانيون تخرجوا في الأزهر أو درسوا على علماء من متخرجي الأزهر أفادت منهم البلاد هناك ولقوا

حطوة عند سلاطينها ذكر منهم الشيخ أبا سرور العسلي الجعفي وكذلك
الشيخ أبا زيد بن الشيخ عبد القادر والشيخ حسن ولد عماري .

ومن أشهر منوك دارفور الدين شجعوا هجرة العلماء لدارفور هو
السلطان عبد الرحمن الرشيد (١٢٠١ - ١٢١٥ هـ / ١٧٨٧ - ١٨٠١ م)
لما عرف عنه من علمه وحبه للعلماء وقد وعد عليه عدد كبير فذكر منهم
من قبيل المثال الشيخ عمر النوسي الذي تخرج في الأزهر وكان قد
قدم سنار أولا ثم دارفور حيث لقي هناك رهطا من علماء دارفور احتضنوا
به وأكرموه منهم الفقيه مالك الذي وصفه محمد بن التونسي بأنه أعظم
الوزراء العرب ومنهم الفقيه محمد كريتيم والشريف سرور بن أبي الجود
وعبد الكريم بن الفقيه حسن ود عووضه وأحراهم ومنهم الشيخ عمر الدين
الجامعي وحسين ود عماري ومما من مخرجي الأزهر والشيخ غرباوي
وغيرهم

لقد قويت شوكة الاسلام في دارفور في عهد هذا السلطان وأولئك
العلماء ويقال ان السلطان بنى سبعة وتسعين جامعا في سلطنته اصحح
موتلا لطلاب العلم والدرس .

وبعد وفاة السلطان عبد الرحمن الرشيد خلفه ابنه محمد الفصل
(١٢١٥ - ١٢٥٤ هـ / ١٨٠١ - ١٨٣٩ م) الذي تولى تربيته وتعليمه
هو وأولاده الفقيه الأزهرى حسين ولد عماري ولعله من المناسب ان ننقل
نص الكتاب (١) الذي ورد به السلطان محمد الفضل على رسالة محمد عني
باشا عام ١٨٣٠ يدعو فيه للتسليم والخضوع له أسوة ببقية بلاد
السودان وقد حرر ذلك الكتاب العالم الارهرى ود عماري .

« الحمد لله الذي حكم بين عباده بالحق قطعا سبحانه يجرى كل نفس
بما تسعى واليه المعاد والرجعى وهو حسبي وكفى . من حضرة من آمن
الله به البلاد يجعل ملكه مسجعا من كل أحد وصيره في قلوب الأعداء
نارا تسنعر وحجرا يتوقد وجعل الله على يده ضرب من طغي وسود ومن
ضل وتعند وهو شاب صغير السن ولو صار كهلا خضعت له الانس
والجن وقد اشتهر بالكرم والجود وحال بعوارضه انجم السعد وان قامت
الهباء بنفسه يحود وبصل الى الأعداء بقواطع اليهود ويتنصر بعون الله
على كل موحود .

(١) علوم شمس - حراوية واريخ لسودان طبعة دار الثقافة بيروت ص ١٦٣ -

هو مولانا السلطان محمد الفضل بن عبد الرحمن الرشيد أعزه الله .
 « إلى حصرة الكوكب العالى والبير المتلالى بهجة الانام وقدوة الليالى
 صاحب العز والافتخار احسب العزيز محمد على باشا مسلمكم الله تعالى من
 المحذورات واستعملكم بالباقيات الصالحات يسه وكرمه . »

أما بعد :

فسلام عنكم ورحمته وبركاته لديكم قد وصلنا جوابكم أوصلكم
 الله الى رسوالة وفيهما خطابكم وبمقتضى جوابكم وكل كلمة من المرقوم
 يستحق حواشي المفهوم ولكن يكفى من ذلك كلمة الى القيوم حيث قال
 (له دعوة الحق والدين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كياسط
 كفه الى الماء لئسم فاه وماهو سالفه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) . .
 « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا » .

انكم طالمون دولتنا وانقيادنا لكم هل بلغكم انسا كهار وحب لكم
 قتالنا وأببح صرب الجرية علينا أو عركم قتالكم مع متوك سنار والشايقية
 فبحر السلاطين وهم الرعية « أورد لك دليل من الله تجد فيه ملكك أم
 ورد لك حديث من رسول الله تجد فيه بملكك أم خطر لك خاطر من عقلك
 بأن لك ربا قويا ولنا رب صغير الحمد لله نحن مسلمون وما نحن كافرون
 ولا مستدعون ندين بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . »

لؤدى الفرائض وتشرك المحرمات ونامر بالمعروف ونهى عن المنكر
 والذى لم يصح تأمره بالصلاة والذى لم يرك تأخذ منه الركاة ونضعها
 فى بيت المال ولا نلحقها ويرد الأمانات الى أهلها ولعطي كل ذى حق
 حقه . . . دامت لنا القبائل العظام ومن أنى دولتنا يرجع مكرمه بأذن الله
 تعالى ولو اشتدت به الريح فى يوم عاصف ألم تر الى قوله صلعم « لو
 نرى جبل على جبل لك الباغى » أما علمت ان دارفور محروسة محمية
 بسيوف قطع همدية وخمبول حرد أذهمية وعليها كهولة وشبان يسرعون
 الى الهيجا ككرة وعشبة . أم علمت ان عبدنا العباد والزهاد والاقطاب
 والأولياء والصالحين من ظهرت لهم الكرامات فى وقتنا هذا هم بينا
 يدعون شر تاركهم فتصير رمادا ويرجع الملك الى أهله ويكفى من بعد ذلك
 والله يكفى شر الظالمين » .

استلم محمد على باشا الرسالة ولم بشأ ان يحارف ويرسل قواه
 بغزو دارفور وانتهى بذلك الأمر الى ان سقطت عام ١٨٧٤ على يد القائد

السوداني الزبير رحمة باشا وصمها للسودان في عهد الحسك التركي والكتاب يصور في ايجار ما كان عليه الحال واحكم في دارفور من عهد بالنسة والكتاب وأثر العلماء والفقهاء في المجتمع الديني بطبيعة الحال .

وفي عهد السلطان محمد الفصل أنى العلامة الأزهري محمد عمر التونسي الى دارفور عام ١٨٠٣ ليحسب بوائده هناك والى ورد ذكره أنفا عندما هم والده بالعودة الى بلاده تونس طلب منه السلطان محمد الفصل ان يبقى معه في دارفور بدلا عن أبيه - أقام محمد التونسي في دارفور سبع سنوات ألف بعد عودته لمصر كتاب « تشجيد الأدهان بسيرة بلاد العرب والسودان » والكتاب يعتبر مرجعا هاما عن دارفور في تلك الفترة . تحدث عن القبائل هناك وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقدات بعضهم وكل ما يتصل بمجتمعاتهم وبالرغم مما حواه الكتاب من مبالغات وتحامل على المرأة السودانية الأمر الذي لعت النظر اليه المؤرخ السوداني محمد عبيد الرحيم الا انه أسدى خدمة جليلة للعلماء ومؤرخي ذلك العهد في دارفور .

يعتبر محمد عمر التونسي أحد رجال الازهر الذين نهضت الصحافة والناثيف الأدبي على أكتافهم وهو المحقق النحوي والعارف بالمصطلحات القديمة ومؤلف الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية .

كما زار السودان العالم اسوسى الازهرى محمد رين الدين (١) وأوصى فيه عشر سنوات كان يعلم الناس ويمصرهم بشئون دينهم ونسقل في ربوع البلاد في سنار وكردفان ودارفور ووداي وكتب مخطوطا عن رحلاته هذه ولكنها فقدت وبشرت ترجمة لها بالنسة المركة في اسطسول عام ١٨٤٦ وصف فيها حضارتي دارفور ووداي وأطمعتها الاجتماعية وأورد بيانات مفصلة عن حياة القبائل هناك وتقاليدها وتجارنها ويعتبر ذلك الكتاب نعمة قيمة لكتاب التونسي عن دارفور الذي سماه تشجيد الأدهان .

كان زين الدين هذا على اتصال وثيق بالعلماء الأوروبيين الذين أقاموا في مصر في عهد محمد علي باشا .

لقد كانت في دارفور فعلا نهضة دينية مرموقة وكانت النت هناك معلم قلى الولد بل كان شرطا أساسيا للرواح ان يكرز الروحان مصاحبي ولذلك ليس غريبا ان نجد معظم نساء دارفور هن كمار السن يعرفن

(١) الأصول التاريخية للعلاقات العربية من ١٦٦٣ - ١٥ كمال دكوبا قاسم - منظمة العربية لشرية والشفاعة والتدوم - معهد السحت

العراة والكتانة ويحفظ القرآن وكان مما أجد على المائدة السودانية
الزبير باشا رحمة أنه حارب وقضى على دوله بدين بالاسلام وبمستسك
به ويحرص ساؤها على حفظ القرآن كرجالهم بالفعل .

كان في دارفور انداك علماء وفقهاء معروفون قبل سقوطها على يد
الزبير رحمة عام ١٨٧٤ وكانوا يحظون بمكانة رفيعة في بلادهم وقد
وصفهم الزبير رحمة بأنهم اجل علماء دارفور وكان قد كتب اليهم راجيا
التوسط بينه وبين السلطان ابراهيم حتى لا تقع حرب بينهما حقنا لدماء
المسلمين ، هؤلاء الفقهاء هم سلامة بن العقبه مالك وفجر الدين بن العقبه
محمد سالم والفقهاء سالم والامام الصو بن الامام المصري امام السلطان
ابراهيم ولعلمهم من متخرجي الازهر كما علمت . وعندما صمدت دارفور
للسودان في عهد الحكم التركي كما ذكرنا بواحد اليها وعمل فيها فقهاء
ارهميون نذكر منهم العلامة أحمد محمد الحدادوي الذي عمل في القضاء
ثم عمل مدرسا لمدرسة الخرطوم وكذلك العالم السوداني محمد المدوي
متخرج الازهر وتلميذ الشيخ عيش والدي أصبح هيمما بعد شيخ علماء
السودان والشيخ عبد القادر اسماعيل الكردفاني وقد ورد ذكرهم آنفا .

كانت لدارفور محاكم شرعية بحكم على كتاب الله وسنة رسوله
صلعم ويقضى فيها علماء على مذهب الامام مالك وكان جل قضائياتها من (١)
منخرجي الازهر كما كانت لها محاكم عربية تقوم على أساس العسري
السائد آنذاك .

وليس من السهل تحديد العلماء النابهن الذين لعبوا دورا محمودا
في نهضة دارفور في العصر الحديث الا أننا نذكر منهم الشريف محمد
الامين كزار والشيخ محمد أحمد آدم تيراب والاستاذ محمد أحمد سوار
والشيخ يعقوب حسين .

(١) القاضي حسين سيد أحمد المفتي بطور لقضاء في السودان ص ٥٩ .

● الحكم التركي في السودان

(١٨٢١ - ١٨٨٥ م)

نادى الشعب المصري بمحمد علي باشا واليا على مصر بعد ثورة كبرى في مايو عام ١٨٠٥ م الموافق لصفر سنة ١٢٢٠ هـ وما ان دامت له البلاد حتى بدأ يصفى الثورة شيئا فشيئا ويقهر رعماءها ويشفيهم ويسخر طاقات الشعب المصري لتحقيق مصالحه ومآربه . وقد تورط في حروب لا حاقة له بها وكان أشدها إيلا ما تلك التي شنها على الثورة الوهابية في الجزيرة العربية والتي كانت تنادى بيقظة اسلامية وبتحرير الشعوب من الاستبداد التركي .

— كان الرجل يرفو يبحره الى السودان كغيره من حكام مصر منذ فجر التاريخ وأرسل وفدا الى ملك سنار (السودان) كمظهر لمودته ومدحلا لصادقته وملتصبا منه طرد المماليك الذين لحأوا الى السودان بعد أن فتك بهم في مصر وقطع أوصالهم ولكن مهمة الوفد الحقيقية كانت التعرف على أحوال البلاد وتقدير ما يلزمه من جيوش وعتاد لغزوها وعاد الوفد موضحا حالة الانقسام والتفكك الذي اعتري جسم دولة سنار وقد شجعه احد زعماء القبائل السودانية وهو الملك نصر الدين زعيم قبيلة الميرغاب فدعاه لغزو البلاد .

وكانت الفرصة مواتية لمحمد علي لتحقيق مخططة فبادر باستصدار فتوى تسوغ له فتح السودان حيث ان الشرع الاسلامي لا يبيح حروب المسلم للمسلم كما اتصل بسلاطان تركيا ولعله السلطان محمود الثاني بسنأذنه في فتح السودان وضمه الى مصر وقد وافق السلطان على ان يكون الفتح باسم خليفة المسلمين .

واسرع محمد علي باشا فسير في عام ١٨٢٠ جيشا بقيادة ابنه اسماعيل باشا لفتح البلاد واطهارا لحسن نواياه واستغلالا لعواطف الناس الدينية أرسل مع الجيش الفاتح ثلاثة من نخبة علماء الأزهر يمثلون المذاهب الدينية وهم القاضي محمد الاسيوطي الحنفي والسيد أحمد البقلي الشافعي والشيخ أحمد السلاوي المشرقي المالكي وأوصاهم أن يحثوا أهل البلاد على الاستسلام والطاعة دون حرب بحجسة أنهم مسلمون وإن الخضوع لحلالة السلطان أمير المؤمنين وخليفة رسول المسلمين واجب ديني وقد سهل هؤلاء له مهمته لما عرف عن أهل السودان من نزعة دينية مضافا إلى حالة التفكك القبلي الذي كانت تعاقبه البلاد وأصبح السودان أو كما كان يعرف سنار خاضعا لمحمد علي وعرف ذلك العهد الذي امتد من عام ١٨٢١ إلى ١٨٨٥ م بالحكم التركي .

● اغتيال اسماعيل باشا (١)

بعد أن تم لاسماعيل باشا بن محمد علي باشا فتح السودان قفل راجعا إلى مصر وفي طريقه إليها وعند مدينة شندى « ترك الباشا خياله في مكان يبعد نحو عشرين ميلا جنوب شندى وأسرع مع نفر من مماليكه الخواص وطبيبه وخازن داره إلى شندى وما أن دخلها حتى استدعى الملكين نمر والمساعد منكى قبيلة الجعليين وطئب منهما أن يحضروا من النقود والماشية والجمال ما يقدر بنحو عشرين ألف جنيه حسب بعض الروايات أو على وجه العموم مبلغا تقصر مواردهم عن أدائه .

كان اسماعيل يرهب والده ويخافه وقد عرف من الخطابات التي بعث بها إليه أن ما وصل مصر لم يكن بالشئ المنتظر من بلاد عرفت بخيراتها الوفيرة فهو يريد أن يقدم لوالده هدايا قيمة من اقلية الذي فتحه وإن ينال الرضاء والتقدير وهو لم يسر من الملكين نمر والمساعد منذ أن قابلهما لأول مرة ولم يرض إلا بتسليم الملك نمر نفسه حين بعث هذا بايعه لمرافقته وجيشه الغازي في طريقه لستار ثم انه لم ينم عليهما بسيف علامة الحلف والمعاونة ولم يانس لهما حين غادر شندى جنوبا بل أخذهما في ركابه تحت المراقبة وأوكل بحراستهما الملك شاويش ملك الشايقية وحيالته .

(١) د. علي شبيبكة - السودان في قرون - كذلك راجع محمد عبد الرحيم النداء من

دفع الاقتراء من ١٠٤ .

دمش سر لهذه المطالب وابتدى اعتراضه فى لعه وقوة لم يرص
عنها الباشا وما كان لمر أن يخاطب بغير هذه اللغة لانه نشأ على أن
يأمر ويعود الحصوع والطاعة مع استقدير من شعبه وما كان للملك ومنك
الجعيلين حاصسه أن يراوع فى كلامه أو أن يتحدث بلغة الدبلوماسية
وكانت لحظة حاسمة ، هذا اسماعيل ببلغ سبعة وعشرين عاما فى عتقوان
شده وابن عزيز مصر وفائع مملكة سنار والقاضى على حكمها وهذا سر
عاهل أولاد جعل أعز القبائل فى السودان والمتحدرة من سلالة العباس
عم البى (صلعم) ولا مجال للتحقيق فى صحة سببتهم أو شسعوورهم
بالسامى والتفوق لأنهم نشأوا على هذه العقيدة ويستجيبون للمؤثرات
ويسامعون مع الحوادث على هذه الأفكار والآراء وإذا اضطرت الافكار ...
القاسية سرا لأن يجلس أمام الباشا فى دل وانكسار فان لهجة الأمر
اللى كان اسماعيل يحاطه بها وثقل المطالب زادت نار الثورة المحبوة
بين الجوانح نأججا واشتعالا ومارد الباشا على اعتراض نمر بكلمة قد
تحتمل مهما كان وقعها ولكنه صمغ الملك على وجهه يعليونه الطويل .

طبيعى لشل سر وهو كما وصفناه عزة وقبيلة ان يرد الاسساءة
اللى لحقته فى الحال وفعلا كما روى قد هم بسحب سيفه غير أن المساعد
قد عمزه بيده فى رواية وتحدث معه بلغة البشاريين فى رواية أخرى
نأن يرجى الانتقام لفرصة أخرى ولو عرف اسماعيل طباع الشعب الذى
أخضعه لم يرتكب هذه الغلطة ولكان مد فى عمره أياما أخرى وأبعد البلاد
مما أعقبه مقتلته من خراب ودمار ولكن هكذا أرادت مشيئة الخالق .

دبرت المؤامرة منذ تلك اللحظة بأن تغيرت سحنة نمر وأظهر
القبول وتسليم المطلوب غدا وجهزت الدلوكة (الطبل) لتضرب احتفاء
بالباشا وأسكر القوم حتى ناموا وأثناء السرور والانشراح وضع القصب
الحاف حول مقام الباشا وأشعلت النار فى بهيم الليل ووقف الجعلون
بسبوفهم يقضون على من يخترق النيران ويخرج الى الفضاء ويقال ان
المماليك أظهروا اخلاصا لسيدهم بأن ترامسوا عليه فمات بالاحتراق
لا بالاحتراق فى ليلة ١٧ صفر ١٢٣٩ هـ (أكتوبر ١٨٢٢ م) هكذا
تروى القصة بنماصلها وقد تختلف فى بعض اجزائها من رواية آخرين
ولكنها فى جوهرها تقول بأن الأسباب هى مطالب باهظة مصحوبة باهانة
بالغة وان الرد كان اعتيالا دبر وأحكم تدبيره والوثائق الرسمية لا تنير
الطريق فى هذه المسألة فهى تركنا واسماعيل قد غادر ود مدنى الى
الشمال فى طريق عودته لمصر .

وسرعان ما انتشر خبر مقتل اسماعيل باشا وتحركت البلاد في ثورة كانت تجتس في الصدور زهاء عامين من الزمان فقد دخل اسماعيل باشا السودان فاتحا له باسم خليفة المسلمين ولم يجد مقاومة تذكر بل سارت حملة الفتح كما وصفتها مؤرخ سوداني كسير السائح لاكسبير الفاتح ولكن في مدى العامين ظهر الحكم على حقيقته وغضبه وكثر عن ثابه .

ولم تحتل حاميات الحكم الحديد الهجوم عليها من قبل الثوار في كرري والحصاية والحرطوم والعلفون والكاملي وأحطرت المحروسة (مصر) .

وكان محمد حسرو الدرملي والمعروف بآلدفتردار في كردفان بعد ان أخضعه للحكم الحديد وهو صهر محمد علي باشا روج استسه باذلي ماشم وبولي مبادء الجيش الفاتح بعد مقتل اسماعيل باشا وطلب منه أن يقمع الثورة الشائنة آنذاك فهب من حبيته موجها الى الأبيض يقسم ويسفك ويحرق القرى واحتمت القبائل بالحزر على النيل وبوجه شمالا فقتل أهلها ولم تسلم منه حتى بيوت الله فخر بها وحرق من احتموا بها وهرم الملكين مر والمساعد وبمقهما حتى دخلا حدود الحبشة . وقتل في الممة (١) من الأسرى ثلاثة آلاف اد حاول واحد منهم تسديد صرة له بالحربة ، أحرق الممة وشندى وكبوشية والدامر في الشمال واستمر شهورا يحرق البلاد وشياطين الدمار والخراب تسير في ركابه ناشرا الدرع والوعب في نفوس المواطنين حيث فبك وقمل سكان الحلفايه وبوي والعلفون .

لقد جمع الأسرى عشرات الآلاف رجالا ونساء في ررائب وجعل يدخل لهم الماء بالجداوي وفيهم أبناء الملوك وذراي الائمة الاعلام فمنهم من مات في الحبشة ومنهم من أرسل الى مصر بما فيهم عدد من نساء الملك مر وبانه وخالانه وعماته ليباعوا هناك في سوق الرقيق .

ولم ينج من سيف الدفتردار أحد حتى العلماء فقد قتل في الممة المسيح الربيع السنهوري العالم وأكثر من مائة طالب أمامه كانوا يدرسون عليه الفقه المالكي وقتل العالم قمر الدين حميد الشيخ مخلوب وحرق

(١) راجع كاتب الثورة - مخطوطة - بحقيق الشاهر صليل من ٩٢ - ٩٧ ومصر صائح خرار وتاريخ السودان الحديث .

مسجد الدامر كذلك قتل بالمدمع الشيخ ارياب الكامل خليفة ارباب العقائد مؤسس مدينة الخرطوم كما قتل الشيخ صالح ولد بانقا العالم الذي ورد ذكره آنفا وقبض على العلامة العقية ابراهيم عيسى مؤسس المسجد المعروف وضرب ضربا مبرحا .

لقد قدر مجموع من قتلوا في حملة الدتودار الانتقامية بثلاثين ألفا وانتهت بذلك صفحة دموية لم يشهد السودان مثلها تركت جرحا غائرا في قلوب المواطنين سنوات عديدة وفر منهم من فر الى حدود البلاد الشرقية وتركوا المدن والقرى خالية خاوية ويروى أن من ضمن الأسباب التي دفعت محمد علي باشا ان زيارة السودان عام ١٨٣٩ م محاولته لرأب ما صنعته (١) الدتودار ولم يدع سبيلا لارضاء السودانيين الا سلكه .

(١) ابراهيم فوزى - السودان بين يدي غردون وكنتشر .

● الطلاب السودانيون يقبلون على الأزهر

لقد نوهى القاصى محمد الأسيوطى الحمقى فى مدينة ود مدنى بعد عام من فتح البلاد أما الشيخان أحمد البقل وأحمد السلاوى المالكى فقد رجعا الى مصر .

وبذلك شهد السودان عهدا ازدهر بمصر ارتباطا وثيقا فى كل المجالات بعد أن قامت لأول مرة فى البلاد حكومة مركزية وانتظمت فيها كل أسباب السلام وازداد اقبال السودانيين على مصر للاستفادة من العلم فى رحاب الأزهر وهاجر الكثيرون بها لا يتسبح المحال لذكرهم هنا وأقام بعضهم بمصر واستقر بها وعاد الآخرون الى بلادهم ليعمل فى نشر العلم وتمصير الناس بشئون دينهم .

ويرى أن سودانيا اسمه محمد على وداعة قد حصر الى مصر طلبا للعلم فى الأزهر ووجد هناك ستة من الطلاب السودانيين وبعد خمس سنوات من مواصلة دراسته فى الأزهر تقدم بياضة عنهم لوالى مصر باشا (١) رواق خاص بهم وقد وافق محمد على باشا على طلبه وأنشأ الرواق عام ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ م وقد حمل اسم رواق السنارية نسبة الى سنار الاسم الذى يطلق على السودان وكان الشيخ عجيب أحد ولاية دولة سنار (١٥٠٥ - ١٨٢١ م) قد أنشأ رواقا لهم بموقف عنه الممدد منذ آخر دولة سنار .

(١) عبد العزيز عبد المجيد - التربية فى السودان - ص ٢ من ١٩ .

كان الطلاب السودانيون من أبي محمد (المصير) محبوا وشرقيهم الذين يتحفون بالرواق ثم انشئ فيما بعد رواقان - رواق دارفور وكاست دارفور سبطنة منقصة عن سائر رواق (١) البرابرة وهو خاص بالطلاب النوبيين السودانيين وقد تغير اسمه الى رواق شمال السودان بناء على رغبة امها السيد عبد الرحمن المهدي للشيخ مصطفى المراغي شيخ الازهر عند زيارته له في الازهر في مطلع الثلاثينيات .

اهتم محمد علي باشا وحفيده اسماعيل باشا بالمعجم الديني في السودان فخصصا المنح والاعانات المالية للمعجم والعقهاء كما سبقت وعمرت في عهديهما كثير من المساجد والخطايا والزوايا التي كانت بحق مراكز للاشعاع العلمي والديني . في طول البلاد وعرضها كما شجعا النحاة السودانيين بالازهر وقد كان هناك من حكم السودان في ذلك العهد من أبدى اهتماما بالغا بايقاد السودانيين للازهر لمواصلة تعليمهم مثل الحكمدار جعفر مظهر (١٨٦٦ م - ١٨٧١ م) المصري الجنسية والذي كان ذا ثقافة واسعة وعلم نافع وقد وصفه الرحالة الفرنسي ف . لافاركو بأنه « رجل كتاب ومسجد » (٢) وكان يقرب اليه العلماء السودانيين مما جعلهم يلتفون حوله وكانت تربطه صداقة بالشيخ الأمين الضريير صير علماء السودان .

كتب الحكمدار جعفر مظهر لمصر يطلب الموافقة على إرسال معونات من الطلاب السودانيين حفظ القرآن ومن حصوا على بعض مبادئ النحو والفقه بعبء الانتساب للازهر لفترة ثلاث سنوات يمددون بعدها لأهلهم رسل ثقافة دينية سليمة ودعاة دين قويم ولعل مما حدا به لذلك حشيته من انشاع نفود رجال التصوف الذين انغمسوا في ربوع البلاد بعد أن سمت مكنتهم وأصبح لهم أثر كبير وسط المواطنين . .

وقد صاحب معه طالبين سودانيين من كسلا (٣) عندما غادر البلاد لمواصلة تعليمهما في الازهر وقام بتقديمهما بنفسه للشيخ مصطفى العروسي شيخ الازهر حينذاك وأوصاه بهما خيرا .

(١) هذه الرواية لصفا على الشيخ محمد المبارك عنه انه شيخ علماء السودان الاسوي .

(٢) د . غوثي الجمل - تاريخ السودان وادي النيل ج ٢ ص ١٤٦ .

(٣) د . عبد العزيز عبد المجيد - الترميز في السودان ج ٢ ص ٦١ .

وحاصله الموت شهد ذلك العهد حشرات متلاحقة ومنصلة للارهر
وبوسعنا ملاحظ في التعليم الديني والانتظام العلماء السودانيين في سلك
المدرس والفضاء الشرعي .

ثم ادخل التعليم المدني الحديث وعرفت البلاد لأول مرة مدارس
في بعض مدنها على عرار ما كان يجري في مصر وكانت تدرس فيها اللغة
التركية وبعضها الفرنسية والرياضيات والجغرافيا والتاريخ كما كان
يدرس فيها علماء من الازهر علوم اللغة والدين كشرح الكفراوى وشرح
الشيخ خالد أو شرح الارهرية وشرح ابن عميل على العية ابن مالك
ويمكننا من ذلك أن ندرك المستوى العلمي الرفيع الذي بلغته تلك
المدارس .

● متخرجو الأزهر السودانيون

في العهد التركي

(١٨٢١ - ١٨٨٥ م)

ومن الرعيل الأول من السودانيين الذين تخرجوا في الأزهر وعادوا لينشروا العلم في بلادهم أسرة عيسى بشارة الانصارى . وعيسى بشارة هذا هو أحد أئمة الدين والعلماء العاملين ولد في المدينة المنورة في أوائل القرن العاشر الهجرى وفيها حفظ القرآن ثم سافر الى مصر في طلب العلم وتفقّه في الأزهر على شيوخ الاسلام - الشيخ زكريا (١) الانصارى الشافعى الذى وصفه ابن اياس في بدائع بأنه « الامام العالم العامل شيخ الاسلام والمسلمين مفتى الانام في العالمين بقية السلف وعمدة الخلف عالم الوجود على الاطلاق ومن ذكره شاع في الافاق » المتوفى عام ٩٢٦هـ / ١٥٢٠ م وكذلك على الشيخين محمّد البنوفرى المالكي وبرهان الدين بن أبى شريف قدم الشيخ عيسى السبودان وتزوج بنت ملك الجموعية وانشأ مسجداً في قرية كترانج التى تقع في الضفة اليمنى للنيل الأزرق على بعد ٣٦ ميلاً جنوب الخرطوم وقد اقبل الناس على الشيخ عيسى وأبنائه وأحفاده يتلقون عندهم العلم وكان الشيخ عيسى بارعاً في المذهبين المالكي والشافعى وناشطاً في العلوم المعقولة والمنقولة .

يعتبر مسجد كترانج أول معهد علمي في السودان الاوسط ومازال يؤدي رسالته الى اليوم أى ما يقرب من خمسة قرون وقسّد الحق به مسجداً آخران بعد أن ضاقت مساحته بوفود الطلاب والدارسين والمهاجرين .

(١) عز الدين الأمين - قرية كترانج وأثرها العلمي على السودان -

اقبل بعض من أفراد أسرته الشيخ عيسى على الدراسة في الارض
وتلقوا العلم على أيدي نقر من أساتذته التابيين حيث منحهم احزاب
علمية تشهد ببلو كمعهم في العلوم الشرعية والفناوى على المذاهب الثلاثة -
المالكي والشافعي والحنفي .

لقد كان فضل هذه الاسرة على السودان كبيرا فقد وحيبت الهسلاد
أكثر من أربعين عالما وفعيها عملوا في نشر التعليم في مختلف العهود ابان
سلطنة سار وثناء الحكم التركي وفي فترة الحسكم البريطاني على
السودان وبالطبع فقد تفاوتت منارل هؤلاء العلماء من حيث حصيلتهم
الدينية ومن حيث عظائهم ولكنهم أسهموا جميعا في بناء دنك الصرح
الدينى العتيد الذى كان أول مركز اسلامى يشيد في السودان الاوسط .

من علماء هذه الاسرة البارزين الشيخ أحمد بن عيسى المتوفى في
سنار عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م وكان قد حفظ القرآن في كترايج ثم
سافر الى مصر ودرس على شيوخ الاسلام أحمد الدردير ومحمد الاهد ير
والشريف مرتضى الربيدى وغيرهم ثم عاد واشتغل بالتدريس في مسجد
جده عيسى بن بشارة ويعتبر وبحق اعظم علماء السودان في عصره
وأكثرهم حذقا للعلم وكان لا يكتفى بالتدريس في مسجد كتراج بن
يتنقل الى سنار قصبة البلاد انذاك حيث كانت حلة درسه يؤمها طلاب
العلم من كل ربوع السودان ومن الاقطار المجاورة .

وعند وفاة الشيخ أحمد ود عيسى رثاه الشيخ أحمد السلاوى العالم
المالكي والذي قدم السودان مع الجيش التركى القانج وقصد عين قاضيه
لقصة السودان بقصيدة طويلة وتحدث عنه بقوله : -

« وبالحسنة فما وجدت في بلاد السودان عالما أعلم ولا أروع
منه ومن تلامذته ولا وجدت منهم عالما انظف ولا اصفى من علمه
وبلامذه عندى مقدمون على ساير علماء السودان حنى وليهم جميعا
نيابه القضاء والاقتناء والتدريس في اماكنهم في الجزيرة
وكذلك نعاه الشيخ أحمد كاتب الشونة في مخطوطته تاريخ (١) مدينة
سنار بقوله : -

« توفي في تلك السنة شيخ الاسلام العالم العامل مرشد الطالبين
ومحبي شريعة سيد المرسلين من افنى عمره في طاعة الله واصلاح المسلمين

(١) أحمد بن الحاج كاتب الشونة . مخطوطة . تحقيق الشاطر نصيب من ١٠٢ .

الفقيه أحمد بن عيسى وذلك في آخر السنة في شهر الحجة المحرم رَحِمَهُ
الله آمين وله مناصب كثيرة وفضائل شهيرة ويكفي منها بدله للعلم وصبره
على الادي وذلك اجل مناقب الكرام .»

سقى العلم على الشيخ أحمد عيسى نحيه من حرم العلماء والفهاء
تذكر منهم ابنه الشيخ ابراهيم والشيخ محمد بن نذر المعروف بالعبد
مضى مدينة أم صوا بان العلمية والتي تخرج فيها ومازال آلاف من طلاب
العلم . وظلت دار القرآن (١) موقدة فيها سم ينظمي، أبدا منذ انشاء المدينة
العلمية أي منذ أكثر من مائه وسنين عاما ومنهم أيضا الشيخ بدوي أبو
صفية البديري المدفون في مدينة الابيض عاصمة إقليم كردفان وهو
صاحب الاثر المحمود في نشر الاسلام في جبال النوبة في غرب السودان
وكان يأتي بالنوبة من حالهم ويعلمهم القرآن والحديث الأدبي والضروري من
الفقه والتوحيد ثم يعيدهم الى مناطقهم لينتسروا الدين بين قبائلهم ومن
العلماء الذين درسوا عليه العلامة الاديب والمؤرخ ابراهيم عبد الدافع أول
من تقلد منصب الافتاء في العهد التركي ومنهم الفقيه والكاتب حسين ود
عماري من دارفور ومنهم الفقيه محمد الحجيل سنة الى موطنه حجيل أم
علي في شمال السودان والاديب الفقيه الشيخ فرح ود تكموك في سنار .

ولكي نلقى مرئيا من الضوء على اثر أسرة الشيخ عيسى الابصارى
تذكر كبار من خرجوا في مساعدها من العلماء والفهاء في مختلف
الأوقات .

كان الشيخ ابراهيم بن أحمد بن عيسى قد حل محل ابيه بعد وفاته
بل وقبل ذلك عندما رحل الشيخ أحمد الى سنار ليعلم الناس هناك .
لقد بنى الشيخ ابراهيم المسجد المعروف الى اليوم « مسجد ود عيسى »
بعد ان تكاثرت عدد الطلاب في كترائج وكذلك بنى الشيخ محمد أحمد
البدوي مسجدا ثالثا في قرية السعدية بالقرب من كترائج ومسجدا هنا
بمعنى مركزا اسلاميا أو مدينة بعوث بلغة اليوم بكل ما تحمل الكلمة من
معنى وكان محمد علي باشا عند زيارته للسودان عام ١٨٣٨ قد أمر
بتجديد بناء المسجد بالطوب المحروق الاحمر وأصبحت الدولة تقوم
بالصرف عليه .

(١) المقصود هنا ان الطلاب يدرسون في الليل في لعماء على ضوء نار يوقدونها من
طب يجمعونه بأنفسهم وهذا تقليد سار عليه حلوى القرآن منذ عدة قرون والى يومنا
هذا .

وممن درسوا في مساجد كترائج على أسرة عيسى ود بشارة الاتصاري
الامام محمد أحمد المهدي قائد الثورة المهدية ومحرر السودان فقد تلقى
عنهم بعض علوم اللغة والدين ككتابي « قطر الندى » و« الصمدى » و« مشهور
الذهب في معرفة كلام العرب » للعلامة النحوي المصري ابن هشام «
(١٣٠٨ - ١٣٦٠ م) الذي كان يقاتل سيبويه وعي الدين رسالة أبي
زيد القيرواني و« جوهرة التوحيد » وبعدها ارتحل الامام المهدي لوالى
دراسته على الاسناد محمد الحير في تبريز وكان الامام (١) المهدي نفسه
يسوى السعر لصر للدراسة في الازهر .

لقد تخرج في الازهر أيضا في ذلك العهد علماء بذكر منهم :

الشريف محمد الامين الهندي :

وهو عميد أسرة الهندي المعروفة في السودان ومؤسس الطريقة
الهندية واصل الشريف محمد الامين دراسته في الازهر حيث قرأ القرآن
بالتحويد وحفظ الشاطبية وقرأ فقهها كما قرأ كتاب غيث المسع في
القراءات السبع ثم عاد وفتح مسجدا بقرية نواره على نهر الرهد أحد
روافد النيل الأزرق فأبى الطلاب من جميع الجهات يحفظون فيه القرآن
ويقراءون علم التجويد والقراءات بالكتابين المذكورين وتوفي في الرهد
عام ١٨٨٣ م .

الشيخ البشير ود نعمة :

وقد تخرج في الازهر ودرس أيضا على جمال الدين الافغاني وكان
رميلا للشيخ محمد عبده وكان مانعا في الفلسفة وعاد ليدرس مواظبيه
في مدينة رهاعة على النيل الأزرق غير أن مدرسته اغلقت كغيرها من
المدارس في عهد الثورة المهدية .

الشيخ أحمد الازهرى :

وهو ابن الشيخ اسماعيل الولى الكردفاني وقد تلقى الشيخ أحمد
علومه في الازهر حوالي عام ١٨٣٠/٤٠ م وأصبح مدرسا فيه ثم عاد الى
الابيض عاصمة كردفان وبني فيها جامعا ومنازل لاقامة الطلاب الذين

(١) جهاد في سبيل الله - اعداد عبد الله محمد أحمد من ٤ -

وفدوا من كل البقاع للدوايسة عليسه وكانوا ينلقون في تلك المتشتمات العلمية القرآن واللغة والفقه والتوحيد وغيرها وعمل قاضيا في غسرب السودان وقد قتله انصار المهدي في أحد المعارك عام ١٨٨٢ م وعسرف بالازهرى وقد سار هذا اللقب على أسرته من بعده ومنهم حفيده اسماعيل الازهرى أحد قادة الحركة الوطنية وأول رئيس وزراء في السودان *

وبحائب هؤلاء العلماء السودانيين الذين تخرجوا في الازهر في العهد التركى (١٨٢١ - ١٨٨٥ م) هناك علماء ازهريون ادركوا الثورة المهديّة وانخرطوا في صفوفها وشغلوا مناصب فيها سيبرد ذكرهم فيما بعد *

● مدرسة الخرطوم الابتدائية

أولى تلك المدارس وأهمها على الإطلاق مدرسة الخرطوم التي فتحت في عهد الخديوي عباس ويجدر بنا أن نشهد عنها ببعض الاسهام . . اختيار لتلك المدرسة الملامة المصري الأزهرى رفاعة رافع الطهطاوى وهو من اعلام النهضة المصرية ان لم يكن شيخهم وكان قد عاد من أول بعثة بعثها محمد علي باشا الى فرنسا وهو الذي أسس مدرسة الآلسن فى مصر والتي اضطلعت بترجمه كثير من الكتب الافرنجية وقد بلغ مجموع ما ترجمه رفاعة وطلابه ألفى كتاب وكشيبات فى مختلف المواضيع ونستطيع ان نقول ان رفاعة رافع هو صاحب الفضل فى نقل الثقافة الغربية وتبسيطها وتعريفها فى اذهان المصريين اذ لم تكن معروفة لديهم من قبل وكان على حظ كبير من العلم والمعرفة وتأثر بفولتير وروسو وألف كتباً كثيرة أهمها تخليص الأبريز فى تليخيص باريز الذى يوضح انطباعاته فى فرنسا ويحوى آراء ومبادئ ديمقراطية لم يكن يرضى عنها الحاكم المستبد ويقال انه ارسل الى السودان منقياً بسبب ذلك ولا عراة فعباس باشا الذى أغلق المدارس فى مصر وعطل دور العلم فيها لم يكن حريصاً على فتحها فى السودان بطبيعة الحال .

عهد لرفاعة باختيار المعلمين ليفتح المدرسة (طبق الترتيبات الجارية بالمدارس المصرية ولا سيما الأصول الحارسة بمدرستى المبتديسان والتجهيزية) اختار رفاعة أحد عشر معلماً وطبيباً هم .

(١) القائم مقام محمد بيومي أفندي (١) :

وهو من تلامذة البعثة الأولى ولما عاد من فرنسا عين مدرسا بمدرسة المهندسخانة ببولاق وكان أستاذا ومرجعا لكثير من نوابغ المهندسين المصريين وصار كبير الأساتذة بمدرسة المهندسخانة في عهد نظيساره لاسير بك ثم انتقل من التدريس الى قلم الترجمة بديسوان المدارس اشترك مع رفاعة بك رافع في العمل واشتغل بترجمة الكتب في الفن الذي اقبله وعين في عهد عباس باشا مدرسا للحساب في مدرسة الخرطوم الاسدائية وتوفي في الخرطوم عام ١٢٦٨ هـ / ١٨٥١ م .

ومما يلي بعض الكتب التي ترجمها :

- ١ - ثمره الاكتساب في علم الحساب عن الفرنسية طبع عام ١٢٥٦ هـ .
- ٢ - كتابي الجبر والمقابلة طبع عام ١٢٥٦ هـ .
- ٣ - ثمره الاكتساب في علم الحساب جردان في مجلد واحد طبع عام ١٢٦٣ هـ .
- ٤ - الهندسة الوصفية (مجلدان) طبع عام ١٢٦٣ هـ .
- ٥ - جامع الثمرات في حساب المثلثات ترجم بأمر مدير المدارس وهو يشمل حساب المثلثات المستقيمة والكروية طبع عام ١٢٦٤ هـ .
- ٦ - مثلثات مستوية وكروية - ترجم بالاشتراك مع أحمد طاويل .
- ٧ - ميكانيكية أي علم حر الأثقال ترجمته بالاشتراك مع أحمد طاويل .

(٢) الصاغ أحمد طائل أو طاويل (١) :

نفى العلم بمدارس مصر وألحق بالبعثة المصرية وعين اثر عودته من فرنسا بمدرسة المهندسخانة مساعد مدرس ومعبدا لدروس الاستعداد محمد بيومي الى أن صار مدرسا للعلوم الميكانيكية بـ اشترك مع بيومي

(١) جاك ماجر - حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر ص ٦٣ .

في ترجمه مؤلفين وترجم كتابا اسمه (ركبت آلات) وقد أخذ منه أكثر من مهندس في ذلك العهد :

- | | | |
|--|---|-----------------------------------|
| يرجح أنهم
من تلامذ رفاعه
في مدرسة الألسن . | { | ٣ - الملازم أول علي محمد أمدي (١) |
| | | ٤ - الملازم ثان علي عثمان أمدي |
| | | ٥ - الملازم ثان إبراهيم محمد أمدي |
| | | ٦ - الملازم ثان محمد مرسى أمدي |
| | | ٧ - الملازم ثان أمير أمدي |
| كانوا عالمين بالأزهر
.. طبيب . | { | ٨ - الملازم ثاني الشيخ رجب |
| | | ٩ - الملازم ثاني الشيخ مكاوي |
| | | ١٠ - الملازم ثان سليمان السعوطي |

هؤلاء هم هيئة التدريس التي رافقت رفاعه للعمل في مدرسة الخرطوم وهم يمثلون نخبة من الأساتذة الذين أسهموا بنصيب وافر في تاريخ التعليم في مصر آنذاك ويلاحظ أنهم كانوا يمحون رتبا عسكرية وكذلك الطلاب كانوا يسبرون على النهج العسكري غير أن المدرسة لم تفتح إلا في عام ١٨٥٣ م أي بعد ما يقرب من ثلاث سنوات من قدوم رفاعه ومعاويه إلى البلاد وقد أحى أحد المؤرخين المصريين باللائمة على رفاعه من إهماله بالسراحي والنبط في القيام بما كلف به طيلة هذه المدة وقد أغلقت المدرسة بعد عام من افتتاحها بسبب عدم اهتمام الخديوي سعيد الذي خلف عباسا أو من حواء تدمر أو شكواي رفاعه .

وحقيقه لم يكن رفاعه متحمسا للعمل في السودان إذ كان ظنه أنه بعث إليه سفيا وكان يجار بالشكوى وينظم الشعر واصفا سوء حاله في السودان بقوله (٢) :

وما السودان قط مصام مثل ولا سلمى فيه ولا سعادى
وقسدا فارقت أطفالا صغارا بطهلا دون عسودى واعتبادى
أفكر فيهم سرا وجها ولا سهوى بطيب ولا رقادى

(١) عبد العزيز عبد المجيد - التربية في السودان ج ٢ ص ٢٨ .

(٢) عبد العزيز عبد المجيد - التربية في السودان ج ٢ ص ٢٨ من مباحث الأدب .

مع انه هو نفسه القائل على لسان مصر والسودان .

نحن غصنان ضمننا عاطف الوجد جميعا في الحب ضم النطاق
في جبين انزمان منسك وهني غسرة كوكبيسة الانفلاق

كانت سر القبول في المدرسة تراوح بين السابعة واشادية عشره
وكان المأمول أن تطور وترقى على عرار مثيلاتها من المدارس في مصر
غير أن أغلب طلابها كانوا من أبناء الأتراك والمصريين اعتمدت والمقيمين
في السودان وذلك لعزوف السودانيين عن ارسال أبنائهم لهذا النوع من
التعليم النظامي الحديث الذي لم يعهده من قبل وكانوا يفضلون عليه
التعليم الديني . كان الطالب المسوداني آنذاك يتحقق بالخطوة لحفظ
القرآن أساسا والعمليات الأربع (الجمع والطرح والضرب والقسمة) .

وفي مده بقائه بالخرطوم ترجم رفاعة من الفرنسية كتاب « مواقع
الافلاك في اخيار تليماك » وهو كتاب لفن كان مرييا لحفيد لوييس
الرابع عشر اسقاء من الميثولوجية اليونانية ليفراه الأسير الشاب وسمو
فصائله ويقوم اعوجاجه وكذلك شرع في تأليف كتابه القيم « مباحج
الألباب المصرية ومباحج الآداب العصرية » وقد سجل فيه رأيه عن
السودانيين بقوله (١) ان لهم « قابلية لتبندن الحقيقي أدقة أذهابهم فان
أكثرهم قبائل عربية لا سيما الجعليين والشايقيه وعمرهم واشتغالهم بما
أعوه من العلوم الشرعة عن رعة واجتهاد ولهم تأثير عظيم في حسن
التبندن والتبندن حتى ان البلدة اذا كان بها عالم شهير يرحل اليه من
البلاد المجاورة من طلبة العلم العدد الكثير والجم الغمر فيعبته أهل بلده
على ذلك بنوزيع المحاورين (أى الطلبة) على السيوت بحسب الاستطاعة
فكل واحد من الأهالي يخصه الواحد أو الاثنان فيقومون مشغولين مدة
التبندن والتبندن » .

ويروى أحد (٢) الكتاب السودانيين الذين درسوا في مدرسة الخرطوم
عام ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م انه سمع من بعض قضلاء السودانيين وكذلك
من علي ناشا رفاعة بن رفاعة ووكيل نظارة المعارف آنذاك ومن عامر بك
سعد وهو من أعظم المدرسين من معاصري رفاعة ان رفاعة شرح في

(١) رفاعة رفاعة المظلماني مباحج الآداب - ص ٢٦٢ .

(٢) من مقال لتبندن كفته عن مدينة الخرطوم في جريدة مشوره بتاريخ ٢٨ ١٩٦٤/٧
وناشا رفاعة هـ هو المواطن محمود القاسبي

تخمس الردة للبوصيرى التى مدح فيها السى (صلعم) وعندما فرغ منها أقام حفلا كبيرا دعا له كبار السودانيين وعلماء حيث سهرت الخرطوم ليلة من أبلج لبالها وقبل أن يطلع الفجر رأى دفاعه السى (صلعم) بى البقطة والسوم مصافحا ومخاطبا له :

« قلت هذا السحميس وأحريك عليه بالعودة الى القاهرة وسببلك الأمر بتاريخ هذا السوم » وبعد أربعة أسابيع وصل البريد والأمر مؤرخا بتاريخ السوم وقد قرأه الناس بعد أن سمعوا بحديث الرؤبة صبيحة يوم السمل .

عاد دفاعة الى مصر وتوفى فيها عام ١٨٧٣ م .

هذا وقد أصدر السديوى اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) أمره الى مدير ديوان المدارس بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٢٨٢ هـ (١٨٦٧ م) بأنه « بناء على التماسى حكمدار السودان يكلف دفاعة بك سرحة الباقى من كتابه مطبوع (الحشرافى) ويهد إليه أيضا أمر ترجمة كتاب الريان اسببى الانحيرى المرسل منه نسخة فرنسية والباحث فى شئون سكان وادى النيل من منحه الى منحه لترس بعد طبعه حمسون نسخة عربية منه لتدريس تلاميذ المدارس السودانية ونوزيعها على الضباط والمواطنين المنكبين » .

ومهما يكن من أمر فقد عطى السودان بوجود ذلك السالم بين طوائفه زهاء الأربع سنوات على رأس تلك المدرسة التى هى الأولى من نوعها اذ كانت سبيل على السهج السطامى الحديث كما أقاد المواطنون من معاونيه اذ قرر دفاعة فى كتابه - « قد نعم فقهاء الخرطوم ممن مى من المشايخ القراء نحويد القرآن الشريف وعلم القراءات حتى صاروا ماهرين فى ذلك » .

وفى عام ١٨٦٣ فى عهد السديوى اسماعيل أعيد فتح مدرسة الخرطوم كما فتحت مدارس أخرى فى عواصم المديرىات فى بربر ودقلا والأبيض وكسلا . ويقول أحد تلامذة مدرسة الخرطوم وهو الشيخ (١) محمود القبانى الذى ولد عام ١٨٧٣ وقد اثنى بها عام ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م :

(١) عبد العزيز عبد السعيد - التربية فى السودان ج ٢ ص ٢٦ .

كان اطر المدرسة آنذاك البورياني الحسن طه أفندي حنبل من مديريه البحيرة وهو من أسرة فتح الله بركات باشا وكان من بين مدرسيها العلامة أحمد محمد الجداوي الاسواني متخرج الارهر وكسان يعمل قبل ذلك قاصيا على عموم دارفور في عرب السودان وقد حلقه الشيخ حسين مجدى الدمياطي الازهسوى والشيخ محمد ابراهيم عبد الدافع بن ابراهيم عبد الدافع أول سوداني نولى منصب المفتي وكان مدرسا لحساب والشيخ على المورجي مدرس الخط وهو من أصل مصري مولود في الخرطوم ومن تلاميذ رفاعية مثل محمد ابراهيم عبد الدافع ومدرس الفرنسية السيد أفندي نعيم الذي أصبح بعد ذلك السيد بك نعيم وهو اسكندري تخرج من مدارس باريس وكان صيدليا لعموم السودان وهناك مدرسون آخرون لم اقرأ عنهم .

وكان ينسج هذه المدرسة خطوة من فصلين لتعليم القرآن وكان الاولاد داخلية وبها مدرس الفصل الأول الشيخ على طلبة الحروف في السودان بأنه فقيه مصري وكان له صوت جميل وفي الفصل الثاني الشيخ بكري الجرجاوي والشيخ محمد عبد القادر التريبي من سسل مصري ومولود في الخرطوم .

كان في المدرسة قسمان قسم براني (خارجي) يقدم مصاريف وأنا من القسم البراني وقسم داخلي عدده مائتان وبظامه عسكري ويصرف لسلامة أكلا وملابس ومرئيات عسكرية وكانت أعمارهم تتفاوت من ١٢ الى أكثر من عشرين وكانوا يتعلمون فيها .

وكان الداخلي والبراني يتعلمون معا في وصول واحدة ويلقبون نفس المواد الا الفرنسية فانها كانت اختيارية للقسم البراني وكنت أنا من يلقون اللغة العربية وكانت بحاسي بيت المدرس وهي البيت الوحيدة التي كانت تحضر الدروس ودروس والدها السيد نعيم وهذه الست اسمها فاطمة ونقلت من الخرطوم قبل حصار المهدي للخرطوم وأمنت دروسها في أوروبا وتزوجها المرحوم محمد بك مسعود المؤرخ .

كان عدد التلاميذ البراني أكثر من ٣٠٠ وكسان معي في درس الفرنسية تلميذ من اولاد البراني هو محمود سامي بن أحمد فهمي الصيدلي الثاني مع السيد نعيم .

وكان كل التلاميذ الداخلية ٢٠٠ والبراني ٣٠٠ في وقت الدرس

يجلسون على الأرض ويكونون أربعة فصول أما في درس الهندسة
فمجلس على نحت ومكانت أماند .

كنا نتعلم الحساب واللغة العربية والفرنسية للبعض والتركية
وكانوا يعملون جدا بالخط الفرسي (وكان يسقط في الامتحان من
يسقط في الخط) .

كانت مصاريف السراي في الشهر ريال مجيدي أي ١٦ قرشا -
وكان التلاميذ الداخليه يدرسون لاسا عسكريا أما البراني فكانوا
أحرارا يدرسون كما يشاءون .

كان في الخرطوم فقهاء يقرأون القرآن باللغة المصرية وتراهم بين
أسود ومشايخ وهم لم يجئوا من مصر ولكنهم تعلموا على يد شيوخ
مصريين في الخرطوم وكان يوجد في الخرطوم شيخ للفقهاء كما في مصر
بمطى واثبا ويعلم الناس التوحيد ومنهم الشيخ محمد السعد الذي قتل
في سقوط الخرطوم .

وكذلك يوجد ساء معرثات للقرآن كما في مصر يعملون بسات
الأكابر في بيوتهم القرآن والدين والخط » .

● احتفال مدرسة الخرطوم في الوقائع المصرية

كانت مجلة الوقائع المصرية تنشر حفل امتحان المدرسة السبوي
وانسى انقل هنا بعض ما جاء في عدد رقم ١١٩٤ بتاريخ ٢٣ رمضان
١٢٩٨ هـ الموافق ١٨ أغسطس ١٨٨١ م عن حفل الامتحان عن تلك
السنة .

في يوم الاثنين المبارك ٣١ شعبان المعظم سنة ١٢٩٨ هـ احتفل
في هذه المدرسة لامتحان تلاميذها كما جرت به العادة المألوفة في كل
عام فكان هذا الاحتفال جميل الهيئة جميل المنظر حضره جمع عظيم من
رؤساء الحكومة الكرام ووجوه العلماء الاعلام وعدد كثير من الذوات
الفخام وتحلى جيد هذا المحفل بواسطة هذا العقد النضيد سعادة محمد
رعوف باشا حاكم دار السودان ولما أن تم الاحتفال على هذا الوجه
الفائق المنح السليم الأول طه أفندي زكي الامتحان بتلاوة حطة رائعة
وقصيدة فائقة وهي من انشاء حضرة الفاضل أحمد أفندي حادوى
الاسوانى أول حوحدات المدرسة ثم بعد أن فرغ من تلاوتها قام هو
والتلميذ الثانى حسر أفندي صبرى فارسا نديع نجيلات الحريرى الى
حبر الوحود وأدفا صبع محترعات مقساماته الى مقام الشهود فبينما
ما فى المقامة الفقهية من عجائب وكشفا عن غوامض ما أحرزته فتواها من
الغرائب فكان أحدهما سائلا والثانى محييا وكلاهما موفق ومصيب وقد
استهج سرورا بكائهما جميع الحاضرين وشهدوا لهما تأييدا من انحب
المشتغلين ثم سئلا فى علم العربية عن حملة آيات من شواهدا وعن
كثير من قواعدا ثم فى اللغة الفرنسية والفنون الحسابية فاجابا فى

كل ذلك بما دل على انهما من البارعين وصدحت لهما الموسيقى بمقتضى
 الفرح والاعجاب ثم قام بعدهما بقية التلاميذ وسثنوا واحدا واحدا بما
 حصلوه من العلوم واللغات فكانت احسبها الجميع بما تفر العين وسر
 القواد ويدل على ان مسجلا هذه المدرسة سيكون لي في ما عظيم وكان انفراد
 من احتار جميع الطلبة في الساعة العاشرة من يوم الثلاثاء فقام كل
 الحاضرين فرحين مسرورين بما شاهدوه من براعة هؤلاء التلامذة مثنين على
 معلمهم وأستاذتهم وحصرة الناظر بالثناء الجميل على ما بدلوه من الهمة
 والشاط في التعليم داعين للحمد لله الذي المعظم والرحيم حكومته
 الكرام بان ينفع بعنايتهم الوطن وان يديم شمس وجودهم في آفاق البلاد
 فينحسروا لانتائها الرحمة والاسعاد وان يمنح حياته الكريم بقاء الحال
 ما لاج بدر الكمال وفاح مسك لحنام .

لقد أدت هذه المدارس اسطانية سمات (١) للادارة التركية عندنا
 بالكتاب والمحاسن وعمال التدقيق واحداث نهوضا في الثقافة والادب
 في ربوع البلاد حسا الى حيث مع خلاوى القرآن ومجالس العلوم الشرعية .

كما لم يتوقف اقبال العلماء الأزهريين الى السودان ولم ينل من عزمهم
 على مواصلة اداء رسالتهم في مرفق التدريس والقضاء . وقد ظلوا على
 ذلك الحال الى نهاية الحكم التركي على البلاد عام ١٨٨٥ - فقد كانت نخبة
 مشاركة بذكر منها على سبيل المثال الشيخ حسني المحدثي والشيخ
 شاكر المفتي والشيخ محمد موسى مفتي المحاكم الشرعية والشيخ محمد السقا
 شيخ القراء وهؤلاء قتلوا جميعهم عندما فتح المهدي لخرطوم صباح
 ٢٦ يناير عام ١٨٨٥ م ونذكر أيضا من هؤلاء العلماء الشيخ أحمد محمد
 الجداوي الأسواني الذي كان يعمل قاضيا في دارفور ثم نقل كندا
 لمدرسة الخرطوم والشيخ المحروقي الشاذلي وكثيرون يدرسون
 بالاصالة الى اعمالهم الرسمية الاخرى في جامع الخرطوم العتيق مع
 أقرانهم العلماء السودانيين .

(١) د مكي شيكدة - السودان في مرون ص ١٠٠ .

● القضاء في العهد التركي

عكست الإدارة الجديدة في السودان على تنظيم القضاء مع غيره من مرافق الدولة فانشأت المحاكم الشرعية في المراكز والمدريات وعينت قاضيا سمي بقاضي عموم السودان ليختار القضاة الشرعيين ويكون المسئول لأول عن القضاء في البلاد وكان قاضي عموم السودان ومفتي مجلس الاستئناف وشيخ العلماء يعينون بأمر حديوي مصر أما عدهم من القضاة يرشحهم قاضي عموم السودان ويعينهم حكام البلاد *

كان أول من شغل منصب قاضي عموم السودان هو (١) الشيخ محمد الأسوطي الذي كان أحد الأئمة الثلاثة الذين رافقوا حملة الفتح كما أشرنا الى ذلك سابقا وكان من علماء الحنفية المعروفين في مصر وتوفي في ود مدني عام ١٨٢٣ *

ثم أسند هذا المنصب الى مسوداي هو الشيخ ادريس من أسرة اليعقوبات المعروفة في السودان وتوفي عام ١٨٢٦ م *

ثم تولى هذا المنصب الشيخ أحمد السلاوي المالكي الذي كان ثالث الثلاثة الفقهاء الذين رافقوا حملة الفتح وقد عاد من مصر عام ١٢٤٦ هـ/ ١٨٢٦ م وقد شدد الأوائل محمد علي باشا عن حكام السودان حورشيد باشا الا يقطع أمرا دون مشاورة الشيخ السلاوي *

(١) القاضي حسين سيد أحمد المني - تطور القضاء في السودان ص ٨٩ *

كانت بعض القصايا تحول في يادى الأمر الى ديوان الافتاء في مصر وكانت أحكام أولئك القضاة بوضوح ما كان لقصاء من قوة في ذلك العهد وفى نفس الوقت تثبت للعلماء السودانيين مقدرة في العلم والبحث يصح الافتخار بها (١) .

كان الشيخ أحمد السلاوى عالما وشاعرا ويوصف بأن له عارضة قوية في المسائل العلمية ويقال ان له تأليفا سماه المحاكمة حكم فيه بين المتنى والصبان في حاشيتهما على الاشمونى على الخلاصة وهذا طريق شائك لا يخوضه الا متبحر في العلم (٢) .

ثم تولى منصب قاضى عموم السودان الشيخ ابراهيم الهيمى عام ١٢٦٣ هـ / ١٨٤١ م وكان من كبار علماء المذهب المالكي في الازهر .

ثم خلفه الشيخ مصطفى السلاوى بن الشيخ أحمد السلاوى المغربى ولد في الخرطوم وكان شاعرا وأديبا ولكنه عزل من منصبه وأودع سجن طره في مصر وتوفي عام ١٨٨٧ م .

وكان آخر من اسند اليه منصب قاضى عموم السودان المواطن العلامة الشيخ محمد خوجلى ختيك عام ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٨ م وهو من متخرجى الازهر وظل في هذا المنصب حتى نهاية الحكم التركى حيث قتل مع من قتل عندما فتح المهدي الخرطوم عام ١٨٨٥ م .

ومن أشهر قضاة المديريات آنذاك العلامة البندوى القرافى (٣) الذى عين قاضيا لمديرية دنقلا وبروى انه رفض ان يأخذ مرتبسا على منصبه واشترط الا يقيد نفسه بالتوائج والمنشورات بل يقضى بكتاب الله وسنة رسوله وكذلك الشيخ عربى الهوارى قاضى مديرية كردفان وكان عالما وشاعرا والشيخ عبد الغنى السلاوى وهو مغربى الاصل سودانى المولد وكان أيضا شاعرا مرموقا والشيخ أحمد الازهرى قاضى على كردفان .

كان جميع قضاة المديريات من المواطنين السودانيين عدد مديريتى سنار فقد كان قاضيهما الشيخ مكى حسن الاصولى وبربر حيث جلس

(٢-١) من مقال للقائى يوسف ابراهيم فى دور مجلة الفجر السودانية العدد الأول مارس ١٩٣٧ عن صحيفته من تاريخ السودان القديم القضاء

(٣) حسنى سيد أحمد المصطفى - تطور القضاء في السودان ص (٩) (١) .

للقضاء فيها الاستناد الشيخ حسن الخطيب المصري وهذا بطبيعة الحال من منخرجه الأزهر .

الافتاء :

كانت الصلة قائمه بين علماء مصر والسودان منذ عهد سلطنة سمر ودارفور كما أوردنا سابقا وكان علماء السودان يرفعون اليهم وفي فترة الحكم التركي على السودان توثقت الصلة وخاصة مع الشيخ العلامة ابي عبد الله الشيخ محمد بن الشيخ أحمد الملقب بعليش الذي تقلد مشيخة المالكية ووظيفته الافتاء في مصر وكان لقناوى الشيخ عليش (١) عظيم الأثر الديني في السودان فقد كان مرجع الشعب والحكومة في الافتاء . لقد درس كثير من السودانيين على الشيخ عليش المتوفى عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م ومنهم شيخ علماء السودان محمد ولد البدوي .

كان أول من عين مفتيا للسودان آنذاك الشيخ محمد السليبي عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م وكان من علماء مصر العاملين وتوفى عام ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ وخلفه في هذا المنصب الشيخ ابراهيم عبد الدافع الذي ورد ذكره آنفا والمتوفى عام ١٨٥٤ م .

تم جعلت الادارة التركية مفتيا لكل مديرية لأنه (٢) اتصح لها عملنا صعبوبة الاكتفاء بفتى عام لكل البلاد ومن هؤلاء نذكر الشيخ اسماعيل عبد القادر المفتي على كردفان والشيخ عبد الحى الطرانلى على مديرية بربر والشيخ عمر حامد البديري على دنقلا والاستاد الشيخ زروق الحلتقى على مديرية النكا والاستاذ السيد أحمد الشنقيطى على محافظه سواكن وكلهم من منخرجه الأزهر .

وكانت مسئولية مفتى المديرية اختاء عمل مديرته في العبادات والمعاملات كما كان من اختصاصه النظر في استئناف أحكام قضاء مديريته وكان مدير المديرية لا يقدم على عمل يتعلق بالاسلام والمسلمين الا اذا اتصل بمفتى مديريته وتحصل على موافق منه .

(١) القاصى حسين سيد أحمد القصى . تنقو القضاء في السودان ص (١٠٩) .

● علماء سودانيون نوابح درسوا على متخرجي الأزهر

هذا وفد سعي في العهد التركي (١٨٢١ - ١٨٨٥ م) في السودان
عدد من العلماء الذين درسوا على متخرجي الأزهر نذكر منهم الشيخ
الأمين الضرير العالم والأديب وعاهل الاسرة الدينية والاجتماعية المعروفة
في السودان وهو ينحدر من قبيلة المحسن التي لها فضل لا يسكر في شر
العلم في البلاد .

تلقى الشيخ الأمين (١) الضرير تعليمه على الشيخ ابراهيم بن عيسى
حفيد الشيخ عيسى بشارة الانصاري في كمرانج وقد تنازل الشيخ ابراهيم
لشيخ الأمين الضرير عن شهادته العلمية التي تلقاها من والده العالم
الحليل الشيخ أحمد بن عيسى ومسحها له تقديرا لعلمه وبوغه .

كان الشيخ الأمين الضرير بحق نابغة عصره وزمانه في بلاده
ولقب بشيخ الاسلام ورئيس وممير علماء السودان وكادت له مدارس
في توتى ورجاعة والحرطوم وكان ينقل اليها ويدرس في كل منها الفقه
المالكي والتوحيد وتفسير القرآن والأحاديث النبوية والفقه بن مالك في
النحو وقد تتلمذ عليه كثيرون نذكر منهم علي سبيل المثال الشيخ
محمد عمر المنيا والشيخ يوسف ولد نعمة والفكي أحمد عوض الله
وأحمد نور السروراني والشيخ محمد ود الحريف وكنهم عرفوا فيما بعد
علماء وفقهاء أدوا واجبا كبيرا في نشر الدين والعلم في مختلف بقاع
السودان .

(١) ابراهيم عبد لرواق - شيخ الاسلام لعلي الأمين الضرير .

كان للشيخ الأمام مؤلفات في علم الفرائض والخبرات وبحوث دينية أخرى أودعة وأاريخه نشر بعضها في مجلة الجوائب في مصر لصاحبها أحمد فارسي الشدياق ومجلة الوقائع المصرية وروضة المدارس .

وعندما قام الامام محمد أحمد المهدي بالثورة وأدى نأته المهدي المنتظر أصدر بعض من علماء السودان آنذاك رسائل تكذيب وبطلان في دعوة المهدي ومطالبوا المواطنين بالان يتبعوه من بين أولئك العلماء كان الشيخ الامين الضيرر وكان رسالته بعنوان « هدي المسهدي ان بيسان المهدي والمتمهدي » ورد عليهم الامام المهدي بمشورر وسماهم بعلماء السوء وذكر اسماءهم ما عدا الشيخ الامين اذ قال :

« ... فان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء وقد يدحر للمتأخرين ما عسر على المتقدمين لا تغروا بالخطب التي ألقاها في دما وتكذينا علماء السوء كاحمد بن اسماعيل الولي وحسين محمدي والمفتي شاكر ومحمد ود حنيك وود الدليل وأمثالهم من وقع في عرضنا فهؤلاء ممن أدخل الله في قلوبهم البفاق حب المال والجاه ... »

وعندما سقطت الخرطوم عاصمة الحكم التركي في السودان في ٢٦ يناير ١٨٨٥ بيد المهدي قتل العلماء الذين سماهم المهدي بعلماء السوء ما عدا الشيخ أحمد بن اسماعيل المعروف بأحمد الأهرى الذي كان قد قتل في معركة ضد قوات المهدي في كردفان عام ١٨٨٣ .

توفي الشيخ الامين الضيرر عام ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٥ ودفن في أم درمان وقد صلى عليه الامام المهدي .

كان الشيخ الامير الضيرر شاعرا أيضا وقد فار نابرة الثانية في مسابقة نظمها مجلة الجوائب وعند اعلان النتيجة علق صاحبها أحمد فارسي الشدياق على فور الشيخ الضيرر بقوله :

« ... من الغريب أن يكون من أبناء حام من يتفوق على أبناء سام » ولما علم الشيخ الضيرر بهذا التعليق رد عليه ببحث مستفيض عن عروبه السودان . وللشيخ الضيرر قصيدة معروفة مدح فيها الخديوي حيثما أسس الخديوي جمعية معارف مصرية للتعاون على نشر العلوم برعاية نحله - الأمير توفيق - وتزويد البلاد بالكتب القيمة وقد أشار الشيخ الضيرر في تلك القصيدة مثنيا على صديقه حكمدار السودان حعفر عظمير الذي كان يكرم العلماء والأدباء ووصف بأنه رجل كتاب ومسجد .

نشرت هذه القصيدة في مجلة الوقائع المصرية وقدم لها الشيخ
الأمين الصيرير بقوله .

« لما اطلعت في سنة ٣٠١ من الوقائع المصرية المتكلمة ينشر اسامع
العصرية على ما صورته من جميل الآثار التي حب بها هذه الأعصصار
وتجملت بها مصر بين الأمصار في ظل الحضرة العلية الخديوية الاسماعيلية
امه تأسست جمعية معارف مصرية للتعاون على نشر العلوم كمرعوب
الحضرة الخديوية تحت حمايه حصرة العزيز الأصيل والمشمس الجليل
دولتو محمد توفيق باشا أكبر أنجال الخديوي الأكرم وولى عهد حماه
أبقاهم الله رمزاً للمعارف وعزاً لكل عارف أشأ لسان المقال قاضيا لسان
الحال وناليا ما يقتضى أكيدا لحب الحال متدنا بعد بث أحوال الزمان
بما لتلك الجمعية من الأوصاف الحسان عرقا الى مدح ولاء ذلك الاحسان
لا سيما صاحب تلك الحياية والتعصيل بهاتيك الرعاية ثم ختمت ذلك
بتاريخ عاية في الترام له حسن الختام . . . »
وهذه بعض من أبيانها .

الود مآذبه والعصدي اخوان
والصادقون لدى الآداب اخوان
أشعارهم ذات اشعار يحالهم
فهي الشعار حقوا بالوصل أو بانوا
حان الاخلاء حتى قال واصفهم
ما للأمين بهذا الدهر خالان
فقلت لاح لى والله ذو كسرم
وجعفر الفيض بالخيرات ملان
حسن التخلص فى أهل الزمان من
تضمنوا النفع كى يرتاد ظمسان
فيا أول الجمع أهل العلم انكموا
فى نشر ما يرتقميه الله اخوان
ومصرهم مصر والتوفيق حافظكم
والمعنى عارف والوقت احسان
الم تسوزع علمكم كلكم كسب
فى العلم نافعة بالطبع تزدان

الم يسكن جمعكم ارضي بصفتها
الم تدر على التدرج اتمان
الم يسبح لكم فيها نساوبكم
اذ ليس يمتع لها رام انسان
فحاصل القول ان العلم قد سهلت
اسبابه اذ بدت للفخر اعوان

والطريف ان مجلة الوصائع المصرية علقب في عددها ٣٢٠ المؤرخ
الخميس حماد الأول ١٢٨٦ بمولها :

« كثيرا ما نشرت مقالات وارده من السودان بعضها لحضرة حكمدارها
المجيد وبعضها لحضرة نجله النقيب السعيد وبعضها لم يستدل بكلامهم
على تمدن تلك الجهات وسوير قلوبهم بالمعارف وحليهم بحمائل الصفات
في هذا العصر المبارك والعهد الذي لا يشارك من بعد ان كان لا يصرف
عند الاطلاق لمط السودان الا لما حوى أمة متبربرة كابها ليست من نوع
الانسان بعدهم من العلماء لما بين الارض والسماء وعدم اشغالهم الا بما
سقطه عليه الوجدانيات كالطوع والبطش واشياء ذلك من الضروريات على
خلاف ما هم عليه الآن من الاجتهاد والمشيئة بالعرفان اندانة عليه فبالانهم
الواردة المشتملة على كل شارة ، ومن ذلك ما بعث به هذه المرة حضرة
ذلك الحكمدار الذي هو في وجه بلادهم عزة وتسمية الى حضرة عالمهم الشهير
الشيخ الامين الضيرير يريد به زياده بيان فضله وراعيه من أمثاله وساه
والدرجة التي وصلت اليها هاتيك البلاد والملاي علمائهم بعلماء الذين في
الاستعداد وخرجهم بطبع الكتب واسمسيها ما به يحصلونها من المصارف
وشكرهم بكل لسان حمائل جمعية المعارف واجتهادهم في العلوم الادبية
ومحاولتها كغيرها من العلوم العربية بالانقضاء والتأليف والاملاء
والنصنيف حتى حصلوا حسب الطاقة القدر الوافر وخرجوا من ورطه
الطبع المنافر ولعمري ان كل ذي لب يستكثر من أولئك ذلك ونشره
لدوقوف على حقيقة الدرجة الى هناك والتشويق الى الزيادة من الافادة
والاستفادة ولقد تردد علنا اناس منهم مشعلون بالعلم بالازهر المعمر
هم في غاية التهذيب والسجابة والاستقامة في كل الامور تحسبهم أولا
انهم كلهم خبلان وحطط الانصار لا السودان بالحملة والواحد نشر
ما ترمم بلغت ما بلغت شكرا على تناسي بربريتهم التي لفت في هذه

الافاق اعاله نالهه اءىوه العاله وهاء اعط ما ورو انشع الامى
الموعود به مل فى النى .

وقء لاهط اءء (١) المؤرءى السوءانى ان علق مءله الوقائع
على مءءمة وقصيدة الشىء الامى الصربكان ركىكا مما يوضء الفرق
الهائل بيه وبى اسلوب القصيدة ومقءمها .

الشىء ابراهىم عبء الءافء :

وهو اءء عباء السوءان المابىى - كان عقىها وشعرها ومؤرءا بلى
القضاء وعى مقبىا للسوءان فى ءوالى (١٨٤٤ - ١٨٥٤ م) ويقال انه
اشترك فى سميء مءطوطة الشىء اءءء كائب القبونة فى تاريخ السوءان
مع الشىء الامى الصربى والررب عبء القاءر الزى العروف بالررب وء صوءه
وعبىر ناك المءطوطة مصءرا رؤسىا فى تاريخ السوءان فى عهد سلطنة
سناى والعنء التركى للءلاء وقء طبعء البوم وءقها العالمان الءكءور
مكى شسكة السوءانى والشاظر البصبى المصرى .

ومن شعر الشىء ابراهىم عبء الءافء قصيدته فى رءاء اعالم مءءء
بور صبف الله صءعب كتاب الطمءاء اءى ءاء فىها .

ءع النى بىسكى ءسرها بموءء
على شىء بءسركان بالعلم مزبوء
هو الءبر نءسل الءبر صمىف الهنا
ءءء ءافى فءرا فى الانام وسوءءا
هو العالم المقشور وانام والءى
برشم الهاءى الى سبىل الهى
كرىم طباع كم سمىء شسمائل
باسملاءه القاصى فى ذاك لءءى

كذلك قصيدته فى رءاء الشىء اءءء الطىب الشىء قطب الطرىقة
السماىة المشوفى عام ١٢٢٩ هـ / ١٨٢٤ .

ومطبعها : -

(١) مءء عبء الرءىم - لءفاء البراع ص ٨٠ .

عـرج بركبك حادى الاظعان
واحفظ وحالك مبتقى العرفان
وله قصيده أخرى فى رثاء كبار العلماء ويكى على سار وعهدا
حيث بدأها بقوله :

اليوم أصبح دكن الدين منهدما
بموت اخواننا فى الله والعلماء
ديارنا بعدما كانت معمرة
منهم غدت مسكن الطاغين والظلماء
كنا زمانا يجينا الركب من بعد
الى العلوم والتفسير والحكما
صرنا طعنا بلا ملح يلد به
تعاظه أعين الرائي ومن طعنا
كائنا قط ما كان ببلدنا
نقرر العلم جهرا ليس منكنا
والدهر فى غفلة عنا ويجسدنا
على الذى عندنا الجيران والخصما
فمن الى العلم فى الآفاق ينشره
ومن يقوم بحسكم الشرع ملتزما

الشيخ يحيى السلاوى :

ولد فى الخرطوم عام ١٨٤٦ وهو حميد الشيخ أحمد السلاوى
العالم المالكي الذى رافق اسماعيل باشا عندما فتح السودان عام ١٨٢١
وعين الشيخ أحمد قاضيا لقضاة السودان كما ذكرنا .

سافر الشيخ يحيى لمصر واشترك فى الثورة العرابية وله قصيدة
يناصر فيها الثورة ويقال ان عرابي نفسه طلب من الشاعر أن ينظم قصيدة
نظم ونشر فى القطر المصرى وفعلا نظمها باثنية من ٩٩ بيت وقد لقت
نلك القصيدة التى طبعت بماء الذهب رواحا عظيما فى مصر وبيعت كل
نسخة منها فى شوارع القاهرة بحتية ذهب .

والقصيدة ندعو لناصر الثورة مستثيرة همم المصريين وحميتهم

ومشية على كل من ناصر الثورة من رجال العلم وشيوخ الطرق الصوفية
والتجار وغيرهم وقل إن تجد أديبا سودانيا لا يحفظ مطلعها -

نقول أبيات القصيدة :

شغل العدى بتشتت الأحزاب
والله ناصرنا بسيف عسراي
والقطر فيه من الرجال كفاة
للحاديات فهم أولو الالباب
وحمية الاسلام تفضى بالونا
حتما على كل امرئ اواب
هيا بنا يا أهل مصر الى الرضا
واللوز فى العقبى بغير حساب
انتم أولو الهمم التى يساهمها
كم من عدو آب شر اساب
انتم ولاية المجيد اربساب النهى
والحر يظهر عند صلح مصاب
لاشغلنكم العيسة فانها
ذال كن يرضى بهتك جناب

لقد درجت الحواري والوقائع المصرية على النسل من السودانيين
لثب ما أصابه السودان من تقدم يعرى الى سياسة محمد على باشا
وأمره فقد جاء في افتتاحية الوقائع في عددها الثاني عشر ١٢٤٤ هـ /
١٨٢٩ م تصف أهل السودان بأنهم « خالون من العلم والعمل هارون من
معرفة البقع والصر يضارعون الوحوش حاة » -

● متخرجو الأزهر
فى الثورة المهدية
(١٨٨٥ - ١٨٩٨ م)

ونستسب الى قائدها الامام محمد احمد المهدى وكان عالما سودانيا
مقيها صوفيا متأثرا بالمتصوف الكبير محي الدين بن عربى وكان فى
فترة شبابه ينوى الذهاب الى مصر لمواصلة الدراسة فى الارهر .

تفرد الامام المهدى بمذهب احتهادى خاص فابطل العمل بالمذاهب
الاربعة وامر باحراق كل الكتب الدينية ولم يبق غير القرآن والصحيحين
واحياء علوم الدين للامام الغزالى وقال عن الائمة الاربعة : -

« جزاهم الله حيرا فهم رجال ونحن رجال لو أدركون لاتبعونا ، ان
مذهبنا الكتاب والسنة » .

كان القانون الذى تارت عليه دولة المهدية هو الكتاب والسنة
والمنشورات الدورية التى كان يصدرها الامام المهدى والتى كانت تعالج
مسائل قانونية وفتاوى . .

كانت منشورات الامام المهدى وخطبه تهاجم ما سماهم بالترك
والمقصود بها الاوروبيون والاجانب الذين يحكمون بشير الشريعة الاسلامية
ولم يقصد بها المصريين اطلاقا كما لم تكن ثورته وحروباته نزاعا بين
السودانيين والمصريين بل كانت بين من آمن بمهديته ومن انكرها واتبع
حكومة الترك وكانت اهدافه هى تخليص الشعبين السودانى والمصرى من
ظلم الترك والافرنج الذين حكموا السودان ومصر .

كان المهدى كثيره من قادة المسلمين فى ذلك العصر - ابن عبد
الوهاب ومحمد السنوسى وحمال الدين الأفغانى كان يرمى الى ايجاد

عالم اسلامي بعد ان يقضى على ما سمي بالحاصلية السوداء التي رانت عليه
ولذلك لم تكن دعوة المهدي تقتصر على تحرير السودان بين مصر والبلاد
الاسلامية من حكم الترك والعودة الى حكم الكتاب والسنة .

لقد جاءت دعوة المهدي مخالفة لما كان سائرا في السودان ومصر
ولخطورتها على الخلافة العثمانية والاستعمار في مصر اصدر السلطان
العثماني نشرة رسمية كذب فيها المهدي ونشرها في جميع البلاد الاسلامية
كذلك رجال الدين في مصر والسودان فقد اصدر الازهر فتوى ببطلان
الدعوة ، هذا الى جانب نشرات ورسائل لبعض علماء الاسلام في السودان
اشرت اليها آنها .

لم يكن هناك والحالة هذه اتصال بين السودان والازهر في مدى
الثلاثة عشر عاما من حكم المهدي ومع ذلك انضم الى الثورة المهدية عقياء
وعلماء مسوالمون من متخرجي الازهر واسهموا في نجاحها وشغلوا
مناصب هامة خاصة في القضاء الشرعي نذكر منهم :

القاضي احمد جبارة :

وهو من متخرجي الازهر بايع الامام المهدي قائم الثورة السودانية
ضد الحكم التركي (١٨٨٢ - ١٨٩٨ م) وعين قاضيا للاسلام وهو اكبر
منصب قضائي آنذاك قتل عام ١٨٨٢ عند حصار الامام المهدي لمدينة
الابيض في غرب السودان .

الشيخ الحسين ابراهيم الزهراء :

ولد عام ١٨٣٣ .

وهو من متخرجي الازهر الذين يشار اليهم بالبنان وكان عالما
فقيها وشاعرا ويقال انه كان ندا للامام محمد عبده - عاد الى بلاده واشأ
مدرسة في قريته أم عصام في الجزيرة ثم التحق بالامام محمد المهدي قائد
الثورة المهدية وولى القضاء ثم أصبح قاضيا للاسلام في السودان ولكنه
عزل من منصبه ومات سحيثا عام ١٨٩٢ م . وله قصيدة معروفة من مائة
واثنى عشر بيتا يمدح فيها المهدي ويناشده ليولي مناصب الحكم للعلماء
جاء فيها :-

برج الخفا ما الحق فيه خفاء
وتسواك الآيات والأنبياء

جهل الولاة أمات دين محمد
وأهلوه قد ماتوا وهم أحياء
وقراكم ظلماتهم بين الودى
لما أظمان لهم ودام ولاه
ماي استهانوا بل بشرع محمد
فعليه من أقر الدمار حيله
فتناولته من اللثام وأعطه
صنف الكرام فأهله العامة
وأشرك عليهم ما اردت من الهدى
يعطوا العهود لأنهم أمنساء
ورف مرة أمام صريح سيدنا الحسين في القاهرة وأنشد قصيدة
يخطبه فيها استهلها بقوله
حسين يا حسين أتى اليكم منيما
وأنمحي الحسن والحسينا

الشيخ محمد البدوي :

هو متخرج في الأزهر ودرس على الشيوخ العالمين المعروفين عيش
وحسن البدوي وكان قاصيا في المهدي (١٨٨٥ - ١٨٩٨ م) مارس
العصاة براهه وصدق وعي شيجا بعداء في عهد الحكم البريطاني وعندما
نومي عام ١٩١١ م لم يخف الحاكم البريطاني سعادته بموته فقد كان
يعتبره من المعوقين للسياسة البريطانية في السودان ويصفه أحد
الأدباء (١) السودانيين النابيين بقوله : -

« كان الشيخ محمد البدوي من الأئمة المهجيين والعلماء المحافظين
على التقاليد المذهبية فهو من مدرسة الشيخ عيش وأمثاله فلم يعرف
عنه آراء تجديدية في الفقه الإسلامي ترجع أحداث العصر إلى منابع
التشريع الأصلية وأصوله المنة الثابتة كما فعل الأمامان الجليلان
الافغانى ومحمد عبده ولكنه عرف بنحزبه لحرفية النصوص من فقه امام
دار الهجرة مالك بن انس والحديث الشريف ولكنه امام عصره فقد نفقه
عليه حقة من العلماء وكانوا الشعلة التي أزاقت ظلمات الجهل في ذلك

(١) عبد القادر الصفيح ادريس (أبو حائل) في كتابه وثقات مع العاصي ص ١٠٣ .

والعهد الجائر الجاهل وكانوا اللجنة الاولى لهذه المؤسسة العلمية الشامخة
- المعهد العلمي - التي بدأت تشق طريقها في العهد الحديث وبفضل
جهود علمائها المتصلة الى جامعة اسلامية ، .

الشيخ المصطفى عبد الكرم :

ولد حوالي عام ١٨٥٧ م وهو من ذرية العالم الاسلامي المعروف
الشيخ ادريس ود الارباب ماحر الى الازهر بعد ان درس على الشيخ
الحسين الرهراء في الجزيرة ثم عاد الى البلاد فاقام مدرسة في كركوج في
أعلى السيل للأرق ثم التحق بالامام المهدي في فدير في غرب السودان
واسهم في حصار الخرطوم ولكن بعد نجاح الثورة المهدية لم يرص على
بعض أعمال الخليفة عبد الله خليفة المهدي ورجع الى مصر ووصل دراسته
في الازهر مره أخرى حتى نال الشهادة العالمية ثم عاد بعد هزيمة المهدية
وقيام الحكم البريطاني وعين قاصيا لمديرية دنقلا في شمال السودان .
وكان شاعرا واديبا مرموقا المكانة .

توفي في ذرية الخليفين علي الس الازرق عام ١٨٩٩ وكان عالما
أديبا رشح لأن يكون قاضيا لقضاة السودان عبر ان الاتفاق قد تم بين
بريطانيا ومصر بأن يشغل ذلك المنصب قاض مصري ومسلما اسلم
القضاة المصريون في ذلك المنصب عام ١٩٠٠ الى عام ١٩٤٧ م حيث تولاه
قضاة سودانيون .

الشيخ محمد عمر البنا :

ولد عام ١٨٤٨ وبعد ان حفظ القرآن نرح الى الازهر حيث تخرج
فيه وعندما عاد الى السودان انخرط في سلك الثورة المهدية وبايع
المهدي ، وشغل منصبا قضائيا ومسئورا للخليفة عبد الله . وعندما
هزمت المهدية عين مفتشا للمحاكم الشرعية في فترة الحكم البريطاني
ونوفى عام ١٩١٩ م وهو شاعر مطبوع وله قصيدة مشهورة خاطب بها
نوار المهدية بعد هزيمة جيش هكس البريطاني في غرب السودان في
نوفمبر عام ١٨٨٣ وصف فيها شجاعة المحاربين واستحثهم للتحرف على
الخرطوم عاصمة الحكم التركي حيث يقبع شرذون الماكن البريطاني باسم
الحيوى وقد حرت القصيدة على كل لسان وحاء فيها .

الحرب صبر واللقساء ثبات والموت في شأن الاله حياة
ان الجهاد فضيلة مرضية شهادت بمحكم أجرها الآيات

لنوم اذا حمي الوطنين رايهم
 وتبايهم سرور الحديد وباسهم
 في السلم براهم ركعتا سجدة
 وتخالهم يوم القساء ضراغمة
 باسميذا وسمع الانام بعلمه
 فانفض الى الخرقوم ان يسوجه
 نبذوا الشريعة من وراء ظهورهم
 خذ جيشك المنصور لا تجعل بهم
 فتسودوا لهم الخنادق وافعلوا

شمس الجبال والمضعف حملا
 شمسك به يوم القساء الفاربا
 اثر السجود عليهم وشمسك
 اسما واسل رماهم غابات
 واسمهم طروهم بالهدى بركات
 اهل القوية والملاسمك باتوا
 عن دينهم شغلهم الشهوات
 ولتسمن ممة الراسيات
 فعل الصحابة اذا انت غزوات

الشيخ اسماعيل عبد القادر الكردفاني :

وهو حميد الشيخ اسماعيل الولي في كردفان وقد التحق بالأزهر
 وهو طالب صغير اذ رافق خاله الشيخ أحمد الأزهرى الى هناك حيث اتم
 تعليمه ومنحه علماء الأزهر اجازات علمية لتسهيله بنوخله ومنهم العلامة
 المصري حسن الطويل كبير علماء الارهر آنذاك .

تولى الشيخ اسماعيل التدريس في الأزهر وقتما ثم عاد الى البلاد
 وعين مفتيا لدير كردفان وكان يقوم بالتدريس أيضا بجانب وظيفته في
 القضاء وقد نخرج على يديه علماء كثيرون وكان أدبا وشاعرا بال الحائزة
 الأولى في مسابقة شعرية نظمتها مجلة الحوائب المصرية وعندما قامت
 الثورة المهدية وحكومتها في السودان (١٨٨٢ - ١٨٩٨ م) التحق بالمهدي
 وعمل في سلك القضاء وله مؤلف في تاريخ المهدي سماه « سعادة
 المسنهدى بسيرة المهدي » حققه العلامة السوداني الدكتور محمد ابراهيم
 أبو سليم وكتب له مقدمة ضافية ووصف الكتاب انه مصدر هام من
 مصادر تاريخ المهدية . كما سبق مؤرخ عربي ان اعترى الشيخ اسماعيل
 بمنزلة ابن الانبياء وأبي القلاء وابن خلون والمقريري - لقد توفي الشيخ
 اسماعيل مسجونا في معاء في جسر السودان . ومن شعر الشيخ
 اسماعيل قصيدة اشيدما عام ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ يرثي الامام المهدي
 ويصف القلة التي دفن فيها المهدي جاء في القصيدة :

سمت قبة المهدي مجدا وسوددا
 وقد نظم زهر النجوم قلائدا
 ولاحت بانوار الهداية شمسه
 ونبطت بها اجوزاء عقد منضدا
 لحيد علاها حاق السبق مقردا
 فاشرق منها الكون وانفشم الردي

فلله منهاها ومحسبكم صنعوا
ولم لا وقد ضمت لأفضل وارث
خلاصة صفو المجد من آل هاشم
امام له في كل مجد ومسؤود
محمد المهدي بشرى محمد
به الله أحبانا وأظهر دينه
وقد أحرز الدين الحنيفي بالفلما
ولا دعاه الله جيل جلاله
أجاب النداء فالقلب بعد فراقه

وروخها الزهراء بالفضل والندى
لخير الأورى طه المشرق أحمد
وأفضل من في الخير راح أو اغتدى
مأثر فضل ما أجسل وأمجنا
شفيع الورد في الحشر من طاب محتدا
وأولاه أفضالا ونصرا مؤيدا
ودمر جبارا ظفي وتمبردا
لدار بها الفوز العظيم مغلدا
يذوب أسى والصبر عز وأبعدا

الشيخ إبراهيم شريف الدولابي :

وهو من أسرة الدولاب المعروفة في كردفان في غرب السودان درس
على حده ود دولاب ثم هاجر إلى مصر والتحق بالأزهر ولما عاد إلى السودان
كانت الثورة المهدية قد نشبت ضد الحكم التركي فرافق المهدي إلى
الابيض عاصمة كردفان عام ١٨٨٤ م . وكان شاعرا أيضا وقد رثا المهدي
بقصيدة جاء فيها :

كيف التام فسؤاى المعطسور
أم كيف ينكك الضنى عن مهجة
أسف على المهدي من عهد الصبى
لا زال في كنف العناية يفتدى
حتى انتهى مقامه الأعلى الذى
وأقامه المختار عنه خليفة
ورقى إلى كرسية متسنى
ناقت إلى الذات العلية روحه
فمضى وأودع كل قلب حسرة
تيكى المساجد والمحارب فقده

ورفو، دمع معاجسى المعجسور
أحشاؤها نصلى على نور
قد كان معصوما عن المحظسور
بدقائق التبصير والتنبؤسور
عنه النهى في حيرة وقصسور
خلعت عليه ملابس من نور
في مشهد بالأوليا معسور
وسعت لمقصده صدقها المسخور
وحشسا الحشى ببلايل وسعير
ومواطن الأذكار والتسذكير

وعين قاضيا شرعيا في عهد الحكم البريطانى على السودان وعضوا
في متيعة العلماء .

الشيخ عمر الأزهرى :

ولد عام ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م في قرية الصومى بالقرب من مدينة
القضارف في شرق السودان حيث حفظ القرآن ودرس قدرا من الفقه

واللغة العربية ثم رحل الى مصر للدراسة في الأزهر وعندما عاد قام بتدريس مواطنيه وكان شاعرا وله قصيده نالت إحدى جوائز مجلة الجوائب التي كان يصدرها أحمد فارس الشدياق في الاستانة ثم نقلت الى القاهرة وكان مطلعها .

سلوا عن فؤادي مسيلات الدوائب فقد ضاع من بين القلوب الدوائب
فلا سلمت نفس من أحب قد خلت ولا كان جفن دمعته غير ساكب

عين قاضيا في المهديّة وكذلك في عهد الحكم البريطاني في السودان وتوفي عام ١٩١٥ م وهو والد الشيخ الصديق الأزهرى العالم العامل المعروف في مدينة رفاعة عاصمة مديرية الحزيرة .

● فقهاء متصوفون

سلك أغلب الرواد السودانيين من متخرجي الاوهر ان لم يكونوا كلهم طريق التصوف متأثرين بأساتذتهم في الأزهر وبن درسوا مؤلفاتهم من الفقهاء - والمتصوفين - لم يكن طريق الصوفية في بادئ أمرهم سهلا معبدا فقد تصدى لهم الفقهاء وقام الحسلاف بينهما حتى اضحى عداء مستحكما وصفه العلامة أحمد أمين بنكية السكيات ومصيبة كبرى ولقى المتصوفون أذى وحربا عسيفا الى ان انتصر لهم الامام الغزالي في أواخر القرن الخامس الهجري نكتابه احياء علوم الدين واستطاع ان يسلك طريقا حبيب الفقهاء وأهل السنة في التصوف حيث دعا للمحافظة على الشريعة الظاهرة مدعمة بالقبة الحسنة وتطهير الظاهر كتطهير الباطن - لقد كان للامام الغزالي فضل في ازالة العداء بين الفقهاء والصوفية وهذا يعتبر نقطة تحول كبرى في تاريخ الفكر الاسلامي .

وقامت الطرق الصوفية بعد موت الفسزالي ١٠٥٩ - ١١١١ م وانتشرت بدرجة كبرى مسنده قوتها من اتجاهاته وترعه السنيّة وأسست زواياها وروابطها ومراكز العلم في البلاد الاسلامية كما فعل هو نفسه في بلاده .

كانت الطريقتان الصوفيتان اللتان تسيطران على المجتمع الاسلامي آنذاك هي القادرية (الجبلانية) وتنسب الى الشيخ عبد القادر الجبلاني المتوفى عام ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م والمدفون في بغداد ، لقد كان فقيها درس عليه تلاميذه التفسير وعلوم الحديث والمذهب والخلاف والأصول

والحو وكان يعنى على مذهبي الشافعي وابن حنبل وكانت فتواه تعرض
على العقلاء في بعداد فتعجبهم كل الاعجاب .

والطريقة الثانية هي الشاذلية وتنسب الى الشيخ أبي الحسن
الشاذلي الذي توفي في صحراء عيذاب عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وهو
في طريقه الى الحج . كان الشيخ الشاذلي فقيها مالكيا اشتغل بالعلوم
الشرعية حتى أفتيا كنانة وسنة وتفسيراً وكان يخاطب أتباعه بقوله .

« اذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع
الكشف وقل لنفسك ان الله تعالى قد ضمن له العظمة في الكتاب
والسنة ولم يضمها لي في جانب الكشف ولا الالهام ولا المشاهدة » .

لقد كان المجتمع المصري يعج بالفقهاء المتصوفين في عهدي المماليك
٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م الى ٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م آل عثمان ٩٢٢ هـ /
١٥١٧ م الى ١٢٥٠ هـ / ١٨٠٥ م ومن قبيل المثال نذكر بعضاً من
الآييين (١) منهم من كان لهم أثر على المجتمع المصري والسوداني فيما
بعد وهم الشيوخ .

تاريخ الوفاة

٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م	عبد الدين عبد السلام وسمى سلطان العلماء
٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م	محي الدين النووي
٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م	الامام البيهقي صاحب البردة
٧٠٧ هـ / ١٣٠٨ م	ابن عطاء الله اسكندري
٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م	نقي الدين السبكي
٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م	سراج الدين أبو حفص عمر الملقب
٨٠٥ هـ / ١٤٠٣ م	السراج البلقيني ويعتبر عالم المائة الثامنة
٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م	شهاب الدين بن حجر العسقلاني
٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م	نور الدين العيني
٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م	جلال الدين السيوطي
٩٧٣ هـ / ١٥٦٦ م	عبد الوهاب الشعراني
١٠٤٠ هـ / ١٦٣٦ م	ابراهيم اللقاني
١١٠١ هـ / ١٦٩٠ م	أبو عبد الله الخرشبي أول شيخ للاذهر

(١) راجع جملة لأولياء الجزء الثاني لسيد محمود ابن لقيس وكذلك عصر
سلاطين المماليك المجلد الثالث تأليف محمود رزق سليم .

وكان هؤلاء جميعهم فقهاء متصوفين . أما أهم الفقهاء الصوفيين (١) الذين درس عليهم أولئك الرواد من متخرجي الأزهر أبان الحكم العثماني وبنائروا بهم وحذوا حذوهم عند عدد منهم ثلادهم فهم :

تاريخ الوفاة

الشيخ زكريا الانصاري ويعتبر حاتمة فقهاء العصر ٩٢٥ هـ / ١٥١٩ م
الملوكي

شمس الدين اللقاني

ناصر الدين اللقاني

عبد الرحمن الاحموري

٩٩٨ هـ / ١٥٩٠ م

محمد البتوروي

١٢٠١ هـ / ١٧٨٦ م

أحمد محمد المدوي الملقب بالدردير كان شيخا

للمالكية ويرصف بده امام وقته وعصره

١٢٣٢ هـ / ١٨١٧ م

الشيخ الامير

وهناك فقهاء متصوفون درس عليهم السودانيون في الأزهر في العصر الحديث الذي تلا الحكم العثماني فذكر منهم مفتي المالكية الشيخ محمد عيش والشيخ اساميم الباحوري شيخ الأزهر ومصطفى الحساوي وغيرهم .

لقد كان أولئك الرواد كاساتذتهم في الأزهر فقهاء صوفيين يتبعون للطريقة الشاذلية أساسا ويرى أن الطريقة الشاذلية كانت أول طريقة دخلت السودان على يد الشريف حمد أبي دنانه صهر محمد بن سليمان الحروي داعية الطريقة الشاذلية في المغرب والموتى (من حوالي ١٤٦٥ م) وذلك قبل قيام سلطنة سنار الإسلامية ١٥٠٤ م وهي بذلك قد سبقات الطريقة القادرية (الجبلاية) التي دخلت السودان على يد الشيخ تاج الدين البهاري الذي قدم السودان في حوالي ٩٨٥ هـ / ١٥٧٧ م .

وبقيني أن الطريقة الشاذلية انتشرت في السودان أساسا بفضل أولئك الرواد من الفقهاء الذين درسوا في الأزهر وإذا رجعنا الى كتاب

(١) راجع حجرة الأولياء الجزء الثاني لسيد محمود أبو العيص وكذلك

عصر سلاطين المالكية المجلد الثالث تأليف محمود زرق سليم .

طبقات ود صنف الله لوجدنا في سير كثير من الفقهاء ما يدل على انهم كانوا ينسبون الى الطريقة الشاذلية . ومهما يكن من أمر ، فقد عرفنا عن الطريقتين اشاذيه والقادرية (الحلاويه) انهما سسيران عن هدى الكتاب والسنة ولهذا كان اثر أولئك الرواد الفقهاء المتصوفين واضحا على المواطنين اذ انهم ارسوا قواعد التصوف الشيء الذي تدعو له الشاذلية والقادرية وكانوا بذلك واضعي هذا التقليد السليم الذي لم يدع مجالاً للمذهبة أو النصب والعدا . بين الفقهاء والمتصوفين كما هو الحال في بعض البلاد الاسلامية .

لقد أنشأ الشيخ محمود العركي عدة مدارس على السبل الأبيض في النصف الأول من القرن السادس عشر على عرار الزوايا والروابط التي يقيمها المتصوفون حتى اصبح السبل الأبيض كمنه لطلاب المعلم والدرس ولكنها دمرت جميعها في عام ١٦٨٤ على يد ضائن السلوك الجنوبية والشيخ محمود كان أول سوداني نذكره الوثائق درس في الازهر على نحو ما ذكرنا وكان فقيها صوفيا وقد درس على أساتذة صوفيين في الازهر . كذلك كان أولاد جابر ثقطبا وأولياء وهذه هي الغاية الصوفية ولعل الاحادة التي منحها الشيخ عبد الرحمن بن جابر لتلميذه ابراهيم ولد رابعة وما حوته من نعوت والقباب تشير بوضوح الى الأثر الصوفي والطريق الذي كان يسلكه الشيخ عبد الرحمن وما كان يطلبه من تلميذه أن يكون مرسا للمريدين وقدموة للمسترشدين ومتبعا للفقراء والمساكين .

ابني لا أشك مطلقا بان الشيوخ الفقهاء محمود العركي وأولاد جابر كانوا صوفيين ينسبون الى الطريقة الشاذلية على نحو ما كان عليه أساندهم في الازهر .

كذلك كان الشيخ عبد الله العركي (١٥٧٠ م) شيخ الطم بقه القادرية (الجيلانية) في السودان وعميد أسرة العركيين المعروفة في الجزيرة في الاقليم الأوسط عالما صوفيا وكان ينشر للطريقة القادرية بروح العالم الفقيه وكان يتأدى في قومه واتباعه ويحذروهم الا يخوضوا في مسائل التصوف دون دراية الا بعد أن ينالوا قدرا كبيرا من العلم وكان يتخذ لنفسه طريقا مرضيا لأهل العقه والتصوف اذ كان ينأى بنفسه عن شطحات بعض المتصوفين ويعتبر الشيخ عبد الله العركي أحد الذين ارسوا قواعد التصوف السني ونجد أثر ذلك الاتجاه عند قومه العركيين المتصوفين اذ يشترطون على اتباعهم أن من لا يحفظ مختصر

خليل عن ظهر قلب لا يولى شياخة الطريقة القادرية . والشيخ عبد الله
سافر الى المحجار وأحد بدرس للطلاب في مقام الإمام مالك عليه سمي
ثم عاد الى بلاده بناء على رغبة أهله . لم تقف رسالة هذه اليونات القدسية
على نشر الاسلام وتعليم الناس أمور دينهم بل كانوا موثلا للعقسراء
والضعفاء وكان يستعير بهم الناس وقت التسعة والضييق كما عملوا على
توحيد الناس وتعليمهم وأصبح كل فرد في الطريقة أخا لآخر مما أضعف
الرابطة القبلية الهمجية التي أثرت على العلاقات بين الناس وقللت من
حدة الصراع والخلاف بين القبائل فيما بينها وربطت الناس على أسس
دسة قومية أوسع وأشمل من القبيلة .

وتكى ران على السودان في أواخر عهد سلطنة سنار حسسو من
الاضطراب والعوضى فنشبت الحروب والغارات القبلية وانفرط عهد
الامن وأصبح الطريق الى مصر وعرا لا يأمن المسافر فيه على نفسه وسدت
بذلك أمام المواطنين منافذ الهواء النقي الصالح الذي يأتيها من مصر ومع
ما نتج من حالة التؤس والفقر تفشى الدجل والشعوذة .

ورعما عن ذلك ووسط ذلك النجوا المضطرب كانت مدارس العلم
التي أنشأها أولاد جابر أولئك الرواد من متخرجي الأزهر يقوم بدورها
خير قيام وقد شهد بذلك الرحالة السويسري يوركهاردت (١) د ١٧٨٤
١٨١٧ ، الذي زار السودان عام ١٩١٣ ولاحظ كيف كان الأهالي في
منطقة الشايقية يقبلون على تلك المدارس وكانوا يدرسون فيها العلوم
الدينية والرياضيات والفلك كما لاحظ أن كثيرا من أبناء القبائل المحاورة
يفدون الى تلك المدارس حيث يفضلون فيها هناك عشر سنوات أو أكثر
في تحصيل العلم ويقوم المواطنون هناك بإيوائهم وإطعامهم كما لاحظ
ما كان يلقاه العلماء من احترام وتجلة من مواطنيهم وأن كثيرا من الأهالي
يعرفون القراءة والكتابة .

كذلك لاحظ عندما سافر جنوبا الى بربر والدامر أن طلابا كثيرين
من دارفور وكردفان وسنار يقصدونها لتلقى العلم في مدارسها وتوسع
في ملاحظاته عن الدامر حيث (٢) أعجب بمعاملة أهلها ونظامهم وطابعهم
ووصف الدامر بأنها بلدة نظيفة ذات شوارع منظمة يسودها الأمن
والطمأنينة ولم يحاول أحد أن يجبي منه اناوة أو أن يرهقه في بيع أو

(١) محمد عمر شمبر - تطور التعليم في السودان من ٣٣ .

(٢) عبد المجيد عابدين - تاريخ الشماة العربية في السودان من ٦٢ .

شراء ورأى البلدة يسودها جو من القوي والصلاح وعلم أن الفضل في ذلك يرجع الى أن الرئاسة والسيادة في الدامر لرجسال الدين الدين ينمون جميعا الى أسرة المجاذيب نسبة الى الشيخ حمد بن محمد المجذوب وكان علماء المجاذيب قد تلقوا تعليمهم اما في الازهر أو مسكة وهم ينسبون الى الطريقة الشاذلية المجذوبية .

وكذلك كانت بقية الخلاوي والمدارس في تونى والعليمون والحريرة والنيل الأبيض حيث كان على رأسها علماء متصوفون ينشئونها على هفتهم أو يشترك معهم في الاتفاق عليها أهل البلدة جميعا ولذلك لم يكن التعليم الديني في السودان منذ عهد سلطنتي سنار ودارفور الى العهد التركي وإلى ما بعد ذلك تحت اشراف السلطة الحاكمة أو أي إدارة نظامية وإنما كان يقوم به الفقهاء أو الجعاعات تطوعا واحسانا واكتفى سلاطين سار وولاية العهد التركي من بعدهم بتقديم بعض من التسهيلات واقطاع الفقهاء اقطاعيات لهم للمعيشة والمأوى .

وعندما قامت المهديّة (١٨٨٥ - ١٨٩٨) أحرقت الكتب ولم تنق الا على القرآن والصحيحين وأحياء علوم الدين للغزالي وكتب الشعرائي وتفسير البيضاوي والحلال السيوطي وابطلت بطبعة الحبال الطرقي الصوفية .

وعلى الرغم من أن فترة المهديّة كانت فترة حروب وجهاد الا أن خليفة المهدي عبد الله شدد على الناس لحفظ القرآن أو ذلك القدر من سورة ما يؤدون بها الصلاه وعكف الناس على القراءة والكتابة وحفظ القرآن حيث كان الجيد يدرس مع حفيده وأولده مع أبيه وانتشرت مدارس القرآن في كل انحاء البلاد وبلغ عددها في أم درمان عاصمة البلاد وحدها آنذاك ثمانمائة (١) .

وعندما سقطت دولة المهديّة في عام ١٨٩٨ واستتب الأمر لبريطانيا أعادت الطرق الصوفية الى ما كانت عليه وشجعت قيامها مثل ما فعل محمد علي باشا قبل ذلك فقد شجع بعضا من الطرق الصوفية للدخول الى السودان كالطريقة السعدية والرحمانية والبرهانية . وأخذت تقضي

(١) م. عمر بشير - تطور التعليم في السودان - ص ٥٥ .

رويدا رويدا على نظام الخلاوى والمدارس الدينية باعتبارها مؤسسات
ندعو للتعصب الدينى وحلت محلها الكتاتيب والمدارس النظامية والتي
لم يقبل الطلاب عليها فى بادئ الأمر بل كانوا ينظرون اليها كمواكسز
للتبشير وكان بعض من الأهالى يرفضون فتح مدرسة فى بلدتهم بسبب
يعتبرونها كنيسة (١) لا مدرسة ونسوق مثالا لذلك أهالى جزيرة مقرات
فى شمال السودان .

(١) نفس المصدر - ص ٨٢ .

❁ المرأة السودانية والتعليم الدينى قديما

أم عن تعليم المرأة فقد حرص أولئك الرواد من علماء السودان على تعليم البنات أسوة بالولد وكانت حلاوى القرآن فى الشمال والجزيرة وسواكن وأرض البجا وكردفان ودارفور تجمع بين البنات والولد معلما مختلطا ويروى أن أكثر تلاميذ العالم السودانى الشيخ حمد بن محمد بن على المشيحي المعروف بورد أم مريوم (١) (١٠٥٥ هـ - ١٦٤٥ م) والمتوفى ١١٤٢ هـ - ١٧٣٠ م - من النساء حيث أن أتباعه يذكرون فى مدحه أنه علم نساء قبيلة فزارة وجعل صهي عالمات وفقهات فى الدين . وكان فى مقدمة المدارس أولاد وبنات أولئك العلماء حيث نجد كل نساء البيوتات الدينية يحفظن قدرا من القرآن ان لم يكن كله ويعرفن شئون دينهن معرفة تامة ومنهن من تعمقت فيه وظل هذا التقليد معمولاً به منذ ذلك العهد .

وسجل التاريخ أسماء نساء كثيرات فتحن المدارس وأخذ العلم عليهن كثير من الناشئة بنين وبنات وتسوق مثالا لذلك :

فاطمة بنت جابر أخت أولاد جابر العلماء الأربعة الذين درسوا فى الأزهر والذين كان لهم أثر واضح فى الحياة الدينية فى السودان كما ذكرنا آنفا فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى وتوصفت فاطمة هذه بأنها كانت نظيرة لأخوتها فى العلم والدين وقد حفظت القرآن وعمرها اثنا عشرة سنة وكانت تقوم بتعليم الصبيان فى مسجدها بالدفار فى دنقلا

(١) ورد وصفه الله - الطبقات - ص ٦٧ .

ونسحق عليهم من مالها وقد ولدت للعالم السوداني محمد بن سرحون المعروف بصغيرون والذي هاجر من دنقلا جنوباً فأشأ مدينة علميه بالقرب من شسدى عرفت بفور العلم والتي أصبح مناره للعلوم الاسلاميه فى منطقة الجعليين كذلك كانت بننها آمنة وكانت عالمه كامها كما كانت لآمنة ابه عالمه ايضاً اسمها فوته وكنى مرسى تعليم الصبيان والبنات وسرح على أيديهن من دريتهن علماء بابهون بهصوا برسالة العلم فى دنقلا وشسدى واقلبيم الجزيرة .

وهناك ايضاً عائشة بنت محمد القدال بن ابراهيم المعروف بالغرضى وبعد درس جدها الغرضى على عبد الرحمن حمدنو الذى درس فى الأمر على الشيخ البسورى . وكان والدها وجدها عالمان يشار اليهما بالبنان .

لقد كانت لعائشة هذه مدرسه على النيل الأبيض لتعليم الصبيان بسا وأولاداً ومن بين من درس عليها الشيخ حوجلى العالم السودانى المعروف المتوفى عام ١١٥٥ هـ - ١٧٤٢ م والذي ورد ذكره وذكر أبيه الشيخ عبد الرحمن الذى درس على الشيخ على الاحهورى فى مصر .

وبذكر ايضاً بتول الغبشة (١) والدة الشيخ هجو وأخت الشيخ يعقوب جند أسرة اليعقوباب المشهورة بالعلم والتصوف وهو تلميذ الشيخ عبد الرحمن بن حساير الذى درس فى الأمر على الشيخ البسورى وكانت لها مدرستها الخاصة بها فى سنار لتعليم الصبيان وعرف عنها حفظها للقرآن وتجويده كما كانت ناسخة ماهرة للكتب مما زاد من شهرتها وعلو صيتها وكان فى البلاد علماء وبيونات تضطلع بمهمة نسخ الكتب بغرض البيع أو التبرك .

كما ظهر سناء أخريات فى أوقات متعاقبة نذكر منهن أمونة (٢) بنت عمود فى دنقلا التى تحدث عنها العلامة رفاعه رافع الطهطاوى وذكر أنها كانت تقوم باقراء القرآن الشريف والمتون وإدارة مكتبتين أحدهما للغلمان والثانى للبنات وكانت تنفق من كسبها بغزل القطن وتشغيله وكان منزلها كالنكية للعقراء والفاصدين ببيت الله الحرام .

وكان فى قرية شريكه فى كردفان سيدتان هما عائشة (٣) وآمنة -

(١) من مقال للاستاذ الطب محمد الطب - سناء سوديات شاركر فى صحاح التاريخ - انكواكب المصرية .

(٢) و (٣) د عبد المير عبد الحيد - القربة فى السودان - ٢ من ٥٦

انقطعنا لتعليم اولاد المسلمين القرآن الكريم في مسجد اشائاه حصيصا لهذا الغرض .

وفي قرية البشافة عرب على بعد حوالي ٥٠ ميلا جنوب الخرطوم كان بعض نساء القرية يعلمن الناشئة القرآن الكريم وقد نبتت منهن الحار بنت اسماعيل حفيدة الفقيه محمد راد الله متخرج الازهر وهو حميد الشيخ العالم أرباب بن عون المعروف بأرباب العقائد مؤسس مدينة الخرطوم وكانت تحفظ القرآن ومحضر حليل وتقرأ لنفسه المحدث النامع ابن سيرين .

وكانت هناك في ارض اخلاوين بالجزيرة أم كلثوم بنت القرشي ابنة القرشي ولدت الرين شيخ الامام المهدي وكانت تقسم داخلية لاهواء السات الطالبات حيث لا تغادر البنت الداخلية الا بعد ان تحفظ القرآن .

لقد ازدهرت خلاوى القرآن على طول السودان الشمالي وعرضه وكان للنساء نصيب كبير في نشر العلم في ربوع البلاد كما ذكرنا وما يجدر ذكره ان مدارس القرآن في السودان عرفت التعليم المختلط منذ عهد بعيد فقد كان الصبيان ... دين وبقا ... يدرسون جبا الى جيب ثم يتفرقون بعد ذلك لواصله التمديم عندما يلقون سن المراهقة .

❁ الشعر السوداني

١ - في عهد سلطنة سنار :

بدأ الشعر العربي في السودان صوفي السرعة والاندفاع فقد كان ذلك « الشعر (١) في بوكيره وليد بيته صوفية متمسكة ذات حظ غير كبير من النوع الثقافي » وكانت تغلب عليه لغة لغامية ولكنه في مضمونه اكتملت فيه كل عناصر الشعر الصوفي من حيث المديح في الرسول ووصف صاحبه ومكارم أخلاقه وغرواته والدعوة إلى الزهد والتقشف والسعي بالأخلاق الحميدة وكان شعراء ذلك العهد - عهد سلطنة سنار - هم رجال الدين والتصوف أنفسهم ومهما يكن من شيء « فادباء (٢) الصوفية هم الذين رحموا تاريخ الأدب العربي من تلك الوصية وصية التزلف بالمديح إلى الملوك والرؤساء والأمراء .. وهم الذين جعلوا السلامة من باب السلطان كالسلامة من باب الطبيب وكانت عندهم سلامة الأرواح فوق سلامة الأبدان ... وهم الذين عطروا الأدب العربي بأريج الكرامة والعزة والصيانة والعفاف وهم الذين وصلوا المشرق بالمغرب وحفظوا الاسلام ماذاعة المعاني الروحية والدوقية ... » .

ولم يبق لنا من شعر ذلك العهد الشيء الكثير الا قصيدة اعالم الصوفي الشيخ تروح ود تكتوك المتوفى عام ١١٤٧هـ / ١٧٣٤ م والتي تحمل نفس تلك المعاني السامية التي تبعد الناس عن التزلف والتصنع بالسلطانين وقد بدأها بقوله :

(١) د. احسان عباس ، الشعر السوداني - نظره تيميمية نقلا عن أصول الشعر

السوداني عند الهادي صديق ص ٨٠ .

(٢) نقلا عن لصوب الاسلامي ، د. دكي مبارك ج ١ ص ٣٣٨ .

يا واقعة عند أبواب السلاطين ارفق بنفسك من هم وتحزين
بأني بنفسك في ذل ومسكنة وكسر نفس وتخفيض وتهوين
إذا كنت تطلب عزاً لا فناء له فلا تقف عند أبواب السلاطين

تم أحد شعر المديح يرفى وتعلب عليه العامية في آخر العهد
التركي والمهدية وظهر شعراء نواح مثل قدوره وود نعيم واب كساوي
وحاج اساحي وود سعيد واب شريعة وغيرهم وكانت مدائحهم حافلة
بالمفردات والكلمة المعبرة والمادة التاريخية والعقيدة مما يبرهن على
عبرتهم في العلم والدين والتاريخ الاسلامي كما سبقوهم في هذا
المضمار ابن الفارض واساسي وابوعبي .

٣ - في العهد التركي

أما الشعر في العهد التركي فيجئ بداية لمرحلة جديدة لشعر
عربي فصيح ذي اتجاه ديسي صوفي ينصرف في الغالب الى المديح النبوية
وشعراء هذه الفترة من العلماء الذين تلقوا تعليمهم في الأزهر الشريف
وعادوا الى السودان للعمل بالتدريس والقضاء الشرعي . لقد كانت
بداية الشعر العربي الفصيح في السودان على يد هذه الفئة من العلماء
الذين تلقوا تعليمًا دينيًا ولغويًا في الأزهر ويؤرخ أحمد الأدباء (١)
السودانيين ان بداية الشعر الفصيح هناك تقع ما بين عام ١٨٦٠ الى
بداية الحرب العالمية الأولى أي بعد أربعين سنة من قيام الحكم التركي
في السودان ولم تكن اللغة العربية حتى ذلك الوقت لغة مصر الرسمية
الى أن أصدر الخديوي إسماعيل قراراً بأن تصبح اللغة العربية لغة البلاد
الرسمية بدلاً من اللغة التركية في شباط ١٢٨١ هـ / ١٨٧٠ م وقد
كان هذا القرار د معزى سياسي في مصر والسودان بل والعالم العربي
من اوجهتين الأدبية والاجتماعية وفتح مناهل اللغة العربية لسمو وتنتشر .
لقد عبق أحد الأدباء السودانيين على الشعر في العهد التركي
بقوله .

« شعر (٢) العلماء اذن وهو بداية الشعر الفصيح في السودان
لم يكن مطوراً طبعاً للشعر الشعبي شعر البطولة والفروسية الى التعبير

(١) د. محمد إبراهيم الشوش - الشعر الحديث في السودان .
(٢) نفس المصدر ص ٢٨ .

واللغة العصبى وأما هو شعر أفراد قلائل منأت لهم ظسروهم الفردية
انصلا بالخارج وتعلينا ادهريا ديتيا مكهم كل ذلك من نظم هذا الشعر
وهو شعر فقهى وليس فيه من مظاهر القومة الا تلك المسحة الصوقية
التي أشربا اليها

ان الشعر (١) السياسى فى هذه الحقبة قليل ومع فلتة يصور
الاحداث المثيرة داخل السودان ولكنه أعرب الى حد ما عن رضاء العلماء
من الحكومة وشاطر مصر الشقيقة فى ثورنها العرامة فوضع اللسة
الأولى لنكفاح المشرك بين الشعبين السودانى والمصرى وهذه الشعر
القليل يحمل خصائص لم يعرفها شعربا من قبل .

لعد اربع (٢) الشعر فى ذلك العهد فى مسواه عن شعر منطقة
سبار اد حققت فيه لغة كبير سلامة اللغة وصحت التراكيب وارتقى عن
اسيقه من حيث العبارة والفكرة وانسم فى محمله باستقامة الموسيقى
وان لم يخل من اضطراب .

الشعر فى المهديّة :

تطور الشعر فى هذه الفترة الوجيزة وكان أبرز شعرائها هم من
متخرجى الازهر الذى وردت اسمائهم آنفا فى دراستنا عن سمرهم
وقد ذكرنا نماذج من أشعارهم لتلقى صوءا على ما كان عليه الشعر
آنذاك حيث كان بطبيعة الحال شعر حرب وثورة وحماسة وبطولة ومدح
للمهدي وقواده وظهرت شخصية الشاعر السودانى مستقلة معردة ولغة
من المتناسب ان نذكر هنا أبيانا من قصيدة للعالم السودانى الشبح
محمد الطاهر المحدث وهو من أسرة المجاذيب ذات الأثر الكبير فى
السودان لذوع صنها آنذاك ولأنها تصف بعضا من معارك الثورة
المهدية فى هندوب وهشيم وسواكن فى شرق السودان وتتغنى
بانتصاراتهم على الجيش البريطانى ويقال انه ارتحلها ارتحالا .

(١) محمد محمد على - الشعر السودانى فى المعارك لسياسيه ٩٨ .

(٢) عر الدين الأمير - ثروات الشعر السودانى ص ٧٦ .

هتوب تعرف صبرنا
وهشيم تشهد عزنا
يا طالا صدنا بها
جيشنا يرن سلاحه
وسواكن تدرى بنا
بالشرفى كأنه
زمننا رصدنا نجوها
وتشرفى فى أرجائها
ولطالما برزت لنا
من كل فج يمنية
فتجساذبتهم خيلنا
والبيض تسلب فيهم
حتى أتت أخبارنا
نحى لدين الله بس

كيف ارتكبنا للمصائب
كيف أدعنا للمصائب
صيد الغصن للتعالب
كالرعد اذا ما ؟ المزن صائب
انا لى الهيجا نضارب
وقع الصواعق فى المضارب
نبى العجائب والغرائب
كاللث اذ شب الخالب
منها العساكر والكتائب
بل يره من كل جانب
ترهى بهم رمى الشواقب
فوق العمائم والعصائب
بين مصر تكتبها الجوائب
فى شأنه تلقى المصائب

وبلاحظ هناك اشارة فى قصيدته الى محبة الجوائب الى كان
يصدرها أحمد فارس الشدياق فى مصر وقد كانت تعنى كثيرا بأخبار
السودان وكانت تشر مقالات وقصائد لهم وكان مكانها فى السودان
الشيخ محمد عثمان حاح خالده وهو من أسرة العرب المعروفة وحفيد
الشيخ حامد بن العقبة سليمان المعروف باللين وهو أول من أحضر من
مصر شرح عبد الباقي عى خليل والشرابخيتى على العشماوية والشيخ
محمد عثمان والد الاستاذ الدرديرى القاضى أحد أقطاب الحركة الوطنية
فى السودان وعضو مجلس السيادة الذى حو محو الحاكم العام
البريطانى وقد أرسل الخليفة عبد الله الشيخ محمد عثمان سفيراً له
لدى الامبراطور منبىك عاهن الحبشة آنذاك واستطاع ان يرم اتفاقية
دفاعية بين السودان والحبشة عام ١٩١٥ / ١٨٨٩ م .

● دور الأزهري إبان الحكم البريطاني

(١٨٩٨ - ١٩٥٥ م)

كانت بريطانيا منذ ان حشمت على صدر مصر عام ١٨٨٢ م تعدد
العداء لاحتلال السودان ليكتمل به مخططها وليكون تحت قبضتها الطريق
ممنحدا من مصر الى الكاف في جنوب افريقيا - كان الحديوي توفيق قد
سرح الجيش المصري في ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ بأمر العزة السيطيين
وذلك بعد ستة أيام من معركة التل الكبير التي هزم فيها الثوار المصريون
وكون حشمت مصرنا حديدا بدونه ويقوده صباط بريطانيون . وأمام الصراع
الدولي المحموم والسباق نحو استعمار افريقيا وحرقا على الا يؤدي احتلال
السودان الى مصاعف ومشاكن دولية بين بريطانيا ومناقشتها القسوية
فرنسا بالذات سبب بريطانيا حملة لغزو السودان باسم مصر باعتبار
السودان كان جزءا من ممتلكات الحديوي - وسميت « حملة استرجاع
السودان » وكان السودان اذالك يخضع لحكم الشريعة المهدية
(١٨٨٥ - ١٨٩٨ م) وعن القائد العام للجيش المصري الجنرال البريطاني
السير هربرت كيتشر قائد الحملة الغزو يعاونه صباط بريطانيون كبار
وآخرون مصريون وسودانيون وكانوا جميعهم بعثروا نابعين لخدري
مصر وكان الجنود كلهم مصريين مع فرقتي سودانيتين دربتا في مصر
خصيصا لهذه الحملة .

وكان كلما تم للجيش الفاتح احتلال مدينة أو منطقة يرفع عليها
العلم المصري واستمرت الحملة بطيئة عامين من الزمان وفي المعركة
النهائية الفاصلة في أم درمان عاصمة البلاد الحقت ذون بريطانيا بالحملة

وفي ٢ سبتمبر عام ١٨٩٨ لم لب النصر الهشائي على حكومة الثورة السودانية عقب معركة فاصله وبعد مقاومة شهد التاريخ قتيلاً منها مما سجله الضباط البريطانيون المدين اشتركوا في المعركة أو المراسلون الحربيون المرافقون للحش الغائج وكان النصر حقيقة حليفاً للسلاح الفتاك الذي استخدم واحترع ليستعمل خصيصاً في هذه الموقعة وهو مدمع المكسيم لسريع الطلقات .

توجه قائد الفتح الحمرال كتشسر الى الخرطوم ورفع العلم طايى والمصرى ولأول مرة على أنقاض السراى الذى كان يحكم رداً عردون باشا البريطانى الجنسية باسم حديوى مصر قبل ثلاث سن عاماً منذ ذلك الوقت وكان الثوار السودانيون قد قتلوا عردون هذا عندما سقطت الخرطوم في أيديهم فجر ٢٦ يناير ١٨٨٥ .

املت بريطانيا على مصر اتفاقية في يناير ١٨٩٩ ليحكم بمقتضاها السودان عرفت باتفاقية الحكم الثنائى - بريطانيا فعلاً ومصر اسماً وكان قد ابتدع فكرتها اللورد كرومر (ايفدن بيرنج) معتمد بريطانيا وقصصها العام في مصر والذى كان يحكم قصصه على الإدارة في مصر وهو من عائلة بيرنج البريطانية ذات الثراء والحياه العريضة في بريطانيا - وعرف السودان منذ ذلك الوقت بالسودان الانجليزى المصرى وعين كتشسر قائد حملة الفتح حاكماً مطلقاً على السودان .

لقد لقيت تلك الاتفاقية معارضة شديدة في مصر باعتبار السودان أرضاً مصرية وليس لبريطانيا حق في المشاركة في حكمه وخروجت جريدة اللواء كمقال صاخر لمصطفى كامل في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٠٠ يعرب فيه عن سخطه وسخط طبقته على الاتفاقية ونظراته للسودان باعتباره جزءاً من ممتلكات مصر ويرد اللورد كرومر (١) مبتدع الاتفاقية بقسوله :-

احلثرا وليست مصر هي التى قامت فعلاً بفتح هذه البلاد - صحيح ان خزانة مصر تحملت الجزء الاكبر من عبء مصروفات العرو وان القوات المصرية بقيادة الضباط البريطانيين ساهمت بحزء مشرف من مجهود الحملة - الا انه من الصحيح أيضاً انه خلال فترة الاعداد وتنفيذ الباسمة كانت القيادة الاعلى والطول لبريطانيا ولذلك فانه من السخف الادعاء

(١) معتمد عمر بشير - تاريخ الحركة الوطنية في السودان ص ٢٩ .

بأنه كان يمكن للحكومة المصرية إعادة فتح السودان دون مساعدة بريطانية بالرجال والمال والقنادة العامة ومن ثم فإن ضم الأراضي المستعمرة لـإنجلترا له ما يبرره إلى حد ما » .

وكان الحديوي عباس حلمي (٢) قد رار السودان وفي احتفال كبير أهد له في الخرطوم مساء ٤ ديسمبر ١٩٠١ ألقى كلمة قصيرة يرد فيها على كلمة مرحب من الحاكم البريطاني وقائد الجيش المصري جاء فيها - « .. العلمان الانجليزى والمصرى اللذان يجمعان الواحد بجانب الآخر هما اشارة الى الحكومة المشتركة التي أخذت على عاتقها حماية الاهالى من الوقوع فى شرك أهل الظلم والفساد وانفداء عصر هدوء وسعادة فى هذه الديار » .

لم تعط الانعاقية بريطانيا حق مشاركة مصر فى حكم السودان بل اعطتها كل التوصاية على السودان فانعقدت بحكمة واعرفت لمصر بحقوق اسمى فى السيادة على السودان . وهكذا أصبح كل وادى النيسل مصر والسودان فى يهبة بريطانيا تحكمه عن طريق المعتمد البريطانى فى مصر والذي كان حاكم السودان البريطانى مسئولاً لديه . . . » .

وانتقل الجيش المصرى بكامل هيئته الى السودان وقائده العام هو حاكم السودان البريطانى واستمر الحال على ذلك حتى عام ١٩٢٤م حيث اغتيل فى مصر السير لى ستاك حاكم السودان وقائد الجيش المصرى وتحركت بريطانيا لتملى على مصر شروطا قاسية على رأسها طرد الجيش المصرى والمصريين من السودان .

عكفت الادارة البريطانية الاستعمارية تسنى أجهزتها وكان على رأسها حاكم بريطانيا منحته الاتفاقية سلطات مطلقة فى حكم البلاد يعاونه شلة من البريطانيين فى كل المراكز الكبرى ويعمل تحت أمرهم ضباط وموظفون مصريون .

كانت الادارة الاستعمارية تعلم عام اليقين ان البلاد التي ستحكمها ذات نزعة دينية شديدة وفحرت ثورة فريدة فى التاريخ الحديث ووقف أهلها يمايعون المهدي قائد الثورة على ترك الدنيا للأخرة وأقاموا حكما ثيوقراطيا مدة ثلاثة عشر عاما ولذلك كانت حذرهم كل الحذر ألا تقع

(٢) عدم تحقيق - حرائبة وتاريخ السودان - بيروت ص ١٣٢٨ .

فيم يمس عواطف الناس ومشاعرهم الدينية ولكنها كانت مصرت بكل
قسوة أى تجمع ديني يهض مأوثا لهم .

لقد أتت الإدارة الاستعمارية لتقيم دولة علمانية بدلا من الدولة
السيوهرراطية التي كانت قائمة آنذاك ولجأت الى سن القوانين المدنية
واقامة المحاكم المدنية الى جانب المحاكم الشرعية التي يخصص في مصر
قصايا الأحوال الشخصية .

وفي المعلم تركت الحلاوى والروايا الدينية كما هي وفتحت
المدارس النظامية ليدرس فيها التلاميذ المواد العلمية كالحساب والجغرافيا
والتاريخ والمعلومات العامة مع قليل من سور القرآن والعلوم الدينية
لتصبح عنه التعليم العلماني على الديني هو أساس التعليم في السودان
فقد كان النور كرومر صاحب القبضة الحديدية على وادي النيل آنذاك
يحتسب ان ذلك النوع من التعليم الذي كان يقوم أساسا على دراسة
القرآن من شأنه ان (١) يثير الحماس الديني .

استعانت الإدارة البريطانية في السودان في مجال القوانين
بمصرييها وبخادمتها في الهند ونظام التعليم بما كان يجري في مصر
وتركت مهام التدريس والقضاء الشرعي لمصريين كما كانت لجنة
استشارية من علماء السودان لتقديم لها التصحيح في كل ما يتعلق بالشئون
الدينية والتعليم الديني في البلاد وهنا في مجال التدريس والقضاء
الشرعي يتجلى أثر العلماء المصريين من متحرجي الأزهر ودورهم المحدود
المقدر في وضع أسس النهضة العلمية في البلاد وكذلك دور رفقاءهم من
العلماء السودانيين في اللجنة الاستشارية التي كونها الحاكم البريطاني
كما نرى في الفصول القادمة ونبدأ بكلية غردون التذكارية وهي المؤسسة
التعليمية الرئيسية التي تخرج فيها قادة السودان فيما بعد .

كلية غردون التذكارية :

كان كشمس قائد حملة العزو وسردار (القائد العام) الجيش
المصري قد نوحه للشعب البريطاني لانشاء كلية علمية يحمل اسم

(١) محمد عمر شير - تطور التعليم في السودان ص ٦٥ .

الجنرال البريطاني اردون الذى كان يحكم السودان باسم الحديوى
تخليدا له كأحد بناء الامبراطورية البريطانية وكشهيد صحى بدمه من
أجل بريطانيا اذ قنله لواء السودان فى الخرطوم فى صبيحة ٢٦ يناير
١٨٨٥ وتوالت التبرعات من شتى الأصعاغ ووصح اللورد كرومر معتمد
بريطانيا فى مصر وحاكمها الفعلى حجر أساس الكلية فى الخرطوم باسم
الملكة فكتوريا فى يناير ١٩٠٠ وافتتح مبانيها اللورد كتشستر رسميا
عام ١٩٠٢ وأطلق عليها كنية اردون التذكارية ونمى أن يرتكر عليها
التعليم النظامى فى السودان الذى من شأنه أن يلى حاجات السودانيين
تحت اشراف بريطانيين لخلق طبقة منهم توسط فكريا ببريطانيا كما كان
يرى أن قيام هذه الكلية سيعطى بريطانيا المركز الأول فى افريقيا كقوة
حضارية .

كذلك أصبح اللورد سالسبورى رئيس وزراء بريطانيا آنذاك فى
الاجتماع الكبير الذى عقد لاحبار لجنة تنفيذية تشرف على تنفيذ مشروع
الكلية بقوله .

« ان هذا المشروع مرخصه علينا الترامواى الامبراطورية فهو محاولة
لارالة ما بين الشعوب من حواجر واقامة رابطة من المعاونة الفكرية ونشر
الثقافة الانسانية » .

وهكذا اكتملت لبريطانيا فى السودان كل مقومات الحكم وقيام
ادارة حديثه قوانينها مستمدة من قوانين الهند ذرة الناح البريطانى كما
كانوا يطلقون عليها كما وضعت أسس التعليم فى خدمة النظام وكان على
رأس الادارة نخبة متمرسه من الضباط البريطانيين فى أول الأمر
استبدلوا بأخرين مديين فيما بعد .

غير ان الارتباط التاريخى الأساسى والروحى الذى يربط السودان
ومصر كان له أثر أكبر وأقوى من تلك المخططات والنوايا فعامل اللغة
العربية والعرب والتاريخ المشترك حسن من الشمعين أخوة وذوى قرى
هذا فصلا عن ان الشمعين كانوا يقعان تحت وطأة الحكم الاستعمارى
البريطانى ولذلك فإن كل محاولات بريطانيا وسياستها التى كانت تقوم
على أساس التفرقة بين السودان ومصر قد ناعت بالفشل التام .

لعد استنأثرت بريطانيا بأكمل شئ فى حكمها السودان فشمعل
البريطانيون كل الوظائف الكبرى وتركزت لمصر وظائف المأمير الذين يعملون

تحت امره رؤساء بريطانيين وكذلك القضاء الشرعي وتدريس اللغة العربية
والدين في المدارس النظامية وكلية عردون بالقدس

وكان من حسن التوفيق ان الامام محمد عبده ذلك المصلح الديني
والوطني الكبير قد عاد الى مصر من منفاه عام ١٨٨٩ بعد اشتراكه في الثورة
العراقية وعين مفتيا للديار المصرية وقد اعتمدت عليه الادارة الاجنبية في
السودان لاحصار قضاء الشرع والمعلمين المصريين للسودان .

وتقصي الامة التاريخية ان أنقل ماكنه (١) اللورد كرومر في كتابه
مصر الحديثة عن الامام محمد عبده مقارنة به مع آخرين من علماء مصر
آنذاك .

« كان الشيخ محمد عبده عالما من نوع آخر وامي لأصيف نوعا متميزا
عن زملائه الذين وصفهم آنفا . كان الشيخ محمد عبده أحد القوى الفاعلة
في حركة عرابي وعنده أسب الى مصر عام ١٨٨٢ م كان في محنة ومشلوم
الصيب ولكن توفيقا ذا الطبع اسمح عفا عه أثر ضغط بريطانيا فعين
قاصيا وادى مهمته تلك باقتدار ونزاهة . كان الشيخ محله عبده صاحب
أفكار عريضة مشورة وكان يعترف بالتجاورات التي نشأت في ظل
الحكومات الشرقية وكان يدرك ضرورة المساعدة الأوروبية لعملية الإصلاح
بيد أنه لم يكن لينتمى لذلك النوع من المصريين المنمرنجين الذين كان يرى
فيهم صورة سيئة للأصل . كان ضد الحديوي وصد الناشوات وليس معنى
هذا أنه كان يعرض على رتبة الباشوية ولكنه من خلال تجربته لم يثق
الا بعدد ضئيل من الناشوات الكرام أصلا وفي الواقع كان الشيخ محمد عبده
حياليا وغير عملي ولكنه كان وطنيا مصرية قحدا وربما كان من مصالحة
القضية الوطنية المصرية اذا توفر عدد من أمثاله ... »

ثم يستطرد اللورد

« ان الأهمية السياسية لحياء الشيخ محله عبده تكمن فيه، يمكن
وصفه بأنه مؤسس مدرسة فكرية في مصر شعبية جدا بتلك التي أنشأها
في الهند السيد أحمد خان مؤسس (٢) جامعة عليكرة - ان الهدف المعلن
لأولئك الذين ينتمون الى هذه المدرسة هو أن يبرروا طرق الاسلام للانسان
أي للانسان المسلم وهم جبرونديو الحركة الوطنية المصرية وهم يوصمون

(١) لورد كرومر - مصر الحديثة جزء ٢ من ١٨٠ / ١٨١ .

(٢) ومن روادها رعباء الهند من سليلي الذين أنشأوا دولة باكستان - اقبال

محمد عبي حاج وغيرهم .

كثيرا بثبوتهم الهرطقة لدرجة الاعتقاد بانهم يمجرون من ان يسوعيه معهم
ولمذى بعيد المسلم المحافظ الأمن وفي الناحية الأخرى فهم ليسوا صغرى بعض
بالقدر الذى يشد اليهم بعاطف المقلدين المصريين للأسلوب الأوربى فهم
فيما يحتضن باسلامهم دون المسلم المنرم بالعقيدة كما وبالنسبة فتقر بحجم
دون المصريين المعالى فى التعريب ولذلك نصيح مؤتمتهم بالعنة الصغرى
غير انهم يستحقون كل التشجيع والتأييد الممكن فمنهم الحلقاء الصغرى
للمصيح الأوربى *

ان الوطنيين المصريين سيجدون فى نجاح مؤيدى محمد عبده الأمن
المرجو اذ يمكنهم أن يتفقدوا شيئا فشيئا برنامجهم فى خلق مصر المستقلة
دائما حيا *

وفي هامش نفس الصفحة يقول اللورد كرومر « كنت أمنيح الشيخ
محمد عبده لعدة سنوات كل تأييد فى مقهورى بيد أن ذلك كان عملا صغرى
اذ انه فضلا عن الحصومة الشديدة التى كان يراجهها من المسلمين كان
أيضا لسوء الحظ فى عدا مع الخديوى وقد استطاع أن يحتفظ بمصمه
كمفتى باستناده على التأييد البريطانى القوى *

وفي تقريرى السنوية تحدث مرارا عنه مشيدا به وليس هناك من
أسف يصدق على وفاته المبكرة أكثر منى *

الامام محمد عبده وعلاقة قديمة بالسودان :

لم يكن الامام محمد عبده بعيدا عن الأحوال فى السودان منذ ان كان
مع أستاذه الثائر الإسلامى جمال الدين الأفغانى يذهبان الشعور الدينى
والوطنى ضد الاستعمار البريطانى وكانا يكتبان فى مجلة العروة الوثقى
التي كانا يصدرانها فى باريس دفاعا عن الثائر محمد أحمد المهدي والثورة
السودانية ويروى أنهما كانا ينويان السفر سرا الى السودان لمساعدة
المهدي وتنظيم سير الثورة فيه *

وفي تحقيق صحفي أجراه صندوق صحيفه نول مول (١) الانجليز به

(١) نشر الحديث فى عدد المصاد يوم ١٧/٨/١٨٨٤ بقلا عن التريية فى السودان
جاء ٢ ص ٩٧ للدكتور عبد العزيز عبد المجيد *

مع الامام محمد عبده في أحد رياراته للندن وكاتب الشرع المهدية في السودان في عنفوانها سأل مدوب الصحيفة الامام محمد عبده

« أليس السودانيون قوما متعصبين ؟ » وكان رد الامام « ليس السودانيون أكثر تعصبا مني فحينما كنت أعلم الفقه في القاهرة كان أكثرهم من الطلاب المصريين يختصون بحضور دروسى بينما كان هناك أربعة وثلاثون طالبا من السودان يحضرون جميعا ليسمعوا لى . انهم ليسوا متعصبين » .

وكان مع الامام محمد عبده عدد من السودانيين يدرسون معه في مصر على حمال الدين الأفغانى في الأزهر منهم الشيخ البشير ود نعمة العالم السودانى المعروف في رفاعة على النيل الأزرق والذي كان نابغة في الفلسفة .

ويروى ان الامام محمد عبده كان قد اقترح (١) على أسباده جمال الدين الأفغانى في باريس أن يثبنا مدرسة يختاران لها التلاميذ من نجباء السائمه في الأقطار الاسلاميه ومن يتوسمان فيهم الخير ثم يربانهم على مهج قويه ويعلمهم لزعامه والاصلاح وبعد عشر سنين تخرج المدرسه عددا من التلاميذ المستعدين لترك أوطانهم والسير في الأرض لنشر الاصلاح المطلوب ولكن الاقتراح لم يرق لجمال الدين فرفضه - ولا عاد الامام محمد عبده الى مصر من منفاه وأصبح مفتيا لمصر وجد الجرم ملائما لتنفيذ رأيه ذلك فعلا استطاعت مدرسه محمد عبده أن تعرض وجودها وسهم مساهمة ايجابية بطريقة وأخرى في الحركة الوطنية فيما بعد أى بعد وفاته عام ١٩٠٥ ومن ذلك المدرسه على سبيل المثال محمد فريد وسعد زغلول وعدلى يكن وعلى شعراوى ولطفى السيد وطه حسين ومصطفى عبد الرازق ومصطفى المراغى ومثصور فهمى ومصطفى صادق الرافعى ومحمد شاكر ومصطفى المنفلوطى وعبد الوهاب النجار ومحمد الحضرى وكلهم لعبوا دورا مرموقا في الحياة السياسية أو الاجتماعية في مصر .

الامام محمد عبده واختيار علماء للسودان :

أما عن السودان فقد خصه الامام محمد عبده برعايته واهتمامه بعد

(١) محمد سعيد عبد المجيد (سعيد الأفغانى) - نابغة الشرق السيد جمال الدين لافى ص ٥٥ فلا عن كتاب رشيد رضا لابراهيم القدوى ص ٦٩ سلسلة اعلام العرب .

أن أصبح معنيا لمصر فاختار له المحلصين والبايعين من تلاميذه أو من
بأثروا به ليعملوا في سلك القضاة الشرعي والتدريس .

يقول السيد محمد رشيد رضا أحد تلاميذ الإمام محمد عبده
المقربين « كانت حكومة السودان تعتمد على الأستاذ الإمام في اختيار قضاة
الشرع له من علماء مصر ولا سيما قاضي القضاة فيختار لها خير قضاة
الشرع علما وأخلاقا وإدارة ومعرفة بحال الرمن كأصحاب الفصيلة
الأساتذة الشيخ محمد شاكر والشيخ محمد حارون والشيخ محمد
مصطفى المراغي .

ومن حسن المصادفة أن هؤلاء الثلاثة الذين تولوا منصب قاضي
القضاة في السودان كانوا على أتم المودة والصداقة ولعصهم وشيعة رحم
مع بعض) والشيخ اسماعيل حنين وكذلك كان سائر القضاة الشرعيين
وبعض أساتذة مدرسة غردون من مريديه كالشيخ محمد الحصري والشيخ
عبد الوهاب النجار وغيرهم من خواص الأساتذة الشرعيين المصريين المتسمين
لطريقته في الإصلاح .

أما عن وظائف تدريس اللغة العربية والدين فقد تولاهما أساتذة
الأهرتون ما زالت ذكراهم العطرة حادثة لآل احتارهم الإمام محمد عبده
من حيرة تلاميذه منهم محمد الحضري مدرس التاريخ الاسلامي وعبد الوهاب
النجار الأديب واللغوي المعروف وقد اختيرا للتدريس في الجامعة المصرية
بعد عودتهما لمصر كما نذكر الشيخ محمد الجداوي العالم الأهرتون الذي
ألف في الفقه والميراث وفيهم العالم العلامة وحجة اللغة العربية الشيخ
عبد الرؤوف سلام ومنهم الشيخ ماضي أبو العزائم المتصوف والمتخصص
في التفسير والحديث وغيرهم من رجال الأهرتون الذين يلهموا قربة
الحسين معلما وتخرج عليهم الرعين الأول من السودانيين والذين كانوا
قد حفظوا القرآن ودرسوا بعض من أصول اللغة والأدب العربي في
خلاوي ومساجد مناطقهم .

لم ترضى الارسلات المسيحية عن نشاط أولئك العلماء الأهرتون
والدور الذي قاموا به في تدريس الطلاب السودانيين في كلية غردون
فقد نشر بحث في مجلة الارسلات العالمية تقول فيه إحدى (١)
الارسلات : -

(١) محمد عمر بشير - تطور التعليم في السودان من ٩٢ نقل عن بحث نشر مجلة
الارسلات ١٩٠٧ عن الجرحل غردون والتعليم في السودان .

« ان كلية عردون النذكارية بأسرها يجب القضاء عليها بوصفها كلية اسلامية لحما ودعا من ناحية دينية ٠٠٠٠ ومن المؤكد ان اسم كلية عردون اسم على غير مسعى ولا يمكن الا أن يكون سبيلا لخداع الشعب المسيحي في بريطانيا العظمى وأن لجرال عردون لم يجلد له ذكر في هذه الكلية بل جلد النبي محمد »

ولعل تسمية الكلية مدرسة محمد الروحية في أعالي النيل تكون انسب لأنها بكل تأكيد تقوم بتدريس الشريعة والقرآن أكثر من أي علم آخر ٠٠٠

واستطرد كاتب البحث يهاجم تعيين الأساندة المصريين للمدائس النظامية وكلية عردون لأنهم من متخرجي الأزهر الذي يقول عنه أنه « معروف في جميع أرجاء العالم ليس بأنه أكبر معهد ديني وحسب بل من أعظم وأشد المعاهد الدينية عصا للإسلام » .

اختار الامام محمد عبده الشيخ محمد شاكر عام ١٩٠٠ ليكون أول فاضل لقضاة في السودان وهو من تلاميذه ويعتبر من التخبطة المصارم التي خرجت في الأزهر وبعد عودته لمصر من السودان عين وكيلا للأزهر وعصوا في هيئة كبار علماء مصر وقد قطع شوطا في طريق اصلاح الأزهر مرسسا على الشيخ محمد عبده ثم أسكتب الحماية (١) البريطانية التي حرصت على مصر اثنان الحرب العالمية الأولى صوت الاصلاح الذي كان ينادى به الشيخ شاكر حتى حذر به مرة أخرى فيما بعد الشيخ مصطفى المراغي الذي أصبح شيخا على الأزهر عام ١٩٢٨ - لقد ناصر الشيخ محمد شاكر الحركة الوطنية أيام سعد زغلول وله مؤلفات وبحوث عدة .

والشيخ شاكر (٢) يعود الفضل في وضع أسس القضاء الشرعي في السودان قهر الذي وضع لائحة تدريب المحاكم الشرعية التي تناولت بالتفصيل شروط اختيار القضاة والموظفين لهذه المحاكم واحتصاصاتها وتقسيمها الى غير ذلك من المسائل التنظيمية كما وضع اللائحة النظامية للمحاكم وهي تناول بعض المسائل الاحرائية التي تتعلق بالتفسير في الدعاوى ولائحة الرسوم وقد أدمجت لائحة الترتيب والنظام عندما تولى الشيخ مصطفى المراغي منصب قاضي القضاة . والشيخ محمد شاكر هو

(١) عبد الحليم الحدي سبسته علام الاسلام الامام محمد عبده من ١٦٩ .

(٢) د. خليفة مايكر لحسن - بحث عن الشريعة الاسلامية والنظام القانوني في السودان شر في كتبه الاسلام في السودان .

الذى اقترح انشاء مدرسة انقضاء الشرعى بكتبة مردود والى نخرج منها
انقضاء السودانى واصبح عميدها القاسم السودانى الشيخ هاشم
ابو القاسم من مشرحى الأزهر واسنم الشيخ ساكر يختم العلم فى
السودان حتى بعد عودته الى مصر فقد استعان به وبآرائه الشيخ
ابو القاسم أحمد هاشم شيخ العلماء فى انشاء معهد علمى فى السودان
على عراز الأزهر الشريف وظل عمه السودان يحضون له هذه اليد حتى
وفاتهم وقد اطلعوا على لائحته بنظم معهد أم درمان العلمى لائحة الشرح
شاكر .

ثم احذر محمد عبده الشيخ مصطفى المراعى ليكون قاصصيا فى
مديرية دنقلا فى السودان عام ١٩٠٤ ثم اصبح قاصصيا للقضاء منذ عام
١٩٠٨ الى ١٩١٩ . والشيخ المراعى درس على الامام محمد عبده قور
الحكمة وقروع الفلسفة وبعد من أحب وأصدق تلاميذه « كما يعتبر
الشيخ المراعى أحد قادة الاصلاح الدينى فى الأزهر » .

كان للشيخ المراعى دور كبير فى تطور المعهد العلمى فى أم درمان
وقد كان وثيق الصلة بالشيخ أبى القاسم مؤسس المعهد الذى استعان به
مرارا فى كثير مما يهم المعهد فى طوره الأول وعندما ترك الشيخ المراعى
السودان عاتدا لمصر كان يتمثل بقول القائل : -

خليلى بالسبوبة عوجا فلا أرى بها منزلا الا جديب القيد
تذوق بود فجد بعد ما لعبت بنا تهامة فى حوامها المتقيد

ولم تقطع صلته بالسودان وعائلته الى أن توفده الله . كذلك
كان لكل اصحاب المعضنة من العلماء المصريين الذين شغلوا منصب
قاضي القضاء دور ملحوظ فى تطور المعهد وتقدمه منهم نشأته الى أن
استمرت بمناه استمراره .

وفى عام ١٩٠٥ رار الامام ١١٠ محمد عبده السودان قبل وفاته
بقلى لرى نفسه ويقت على عهود تلاميذه من العلماء وما غرسوه
فى نفوس الطلاب السودانيين . فدخل فصول الدراسة فى كلية مردود
وشهد طرفا من القضايا الشرعية فى المحاكم وأصدر بعض الفتاوى

(١) السيد محمد رشيد رضا - تاريخ الشيخ محمد عبده .

واتصل ببعض علماء السودان وباعثهم وباعثوه وعاد الى مصر واضيا
مصرىيا حيث تولى في نفس العام .

وهكذا وصح الشيخ محمد عبيد بعلندا سليم بان يحار للسودان
قضاة مصريين من علماء مصر النابهين من متخرجي الأزهر واسمر
هذا المفيد معمولاً به مرابة نصف قرن الى عام ١٩٤٧ م حيث تولى
اولى سوداني من الذين درسوا على العلماء المصريين ذلك المنصب وهو
الشيخ احمد الطاهر .

ونذكر من أولئك القضاة الشيخ محمد الأمين قراة من
أسرة قراة المعروفة في مصر والذي أصبح عضوا في المحكمة الشرعية
العليا في مصر بعد عودته من السودان . ومنهم الشيخ محمد بمان
الجارم وقد وضعه أحد العلماء السودانيين في قصيدة احتفاء بشقيقه
على الحار عند زيارته عام ١٩٣٧ هـ قوله

ومنه حظينا بأبي الفقه محمد الجارم نعمانه
اياس الدكاء شريح القضاء على البيان وسجياته

ومن القضاة المصريين الذين شغلوا منصب قاضي القضاة نذكر
الشيخ حسن مأمون الذي أصبح شيخا للأزهر فيما بعد وقد أسهم
في تطوير المعهد العلمي في أم درمان وفي إنشاء المعاهد الإقليمية في القطر .

لقد قدم أولئك القضاة الى السودان قدوم سمد وكانوا كلهم
يؤدون رسالتهم باخلاص وصدق وأسهموا مساهمة تامة في وضع نظام
القضاء الشرعي وترقيته في السودان باعتبارهم سلطة التشريع العليا
في المحاكم الشرعية كما ساهموا في كثير من أوجه الحياة العلمية في
البلاد .

تولى منصب قاضي القضاة في السودان من المصريين أصحاب
القضية :

- الشيخ محمد شاكر من ١٩٠٠ الى ١٩٠٤
- » محمد هارون من ١٩٠٤ الى ١٩٠٨
- » مصطفى المراغي من ١٩٠٨ الى ١٩١٩
- » محمد أمين قراة من ١٩١٩ الى ١٩٣٢
- » محمد بمان الجارم من ١٩٣٢ الى ١٩٤٠
- » حسن مأمون من ١٩٤٠ الى ١٩٤٧ م .

« لقد حظيت كلمة (١) غردون بنحبة ممتازة من الأساتذة المصريين الذين جمعوا بين الوطنية والعلم عشقوا في تعليم السودانيين وادكاه الروح الوثابة المتطلعة الى العلم والحرية كانوا سندا لحركة الوعي الوطني التي كان الطلبة السودانيون في كلية غردون من طلائعها بما نالوا من معرفة فتحت أمامهم باب الأمل في التقدم والحق بركب الأمم المتحضرة ولعل هؤلاء الأساتذة لم يحاضروا أولئك الطلبة في علم السياسة ولم ينفوا عنهم دروسا في الوطنية أو القومية ولم يحدثوهم عن مسألة تقرير المصير مباشرة في تلك الفترة المبكرة من الرمي ولكنهم دون شك اذكروا روحا شابة وبعثوا عزيمة واداء نادر الثورة ضد الاستعمار خطبا جعل الحذوة مشتعلة حمل المشعل فيها السودانيون وكان هؤلاء الأساتذة يصعدون عن شيء يجدونه في مصر منذ العقيدة الأولى من هذا القرن وكان عدد هؤلاء الاساتذة كبيرا في الكلية فقد بلغ خمسين مدرسا أو يزيده وكان أول ناظر لكلية غردون الأستاذ أحمد هدايت » .

لقد أصبحت كلية غردون صرحا شامخا ومنازة كبرى للنعم في السودان وأخذ طلابها يمهلون من الثقافة الغربية على أساتذة بريطانيين يفوضون في نفائس الثقافة العربية وأدائها بفصل الأساتذة المصريين من متخرجي الأزهر الذين فتحوا لهم تلك الآفاق وأخرجوهم من العزلة الفكرية التي كانوا يعانون منها في دراساتهم السابقة وعلموهم أن دعوة الاسلام لا تتعارض مع التعليم العلماني ومفاهيم الحياة العصرية وهذا هو جوهر تعاليم الامام محمد عبده كما كانوا لهم القدوة الحسنة بما تحلوا به من صفات العلماء وما كانوا عليه من نفقة في العلم وسمو في الأخلاق فأحبوهم وأكرمواهم وظلت ألسنتهم تلهج بشكرهم وفضلهم الى أن وحدوا عن الدنيا وخرج جيل من بعدهم مزودا بالعلم ومتأثرا ومتفاعلا بما كان يجري في مصر والعالم من نهضة فكرية وكان منهم قادة الحركة الوطنية الذين حققوا للملاد استقلالها وسيادتها الوطنية ولم تكن كلية غردون اذا كما أراد لها وأضعوها ومؤسسوها من دعاة الاستعمار البريطاني وبناء الامبراطورية البريطانية مثل أخواتها في المؤسسات العلمية الأفريقية التي أنشئت لنفس الغرض وتخرج فيها فئة من المعلمين الأفريقيين الذين ارتبطوا ببريطانيا وجادابا وفكريا وبخلوها من رجالاتها مثلهم الأعلى » .

(١) نقلا عن الرابطة الثقافية بين مصر والسودان ص ١٠٧ للدكتور ابراهيم الحارثي .

❶ الأساتذة المصريون والنشاط الاجتماعي

لم يقصر أساتذة كلية غردون وكانوا أسس من المصريين الأحرار رسائلهم في محيط التدريس والعصاء الشرعي بل قاموا بنشاط محمود في الحياة العامة بين المواطنين وقد برز ذلك النشاط بوجه خاص في الصحافة السودانية على صغرها ورغم ما كانت تعرضه الإدارة الأجنبية من قيود ورقابة على مواد صحيفه .

لقد كانت هناك مجلة الرائد التي أسسها تاجر اغريهي عام ١٩١١م استجابة لراي بعض متفكرى كلية غردون وكان يحرره اصحفي لبناني هو عمه الرحم قسلاط وكان يسهم في تحريرها (١) أساتذة كلية غردون وخاصة الشيخ عبد الرؤوف سلام المصري ومؤاد اسطيط السوري وكانا يدرسان الأدب العربي في كلية غردون .

كان هؤلاء الأساتذة يوجهون الصحافة نحو العالم الاسلامي تأكيداً لتبعية السودان للخلافة العثمانية كما كانوا يعملون لربط السودان بالعالم العربي بعد أن ظهرت أهداف السياسة البريطانية لتمرل السودان عن العالم الاسلامي العربي ولذلك كانوا يشجعون الكتاب على السير في هذا الاتجاه ويمسحون المجال لمخاراة فحول الشعراء العرب وتشطير وتخمين قصائدهم وينتهزون أى فرصة مواتية لاستغلالها في هذا الاتجاه مثال ذلك عندما هبطت الطائرة التركية اذرميد ارض مصر عام ١٩١٤ وكان يقودها للمرة الاولى في تاريخ المسلمين شهاب مسلمان من الترك ... لقد كان هذا حدثاً هاماً في مصر

والسودان والبلاد الإسلامية آنذاك فأمايت صحيفة الرائد بإيجاء
من هؤلاء الاساتذة والشعراء السودانيين لتشطير بيبي شسوقي في
استعماله للطائره وبطلان ذلك المتاسبه بقول شوقي

يسا اذرميد الاطيرى مبلغه

رسائل الشوق من عمرو الى عمر

الى الذي خلقت في الارض رايته

واليوم تخفق فوق الشمس والقمر

وقد أسرع السودانيون للاستجابة لثناء مدحوعين بعتيدهم
الدينيه ونظرتهم للسلطان العنمى كخليفة لكافة المسلمين مما توجب
مطاعته نهاروا في تشطير البيتين وغاز بالمرتبة الأولى الشيخ محمد عمر
الثناء متحرج الازهر بقوله :

« يا اذرميد الاطيرى مبلغه »

خليفه الله عنا اصديق الخير

بلغيه من الاسلام قاطبة

رسائل الشوق من عمرو الى عمر

الى الذي خلقت في الارض رايته

وعززها بسيوف الله بالظهور

سدت على الارض خلا لا تعادله

واليوم تخفق فوق الشمس والقمر

وفاز بالمرتبة الثانية الاسناد أحمد محمد صالح من المرعبل الاول من
منحرجى كلية غردون اذ يقول في تشطير البيتين :

« يا اذرميد الاطيرى مبلغه »

خليفه الله عنا اصديق الخير

حييت سابقه في اجسو حاملة

((رسائل الشوق من عمرو الى عمر))

«الى الذي خلقت في الارض رايته

وها بها الخلق من بدو ومن حفر

اعلامه خلقت في المشرقين عسا

((واليوم تخفق فوق الشمس والقمر))

وفار بالمرتبة الثالثة الشيخ حسن عثمان بدرى وهو مسؤول في
نشطته :-

« يا أدوميد الأطيرى مبلغه »
روح ابن فرناس ما أوثيت من ظفر
ورفرى فوق نجم السعد حسامة
« رسائل الشوق من عمرو الى عمر »
« الى الذى خلقت فى الأرض رايته »
يحفظها النصر من يلو ومن حضر
تاقب الى الفة الزرقاء فارتفعت
واليوم تخفق فيرق الشمس والقمر

وظلت « الرائد » تلتزم هذه السياسة والانجلاء وأخيرا لم يطلق
صدر الادارة البريطانية فاعتدت رئيس تحريرها قيادات من السودان
وحلقه في تحريرها أحمد حويجى كلبه غردون وهو الشسيح حسين
شريف الذى يعتبر بحق الصحفي السودانى الاول ثم توفيت عن الصدور
عام ١٩١٩ م لقد كانت الرائد ترسل قسا من انور ادى الى وعى
سياسى وبداية للنهضة التى قادها الوطنيون فيما بعد وبوا عنها
سودانهم الجديد .

وكما أعاد السودان من نقاء الاساتذة المصريين بين ظهرانيهم مرة
من الوقت نهلوا من فيض علمهم وتأثروا بأرائهم السياسية كذلك
كان لوجود الضباط المصريين أثر واضح أيضا في غرس بذور النهضة
الوطنية في السودان منذ أن انتقلوا الى السودان عام ١٨٩٨ م الى أن
أبعدوا عنه عام ١٩٤٢ م خاصة الذين كانوا يتعاطفون مع الحركة الوطنية
المصرية وكان منهم عدد كبير من أنصار الثورة العربية وأعضاء الحزب
الوطنى وروى الوثائق السرية أن قيادة الحزب المصرى انتقلت للضباط
المصريين فى السودان بعد رحيل محمد فريد الى أوربا وكان من قادة
الحزب في السودان الكماشى فطين والد الدكتور أحمد فطين الطيب
المصرى المعروف وكان منهم الشاعر حافظ ابراهيم الذى قال عنه
وصيفه أحمد شوقي فى مرثيه له :-

(١) د - D

يا مانح السودان شرح تسبباته
 ووليه في السلم والهجاء
 لما نزلت على خمائله نوى
 نبيع البيسان وراء نبيع النساء
 قلبدته السيف الحسام وزدته
 قلما كصدر الصفة السمراء

وكان منهم محمد فتوح صديق البطل السوداني عبيد اللطيف
 رئيس جمعية اللواء الأبيض واحد قادة الحركة الوطنية في تاريخ
 السودان الحديث

وكان منهم حمدي سيف النصر الذي أصبح وزيرا للدفاع في
 حكومات انوفد والذي لم تنقطع صلته بالسودان وكان يفتخر ابا (١)
 للطلاب السودانيين في مصر . وكان منهم عبد الحافي حسن مأمور
 أم درمان ، وقد تولى فيها فكاه السودانيون قاطنة لفضله ومواقفه
 الوطنية والاسابية دفاعا عنهم ومؤازرة لهم وشيبت جنازته في موكب
 ضخيم انتهى بمظاهرة صاخبة كانت تهتف بحياة مصر وسقوط
 الاستعمار اسريطى وكانت تلك المظاهرة بمثابة الشرارة للثورة الوطنية
 عام ١٩٢٤ م .

وكان منهم اللواء محمد فاضل مخرج الأهرام وكان أدبيا وشاعرا
 - مرك اللواء فاضل - أثرا محمودا في اعاش الحركة الأدبية والسياسية
 في مدينته عطبرة في شمال السودان مفر عنه آنذاك في سلاح المهندسين
 وعطبرة هي مدينة العمال والموظفين وهؤلاء هم الذين قامت على
 أكفهم أول حركة عمالية مرهونة الجأب كما كانت أحد معاقل مؤتمر
 الحريجين اعام قائد الحركة الوطنية سيد اثلاثينات .

وعندما قام طلاب المدرسة الحربية السودانيون بمظاهرة حربية
 في الخرطوم في أغسطس عام ١٩٢٤ وقدموا للمحاكمة وقف اللواء
 فاضل مدافعا عنهم دعم ما كان يشيعة البريطانيون في جو رهيب .

لقد قامت في البلاد بطبيعة الحال حركة وطنية عوامها متحررو
 المدارس بما فيهم ضباط الجيش وكانت تتحارب مع الثورة المصرية

(١) د . براهم اعزوني - الرابطة الثقافية بين مصر والسودان ص ١١١ .

فقامت الجمعيات السياسية وحفلات البلاد بمظاهرات في كل مدن السودان وبالذات في الخرطوم بهتف بسقوط الاستعمار ونادى بوحدة مصر والسودان واعترض قادة الحركة وعلى رأسهم المناضل الصباط السوداني على عبد اللطيف . وفي ٩ أغسطس تحرك طلاب المدرسة الحرس في مظاهرة مسلحة نحو منزل على عبد اللطيف الذي كان معتقلا آنذاك وأدوا النحية العسكرية على شرفة ثم جاءوا شمسوارع الخرطوم وامتدوا إلى السجن حيث كان على عبد اللطيف هناك وكانوا يهتفون بحياته وحياة مصر .

لقد كانت الادارة البريطانية نظرت بعين القلق والفرع من نشاط الموظفين والأسيادة والضباط المصريين وعاطفهم مع الوطنيين السودانيين وكانت تصح خططها لابعادهم جميعا من السودان وأنتها الفرصة مواتية حينما أعيل السيرى سيناك حاكم السودان البريطانى وفائد الجيش المصرى في انقاهره في ١٩ نوفمبر عام ١٩٢٤ . فأسست بريطانيا شروطا عاسيه على مصر وأهمها سحب الجيش المصرى من السودان في خلال ٢٤ ساعة ثم أسرع اللورد اللينى المندوب السامى البريطانى في مصر غابرو حاكم السودان البريطانى لتنفيذ أمر الحلاء ولكن القائم مقام احمد رفعت قائد سلاح المدفعية المصرية رفض الاستجابة للامر وأمر أن يأتية الأمر من ملك مصر .

وفي مساء ٢٧ نوفمبر عام ١٩٢٤ تحرك ستة صباط سودانيين على رأس قوة قوامها ١٢٠ جنديا قاصدين الخرطوم بحرى للاستيلاء على سلاح المدفعية المصرى ولكنهم قبل أن يصلوا طوق الجيش البريطانى سلاح المدفعية المصرى وفتح جسر النيل الأزرق ليحول دون اتصال القوة السودانية بالمدفعية المصرية وتصدت قوة من الجيش البريطانى لهم وكان يقودها الجنرال هدليستون الذى أصبح حاكم السودان مؤخرا في الأربعينات وطلب من الفرقة السودانية أن تعود أدراجها إلى ثكناتها ولكنها رفضت الأمر والتحمت مع القوة البريطانية وأصلتها نارا حامية محتمة بالمستشفى العسكري ولم يستطع الجيش البريطانى أن يقضى على الفرقة السودانية الا بعد أن استعمل الأنوار الكاشعة لتندب للمدافع الثقيلة من ثكنات الجيش البريطانى . ولكن المفائل السودانى كان يهتدى على مكان العدو من حيث أوهضت الأنوار الكاشعة ويفتد رصاصه عنه ويصيب من حيدته مقتلا ولكن العدو ذك المستشفى العسكري دكا ويموت تحت الأنقاض قائد الفرقة السودانية عبد الفضل

نوفيق : أين بشير (١) ؟ قد ضحينما
 وفتحتما السودان خير كفاح
 هاجرتما والأمن غير ميسر
 يربو غنا والعلم غير مناج
 لا يتأس أن المساكم أن تسفس
 فتأملا لتسبجها الأفسراح
 أملتما ما كان بعدكما وما
 فعلت بأهليتنا يد السيفاح
 أودى بأربعة (٢) صاور في الوشى
 يا ويتهيم القوا صبور رماح
 وهضوا يسر التخم (٣) بعد صعبه
 رب اللواء الأبيض الوضاح
 لتسجن لتشريد لا بجريرة
 ما اللود عن أوطانهم بجناح
 أن خلد التاريخ ذكر بطولة
 للعاملين فما لهم من مآحى
 أما عن المعلمين المصريين والموظفين المدنيين الآخرين فقد أصدر
 السكرتير الإداري البريطاني وكان بمثابة وزير الداخلية أمرا بظردهم
 جميعا من الخدمة وإعادهم إلى مصر
 ولم يسمح للمعلمين المصريين الدخول لسودان إلا بموافقة سلطات
 الأمن وبعد أن يكتبوا تمهيدا للصلح في المدارس غير الحكومية وكان حل
 أولئك المسجون لهم من المسيحيين المصريين .
 لقد كان المعلمون المصريون لا سيما الأزهريون منهم كما وصفهم
 أحمد (٤) المؤ حين السودانيين أعمده التعليم في السودان .

١- بشير هو دفسر عبد الرحيم أحد زعماء السودانيين في مصر ونوفيق
 البكري والذودري أحمد استعمل لتلقى التعليم في مصر
 (٢) ولأمره من الصناديق التي حكم عليهم بالاعدام بعد سحقهم العسكرية في
 بر مصر ١٩٢٤ وبهم الضابط الذي قاد النجدة وقتل فيها .
 (٣) من التخم شقيق الشمر ورب اللواء هو المفضل على عبد السطيف .
 (٤) قرار صالح حرار - تاريخ السودان الحديث ص ٢٣٣ .

● التعليم الدينى

لجنة العلماء السودانيين :

فى عام ١٩٠١ أى بعد سنتين من اتفاقية الحسكم الثانى بين بريطانيا ومصر عين الحاكم العام البريطانى لجنة من بعض علماء السودان تكون مهمتهم استشارية له كما ورد فى الخطاب أدناه الذى أرسسلس لأعضاء اللجنة .

حضرة :

انه بطرا لما أرسزتموه من ثقبا بكم ووثرقنا بعالميتكم وفضلكم قد ارجعنا الى انتخابكم لتكونوا عضوا للجنة الرئيسية لجامعة العلماء فى جامع أم درمان التى يكون من اختصاصها مباشرة تدريس العلم الشريف فى الجامع المذكور وللنظر فى تقرير من يصلح للتدريس بهذا الجامع وفى شئون الطلبة فيه وتكون أيضا موضع استشارتنا ورؤساء الحكومة السودانية فقط فى الشؤون الدينية وكل ما يختص بالعلم والعلماء دون أن يكون مكلفة بأن تبتكر النظر فى أى موضوع من تلقاء نفسها بل مى عرض عليها من قبلنا أو من أى رؤساء الحكومة أمر من هذا القبيل كان عليها أن تحرر قرارها بما تراه وتقدمه لجهة الاقتضاء التى لها الخيار بموجب ما تقرره اللجنة وعلى اللجنة الا تهمل احاطة الحكومة السودانية علما بكل ما يحدث من الحوادث التى يهم الحكومة الاطلاع عليها دسبة كانت أم علمية على السواء وبالأجمال بكل ما يتعلق بالعلم والعلماء وطلاب العلم .

ولنا الأمل الوطيد في أن نقوموا بهذه المهمة التي عهدت إليكم
أحسن فيام يكون من نتائجها برفية شأن العلم وطالبه وصيانة الشعائر
الدينية فإن ذلك هو العرص الذي نرعى إليه الحكومة الساعية فيما فيه
سعادة البلاد وأهلها .

تحريرا في الخرطوم في ١٣ يونيو ١٩٠١ م الموافق ٢٦ صفر ١٣١٩ هـ

ونجيت

سردار وحاكم السودان العام

ونكوين هذه اللجنة من علماء الاسلام في البلاد والاستعانة بها في
مهمتها التي انيطت بها بعد الى الأدهان ما فعله محمد علي باشا حتما
أرسل ثلاثة من علماء الأزهر كل يمثل مذهبا من المذاهب الثلاثة المالكي
والشافعي والحنفي في مقدمة جيشه الذي غزا به السودان كما ذكرنا
من قبل .

كانت لجنة العلماء تلك التي عينها الحاكم العام لتكون من الشيخ
محمد البدوي رئيسا لها وقد ورد ذكره سابقا .

ومن أعضائها :

الشيخ النذير خالد :

وكان قاصدا لنقصاء في آخر حكم المهديّة ، ١٨٨٥ - ١٨٩٨ م)
وقد تلقى علومه على الشيخ الأمين العريير كبير علماء السودان آنذاك
وعلى العالم الشيخ حسين المجدي الدمياطي متخرج الأزهر .

كان الشيخ أمين قراة قاضي القضاة المصري في السودان يروى
الشيخ النذير مرارا ويشهد بعضا من دروسه ويصر على الجلوس مسح
الطلاب ويروي أنه كان يقول « لم أر رجلا عالما مثل الشيخ النذير » .
اتصل بالامام محمد عبد الله عند زيارته للسودان وناقشه في كثير من
المسائل الفقهية .

الشيخ محمد عبد الماجد :

درس على عدد من العلماء فقد حفظ القرآن عسى أبيه الشيخ
عبد الماجد في سنار ومنهم العالم أحمد بن إبراهيم بن عيسى الأصمري
وعن العلامة الشيخ محمد ود الجبيل العمري اللذين ورد ذكرهما ومنهم

الشيخ عبد الله انخراصاني من علامه حاصل الدين الاجمالي وكان الشيخ
محمدا بنوي السقر للأزهر ولكن ظروفها عائلية حالت دون ذلك .

سني الشيخ محمد عبد الماجد حامدا في أم درمان وكان يدرس فيه
العلم ويخرج عليه عدد كبير من علماء السودان ولم يقطع عن التدريس
اندا الى أن توفي عام ١٩٢٩ . كان يدرس شرح العلامة الدردير على
مختصر خليل المالكى وكان يحمله للطلاب مرة كل سنة كما كان يدرس
ألفية بن مالك في النحو من شرح بن عقيل ويعلمها أحيانا بشرح
المختصر والسوقندية والجواهر المكنون في علم البيان وأحيانا يشرح
جميع الجوامع في علم الأصول والتهذيب في علم المنطق والكافي في
علمي العروض والقوافي ويشرح نظم المقولات للعلامة السباعي وكان
يدرس الرسالة بشرح أبي الحسن وتفسير الحلائل بحاشية الصاوي
وكان أيضا يدرس كتباً في فقه الشافعية والحقة وغيرها واستمر
حامدا هذا يتوافد عليه الطلاب الى يومنا هذا وقد تولى بنوه التدريس
فيه من بعده وخاصة ابنه العلامة الراحل الشيخ خليل .

الشيخ ابراهيم شريف الدولابي :

الذي سبق ذكره آنفا .

الشيخ محمد الأمين الضريز :

وهو ابن الشيخ الأمين الضريز كبير علماء السودان في آخر فترة
الحكم التركي درس الشيخ محمد على العالم المصري الأزهرى الشيخ
حسين المحدثي الدماطي في الخطوط وعلى الشيخ محمد البدوي منخرج
الأزهر وشيخ الاسلام في السودان وكان عالما في الفقه والتفسير والنحو
والبلاغة والميراث وكان كثير الشبه بوالده الشيخ الأمين الضريز ويقال
له لو ولد في زمن مكي وعاصر فقهاء المدينة ل زاد عددهم به وقد وصفه
أحد الشعراء (١) في قصيدة منها :

والى محمد انتهى علم الكتاب وكان في كل العلوم اماما

وقد درس عليه عدد كثير من العلماء منهم ابنه الشيخ الأمين أصماد

(١) ابراهيم عبد الرزاق شيخ الاسلام لفي الأمين الضريز ص ٦٢ .

الشرعية في الجامعة الإسلامية والقاضي يوسف إبراهيم التور أحد علماء
السودان الأفاضل .

الشيخ الباهر اسماعيل الوقي .

وقد تلقى تعليمه على والده الشيخ اسماعيل صاحب الأثر المحمود
في نشر العلم في غرب السودان وجبال النوبة .

كان من هؤلاء العلماء يقيم معهداً في بيته للتدريس مثلما
كانت العادة الحارثية في السودان منذ عدة قرون وقليل من العلماء من
كان يدرس في المسجد .

● المعهد العلمى بالسودان

رأت تلك اللجنة المختارة من العلماء أن ترسل بعوثا سودانية الى الأزهر لزيادة حصيلة الطلاب من العلم ليعودوا لبلادهم ويتولوا مهنة التدريس فيها غير أن الحاكم البريطانى والجنرال ويجب لم يكن راصبا على هذا الرأى اعتقادا منه بأن ذهاب السودانيين للأزهر وذهبيهم الدراسة هناك قد يجعلهم يتشربون بأراء وأفكار معادية للإدارة البريطانية فى السودان ولكنه مع ذلك كان يفضى إرسالهم الى الأزهر عسى أن يؤتى بعلماء مصريين من الأزهر للتدريس فى السودان وأخيرا اتفق على حل وسط وهو إعادة تنظيم وتطوير التعليم الدينى بجامعة أم درمان الكبير .

وبعد وفاة الشيخ محمد البدوى عام ١٩١١ م خلفه فى شياخسته العلماء الشيخ (١) أبو القاسم أحمد هاشم الذى درس فى الخرطوم على العالم الأزهرى المصرى الشيخ حسين المحدى الذى ورد ذكره مرارا آنفا . وعند قيام الثورة المهدية انتحق بها ثم عين كاتباً وكاتماً لأسرار قائدها المهدي والخليفة عبد الله من بعده .

وبعد سقوط دولة المهدية وقيام الحكم الثنائى على البلاد عين قاضياً شرعياً وزيادة على ذلك كان يعلم الناس ويدرسهم العلوم الإسلامية فى وقت فراغه وراحته . والشيخ أبو القاسم فضلا عن علمه الجهم كان أديباً وشاعراً يشار إليه بالبنان . كان أول عمل قام به الشيخ أبو القاسم

(١) عن تاريخ الشيخ أبى القاسم راجع النعائس فى أخبار وآثار شيخ الإسلام أبى القاسم أحمد هاشم لابنه عبد الحميد أبى القاسم .

في منصبه الجديد شيخا للعلماء ان جميع أولئك الذين كانوا يقومون بالتدريس في منازلهم أو في مساجد متفرقة جمعهم في جامع أم درمان لتكسر ودع طلاب العلم لأن يؤمونه ويدرسوا فيه على أولئك المعلمين وأصبح يطلق عليه المعهد العلمي ثم استصدر لائحته لنظام الدراسة فيه مقسما لها من لائحة الأزهر الشريف ووضع منهج الدراسة على غرارها وبذلك قررت دراسته جميع العلوم التي تدرس في الأزهر في مختلف المراحل وقد استعان الشيخ أبو القاسم بالشيخ محمد شاكر الذي كان فاضلا فصيحا السودان (١٩٠٠ - ١٩٠٤ م) ثم عاد إلى مصر وكسلا للأزهر .

كانت الإدارة البريطانية في السودان تحرم على السودانيين الذهاب إلى مصر لتلقي العلم هناك كما لم يسمح للعلماء الأزهر من المصريين بالتدريس في المعهد العلمي وقد ظل المعهد العلمي منذ انشائه عام ١٩١٢ مغلقا دون الأزهر بالرغم من إلحاح الشيخ أبي القاسم شيخ العلماء ومنشئ المعهد .

ثم خطا الشيخ أبو القاسم خطوة أخرى وهي إنشاء مكتبة عربية للمعهد ولما لم تكن الإدارة البريطانية توافق له بالاتصال مع مصر أو عز لانه مدثر أبي القاسم الطالب بالأزهر آنذاك أن ينشر نداء مديلا باسمه يهيب بالمصريين خاصة وبالمسلمين عامة للمساهمة في إنشاء المكتبة . وفعلا نشر الطالب مدثر النداء باسمه في مجلة المقطم وسرعان ما تدفقت الكتب النفيسة من الهيئات المصرية والأفراد الكرام . كانت أول دفعة منها ٨٢١ مجلدا بحثت به الجمعية الخيرية المصرية واستمر تدفق الكتب النفيسة للمعهد منذ ذلك الوقت حيث حفلت المكتبة اليوم بمئات المجلدات .

تخرجت أول دفعة من حملة الشهادة العالمية عام ١٩٢٤ في عهد الشيخ أبي القاسم واستمر المعهد العلمي يؤدي رسالته العلمية ونحس الصعوبات والمعوقات ويتخرج منه فوج أثر فوج . ثم أنشئت معاهد اقليمية في أنحاء القطر بفضل همة شيخ المعهد آنذاك الشيخ أبي دقن وتعاون قضاة القضاء المصريون فما بعد وخاصة الشيخ حسن مأمون . لقد بلغ عدد هذه المعاهد اليوم أكثر من مائة معهدا .

في عام ١٩٣٦ بحث طلاب المعهد بذاكرة بطالبون فيها باصلاح المناهج الدراسية وإرسال البعث إلى الأزهر والاستعانة بمدربين

مصريين من الأزهر ليقوموا بمهمة التدريس فيه وبناء أروقة لهم لسكن الطلاب القادمين من الأقاليم ولكن مذكرتهم لم تلق استجابة من قبل السلطات مما دفع الطلاب للقيام باصراخ عن الدراسة .

وعندما اشند ساعد الحركة الوطنية أولى قادتها اهتماما خاصا بالتعليم وحظي التعليم الديني والمعهد العالي بتصويب كبير من ذلك الاهتمام فقد كان المعهد العلمي في نظر أولئك القادة مركزا اسلاميا كبيرا بل المؤسسه الدينية المركزية لكل القطر .

وقع مؤتمر الحريجين العمام وكتاب التنظيم السياسي الرئيسي في البلاد مذكورة في يوم ٢٦ أبريل عام ١٩٣٩ ندى فيها باصلاح المناهج ورمح الطلاب شهادة عالميه كشهادة الأزهر والاتصال المبني بالأزهر (١) الشريف ونشيد بيت لسكن الطلاب وقيام لجنة عليا لاداره المعهد وأخيرا اقترحت المذكرة الاتصال بالأزهر ليتولى ادارة المعهد والصرف عليه اذا لم تستطع الحكومة الاستجابة لتلك المطالب - كذلك تحرك طلاب المعهد ومشيوخه يؤيدون مذكرة المؤتمر كما بعث علماء السودان بمذكرة تشمل نفس المطالب تقريبا ولم يكن أمام الحكومة الا أن تهتم بتلك المذكرات فقبلت مبدئيا بعض ما جاء فيها كاعادة تنظيم المعهد وتعيين لجنة لادارته ومصاعفة الميراثية المخصصة له والاسعانة بمدرسين مسن الأزهر ولكنها رفضت اقتراح بناء بيت للطلاب كما رفضت رفضا يانا أن يكون المعهد العلمي تابعا للأزهر مثلما اقترحت مذكرة المؤتمر .

وفي عام ١٩٤٣ انتدب فضيلة الشيخ محمد المبارك عيد السنه الأستاذ السوداني في كليات الأزهر ليعمل في القسم العالي بالمعهد ولعاونة شيخ علماء السودان علي النهوض بالحركة التعليمية فيه . استمر الشيخ محمد المبارك يضطلع بمهمته في مساعده شيخ العلماء منتدبا من الأزهر الشريف منذ عام ١٩٤٣ الى عام ١٩٥٣ وقد ظهر جليا أثر الشيخ المبارك في تقدم المعهد العلمي ونهضته الحديثة .

وفي هذه الفترة من الزمن وعلى اثر مطالب الحركة الوطنية واهتمامها بشئون المعهد العلمي قدمت السودان في أواخر عام ١٩٤٧ بعثة مصر مكونة من خمسة من أوائل الشهباسادات الأزهرية وحيرة مدرسيه للعمل بالتدريس في المعهد العلمي . وكانت أول بعثة علمية

(١) محمد عمر بشير - تطور التعليم في السودان ص ٢٨٦ .

للمعهد أى بعد أكثر من ثلاثين عاما من انشائه عام ١٩١٢ وانفتح الباب
الذى ظل مغلقة أمام أساتذة الأزهر للعمل فى السودان فتوالى عليه
بعوث الأزهر .

وفى عام ١٩٥٦ أعيد إسماعيل الشيوخ المبارك من الأزهر الى المعهد
العلمى شيخا للعلماء وفى عهده "طور المعهد وحطت خطوات واسعة
فى سبيل التقدم ويعتبر الشيخ المبارك ثانياً لمن من علماء السودان
الذين لهما الفضل الأكبر فى تاريخ المعهد العلمى هذه المؤسسة الدينية
الكبرى هما الشيخ أبو القاسم مؤسس المعهد وواضع لسنه والشيخ
محمد المبارك عبد الله صاحب اصلاحه وتطوره وشموجه حتى أصبح
جامعة اسلامية كبرى .

لقد تولى مشيخة العلماء فى السودان أصحاب الفضيلة :

- الشيخ محمد البدوي من عام ١٩٠١ الى ١٩١١
- « أبو القاسم أحمد هاشم مؤسس المعهد من ١٩١٢ الى ١٩٣٢
- « أحمد محمد أبو دق من ١٩٣٢ الى ١٩٣٨
- « أحمد الهاشمي دفع الله منتدما بالانابة من ١٩٣٨ الى ١٩٤٣
- « أبو شامة عبد الحمود من ١٩٤٣ الى ١٩٥١
- « هاشم أبو القاسم من ١٩٥١ الى ١٩٥٥
- « الأمين محمد الأمين الضير بالانابة من ١٩٥٥ الى ١٩٥٦
- « محمد المبارك عبد الله من ١٩٥٦ الى ١٩٦٣

وكلهم أما تخرجوا فى الأزهر كالشيخين محمد البدوي وهاشم
أبي القاسم ومحمد المبارك عبد الله أو ممن درسوا على منخرحين من
الأزهر كعتبة الشيوخ الأفاضل - وجدير بالذكر كان شيخ العلماء هو
فى نفس الوقت شيخ المعهد العلمى .

وهكذا أخذ المعهد العلمى ذلك الطور الشامخ يحمل المشعل ويؤدى
رسالته العلمية ويتخرج فيه من نوابغ البلاد وعلمائها رجال تنواروا
منزلة كبرى فيها وأسهموا فى نهضة الوطنية والثقافية كالأزهر تماما
وليس هذا هو الحال لاحصاء أولئك فمدرسو اللغة العربية والدين فى
المدارس الثانوية والكثير من مديريها وبعض القضاة الشرعيين وكتبة
المحاكم وغيرهم من خريجي المعهد .

وفي كل أطوار تقدم المعهد منذ إنشائه كان لأصحاب الفصيلة العلماء المصريين الذين شغلوا منصب قاضي القضاة دور محفوظ خاصة الشنوبج محمد شاكر ومصطفى المراعي وحسن مأمون وظلوا على اتصال به حتى بعد معادرتهم البلاد إذ كانوا يسمون له كرسى من هناك .

ومن هنا يتضح لنا جليا أثر الأزهر ومتخريجيه وبعوثه العلمية في تقدم المعهد والحركة الدينية في السودان والتي لا يقل بالحرف الواحد ما كنهه العالم (١) السوداني الأزهرى محمد المبارك عبد الله في كتابه « مذكرات ودكریات فی معهد أم درمان العلمی - طالبا واسیدا وشیخا للعلماء » عن أثر البعث الأزهرية في عصبة المعهد .

... كانوا أهم العوامل في نهضة المعهد الحديثة وتطويره الى جامعة أسهموا في تعديل المناهج وطرق التدريس ونظام الامتحانات وادخلوا الاعمال التحريرية والتطبيقية واعشوا المحاضرة والخصائصة والانشاء وأعاد المعهد منهم خيرا كثيرا - وأعاد منهم شبيب المدرسين الذين آحورهم وأحورهم وتعاونوا على رفع مستوى الدراسة بالمعهد فضلا عن طلاب المعهد كما أفاد المجتمع السوداني منهم ثقافة عامة في المعارف الاسلامية والعربية وتوجيها ووعية وبصيرة بالدين ومقاصده بما كان لهم من محاضرات وندوات في الاندية وأحاديث ودروس في الاجتماعات الخاصة وبما كان لهم في الصحافة والاداعة من مقالات وكلمات ثم توالى البعث بعدهم من الأزهر واتصل المعهد به اتصالا وثيقا » .

هذا ولم تقف رسالة المعهد العلمي على السودان وحسب بل تمتد اليه طلاب العلم من كثير من البلاد الافريقية من الصومال وبوغتندة والسنتغال والسودان الغربى وأثيوبيا وارتريا ودرسوا فيه وارتقوا من منتهله وعادوا الى بلادهم يملكون علمهم وخبرتهم لأهلهم هناك وحققته كان السودان منذ القرن السادس عشر الميلادي قبلة لطلاب العلم في حواصيه وخلاله من البلاد الافريقية المجاورة .

(١) محمد المبارك عبد الله . مذكرات في ٥٠ .

● جامعة أم درمان الإسلامية

أحد معهد أم درمان العتي يسير خطوه الى الأمام نلوا الأحرى
سد انشائه عام ١٩١٢ كما ذكرنا حتى اكتملت به مراحل الثلاثه -
الابتدائية والثاسوية والعالية وكان منذ انشائه يستوحي الأهرس
الشريف ويستلمه من قبضه الشر فأصلح برامجه التعليمية وما فتى
يعمل على تطوير القسم العالى الى كليات للتخصص فى شتى فروع
الثقافية الاسلاميه فانشأ عام ١٩٥٧ قسمين ، أحدهما للشريعة
الاسلامية وآخر للغة العربية مستعينا بأساتذة أجلاء من عماء الأزهر
الشريف وما لبث القسم العالى أن تطور الى كلية اسلامية عام ١٩٦٣ م
ثم ارتقى فأصبح جامعة اسلامية وقد حدد قانونها الصادر عام
١٩٧٠ م وظائفها فى الآتى : (١) .

١ - تعمل الجامعة الاسلاميه على بناء الدات السودانية بدراسة
التراث العربى الاسلامى واثراء البعثة السودانية بمحتويات الحضارة
العربية الاسلاميه وتوظيف حصائنها لخدمة المجتمع السودانى ودراسة
اللغة العربية وعلومها .

٢ - تقوم الجامعة بتدريس الطلاب للقيام فابة واحبات تخصصية
فى ميادين اللغة والدين والقانون والادارة وفى الدور الذى يخصه
لها المجلس القومى .

(١) تكميم الجامعة الاسلاميه .

٣ - تقوم الجامعة في إطار برامج الدولة بالبحث الأكاديمي والظفر في قضايا المجتمع من خلال المنطقتين الفكرية الإسلامية المتفاعلة مع أحاديث البيئية .

٤ - ترمي الجامعة في إطار خط الدولة حركة نشر وأحياء التراث الإسلامي في القارة الأفريقية وتقيم روابط التعاون مع مختلف المؤسسات النظرية في العالم الإسلامي .

وهكذا قامت جامعة أم درمان الإسلامية وكان للأزهري وأساتذته فصل وافر لا يحصى وتحدثت بذلك لامية التي كانت تعمل في صميم الإلمه والتي كان أول من نادى بها فضيلة الشيخ محمد الامين قراغة قاضي العصاة المصري على السودان (١٩١٩ - ١٩٣٢) منذ عام ١٩١١ في خطاب أرسله لفضيلة الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم عيسى عن شجاعة علماء السودان وكانت تربطه به صداقة ومودة يقول الشيخ قراغة في خطابه :

« أهنيك بالخصب الذي صادف أهله وكانى أطر البيث في منزل الأديم الميريه وقد أشادت بالسودان حاميها اسلاميه على عرار الأزهري الشريف تمت هذا البلد بعلماء شربوا من مهلك الصافي وتحلوا بأخلاق العمام (١) » .

هذا وقد اختار الدكتور كامل الناصر أول مدير للجامعة الإسلامية وهو حميد الشيخ اسماعيل الولي ومن أسرة درس أقطابه في الأزهري كما ذكرنا وكان والده مدرسا في معهد أم درمان العلمي ، كما درس هو نفسه في ذلك المعهد وخرج في كليات الأزهري وواصل تعليمه في كليات بريطانيا حيث حصل على الدكتوراه - فقد وصح الدكتور كامل الناصر أسسها وتعاليمها ودفع بها قدم حتى أصبحت اليوم جامعة كبرى مثل مثيلاتها في السودان والبلاد الأخرى .

(١) عند الحميد أبو القاسم - العائس من أخبار وآثار شيخ الإسلام أبي القاسم أحمد هاشم .

● يد الأزهر البيضاء تمتد الى نيجيريا عبر السودان

العلماء السودانيين في كانو

لم يقتصر أثر كلية غردون وفصل أساتذتها المصريين في توجيه الطلاب السودانيين توجيهها علميا صحيحا، بل إنه ليس ثمة تعارض بين الدين والتعليم النظامي الملزم ولا على فتحها لآفاق جديدة نحو الثقافة الإسلامية ولم يقف ذلك الأثر على السودان بل امتد ليستظل بظله المسلمون في نيجيريا .

كان هناك تشابه كبير بين السودان ونيجيريا فالمسلمون أغلبية في كلا البلدين ويسكنون مناطق معروفة ثم كان البلدان يرحان تحت سيطرة الحاكم البريطاني كما شمسهد تاريخهما ثورات دينية حادة اتخذت طابع الجهاد باسم الدين وفي غرب أفريقيا وشمال نيجيريا قامت ثورة الجهاد التي أعاد عثمان دايو وولايته من بعده في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كما نشبت ثورته مماثلة في السودان بقيادة محمد أحمد المهدي في آخر القرن التاسع عشر .

وعلى مر الأجيال كانت الصلة قوية بين السودان ونيجيريا وغرب أفريقيا فقد كانت حموع الحجيج تأتي منها عيبة الأراضي المقدسة عبر السودان وكانت منهم من أقام في السودان كما كان بعض من العلماء السودانيين من سار يذهبون الى هناك بدعوة من سلاطينها وحكامها ليعلموا الناس تعليما دينيا ولذلك ظل السودان منذ تاريخه القديم وإلى

يوما هذا أحد مجارى الثقافة الى عرب أفريقيا وكانت وما زالت الهجرة منه
واليه وغيره قائمة اما طانيا لاسم أو السفر الى الاراضى المقدسة وغيرها
من الأسباب .

وعندما وقعت سيجيريا تحت بر احكم البريطانى فضع (١) الحكم
المستعمرون عهدا مع المسلمين فى بيجيريا على الا يتدخلوا فى شئونهم
الدينية والا يسمموا للتبشير المسيحى ليقيم بشاط فى بلادهم حثية منهم
ان نشب ثورات دينية أخرى وتأثر مصالح بريطانيا الاستعمارية من
جرائها وكانوا قد طبقوا عليهم سياسته الحكم غير المباشر التى ابدعها
اللورد مرد ريك لوفارد الذى كان حاكما عاما على نيجيريا .

ولما وبعد الاتفاق بين الادارين الاستعمارية فى السودان ونيجيريا
رؤى ان يستفاد من خيرة المعلمين والقصاصه السودانيين الذين تخرجوا فى
كلية غردون فى اللغة العربية فارسلت أول بعثة من المعلمين وكانت تتكون
من السادة الاساتذه محمد عثمان ميرغنى وعند اعال حمور ومحمد نور سيد
أحمد وكان كل هؤلاء الاساتذه من الذين تلقوا علومهم على يد معلمين
مصريين متخرجين من الأزهر .

اصطلحت تلك البعثة بوضع أسس تعليم نظامى علمانى يدرس فيه
العلوم العصرية حسا الى جانب مع دروس اللغة العربية والدين وكان
المواطنون هناك يدرسون عموما دينة فقط على أيدي مهاجرين أفريقيين
وعلى أسس بدائية .

عادت البعثة السودانية بعد أن أدت مهمتها بنجاح وقد شئت اليها .
اهتمام السكان فى بيجيريا الذين طالبوا ببعثات أخرى . تم ارسلت
بعثات قوامها قضاة شرعيون من السودان منذ عام ١٩٣٤ الى منتصف
الستينات .

كانت البعثة الأولى تتكون من أصحاب الفضيلة التبشير الريح
ومحمد صالح سوار الذهب والورد النبقارى وهؤلاء جميعهم من متخرجى
مدرسة القضاء الشرعى فى كنية غردون التى اقترح فكرتها فضيلة الشيخ
محمد شاكر قاضى القضاة المصرى (١٩٠٠ - ١٩٠٤) وقد درس هؤلاء

(١) د. حسين ابراهيم حسن . انتشار الإسلام فى القارة الأمريكية من ٢٥٤ مثلا
عن تاريخ نيجيريا لبرنز .

القضاة على أساندة مصريين من الأزهر هم الشيوخ الجداوى والشرقاوى والمراغى أحو الشيخ مصطفى المراعى .

وتوالى بعثات القضاة الشرعيين الى شمال نيجيريا وظل الشيخ البشير الريح قطب رحاها منذ عام ١٩٣٤ . وثقة في تلك البعثات واعترافا بعصلها اخير أحد أفرادها وهو الشيخ عوض محمد أحمد ليصبح قاضى لقضاة شمال نيجيريا .

لقد أدت تلك البعثات مهمتها بجهد وإحلاص مما جعل سكان شمال نيجيريا يلهجون بذكرهم والثناء عليهم مثل ما فعل السودانيون مع أساتذتهم المصريين . كما ذكرنا في مجال آخر . لقد فتحوا في مدينة كادو مدرسة العلوم العربية تدرس فيها اللغة العربية والشريعة الإسلامية والدين لينتخرج منها قضاة للحاكم الشرعية ومدرسين للغة العربية والدين في المدارس الحكومية وأصبح بفضل تلك المدرسة كل قضاة شمال نيجيريا ومدرسينها من حريجيها وأوقف تعيين المهاجرين والمعلمين المحليين .

لقد أدى المعلمون والقضاة السودانيون الذين درسوا في كليه عردون في الخرطوم على أيدي علماء مصريين من الأزهر نفس الدور الذى قام به العلماء المصريون في السودان . وهو الوفاق بين الدين ومطالب الحياة العصرية وهذا هو جوهر دعوة الامام محمد عبده وعدت بذلك كانوا عاصمة نيجيريا مرارا من مراكز الثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا بعد ان تأهل علماءها وبسملوا الأمانة بأنفسهم .

● احصائية عددية عن الطلاب السودانيين في الأزهر

أقبل لصلاب المسموم على الأهرس باعتباره فيلهم العينه وكما
قال شوقي :

ان الذى جعل العتيق مثابه جعل الكنانى الميسرك كوثرا
العلم فيه منساهلا ومجانيسا يأتى اليه النزاع يبتغون القسرى
نافتية المهور سمار حديثكم ندا نافواه الغروب وعنبوا

لا نعرف على وجه التحقيق تاريخ دخول السودانيين للأزهر حيث
لا تتوفر أدنى معلومات عنهم وعن غيرهم من الطلاب الوافدين ولكيهم منذ أن
عرفوا طريق الأزهر وفدوا اليه وحاوروه وكان مما شجع هؤلاء المحاورين
وأولئك من البلاد الإسلامية بناء أروقة أعدت لسكن الطلاب المقيدين من
القاهرة والوافدين من البلاد الأخرى . ولعل أقدم حديث عن أولئك
الطلاب وأروقتهم ما جاء فى خطط المقريرى فى القرن التاسع الهجرى
الخامس عشر الميلادى ، فقد ذكر ان عدد الطلاب الفقراء الملائمين للمسجد
بلغوا فى عهده ٧٥٠ طالبا وهو هنا يشير فقط للفقراء الذين تصبط عنهم
ظروفهم للمجاورة فى الأزهر - ثم لا نجد أى معلومات عنهم الا ما ورد فى
كتاب الذيل للمقريرى تأليف عبد الحميد نافع فى القرن التاسع عشر
فى معرض ذكره عن الأروقة وعدد طلاب كل رواق والخبر المخصص لكل .
وعن السودان ذكر فى الذيل على المقريرى ان عدد طلابه ٨٥ طالبا
٥٠ طالبا فى رواق سمار و ٣٥ فى رواق الدكارنه ويقصد دارفور .

لم يستطع الحصول على احصائية كاملة بعدد الطلاب السودانيين في
الأهر منذ آمد بعيد بعد كانت حلقاات الدراسة مفتوحة لكل طالب
ولم تكن هناك سجلات تفيد عدد الطلاب والاحصائيات أدناه توضح عدد
الطلاب السودانيين المقبلين في سنوات متفرقة وهي بالرغم من انها
لا تحوى سجلا كاملا لعدددهم الا انها تلقى ضروا على كثيرهم مقارنة
بالطلاب العرب من البلاد الأخرى .

في عام ١٩٤٣ بلغ عدد الطلاب المقبولين في (١) المدارس المصرية
كالآتي .

٣٦ طالبا في الجامعة
٩٥ المدارس الثانوية
٤٦٣ الأزهري

٥٩٤ المجموع

وفي عام ١٩٤٥ أسست الحكومة المصرية بيبا لاقامة الطلاب
السودانيين في القاهرة مع منحهم اعانات شهرية مما شجع الشبان
السوداني للهجرة الى مصر طلبا للعلم وكان عددهم .

٢٩٨ في جامعتي فؤاد وفاروق (القاهرة والاسكندرية اليوم)
٢٥ المعاهد العليا
٤٦٦ الأزهري

٨٧٨ (٢) المجموع

(١) محمد عمر بشير - تطور التعليم في السودان ص ٢٩٩ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٠٧ .

عدد الطلاب الوافدين
على الأزهر الشريف

من البلاد العربية والبلاد الأخرى

السنة السودانية	مجموع الوافدين	البلاد الأخرى	البلاد العربية	السودان	العام
/٢٩ر٢٥	٢٥٤٨	٦٤٦	٩٠٢	١٠٠٠	٥٢/٥١
/٤٥ر٦٥	٢٨٤٨	٦٤٦	٩٠٢	١٣٠٠	٥٣/٥٢
/٥٩ر١٦	٤٠٨٢	٧٥٥	٩١٢	٢٤١٥	٥٤/٥٣
/٥٦ر٨٩	٤٢٩١	٨٣٢	١٠١٨	٢٤٤١	٥٥/٥٤
/٤٥ر٥٥	٣٢٩٣	٧٨٤	١٠٠٩	١٥٠٠	٥٦/٥٥
/٤٨ر٨٣	٣٠٧٢	٨١٥	٧٥٧	١٥٠٠	٥٧/٥٦
/٤١ر١٢	٢٥٢٧	٧٨٨	٦٢٤	١١١٥	٥٨/٥٧
/٣٧ر٥٥	٢٧٨٨	١٠٠٦	٧٣٥	١٠٤٧	٥٩/٥٨
/٣٥ر٩٧	٢٩٣٠	١٠٨٢	٧٩٤	١٠٥٤	٦٠/٥٩
/٣٢ر٣٥	٣٠١٧	١١٨٧	٨٥٤	٩٧٦	٦١/٦٠
/٢٧ر٥٣	٢٧٢٥	١٢٠٥	٧٨٧	٧٣٣	٦٢/٦١
/٢٠ر٩٤	٢٨٨٤	١٤٤٤	٨٣٦	٦٠٤	٦٣/٦٢
/١٨ر٣١	٣٦٢٦	١٩٦٨	٩٩٤	٦٦٤	٦٤/٦٣

ويلاحظ تناقص عدد الطلاب السودانيين منذ عام ٥٧/٥٦ إذ كان عددهم ١٥٠٠ إلى ٦٦٤ في عام ٦٣/٦٤ والسبب في ذلك تحويل بعضهم إلى المعاهد الدينية التي افتتحت في السودان آنذاك .

(١) الأهرام تاريخه وتطوره - الأوقاف - ص ٥٧٠/٥٧٤ .

الطلاب السودانيون وغيرهم

جامعة الأزهر
عام ١٩٦٣/١٩٦٤
كلية الشريعة

المجموع	الفرد الدراسية				
	(٤)	(٣)	(٢)	(١)	
٧٦	٢٦	٢٧	١٩	٤	السودان
١٢٦	٢٦	١٦	٤٤	٤٠	الدول العربية
١١٣	٢٣	٣٤	٢١	٣٥	دول أخرى
٣١٥	٧٥	٧٧	٨٤	٧٩	

نسبة الطلاب السودانيين لطلاب البلاد العربية = ٦٠٪

نسبة الطلاب السودانيين لكل الطلاب الوافدين = ٢٤٪

كلية الدراسات العربية

٢٢٥	٥٨	٥٢	٧٢	٤٣	السودان
١٤١	١٤	٢٨	٤٨	٥١	الدول العربية
٢٨	٤	٣	٤	١٨	دول أخرى
٢٩٤	٧٦	٨٢	١٢٤	١١٢	

(١) الأهر - تاريخه وتطوره - ص ٥٧٧ .

نسبة الطلاب السودانيين لطلاب البلاد العربية = ١٥٩٥ / ٥٢

نسبة الطلاب السودانيين لكل الطلاب الوافدين = ٥٧ /

كلية أصول الدين

السودان	١٩	١٢	٥	١٦	٥٢
الدول العربية	١١	٣	٢	١	١٧
دول أخرى	٢١	١١	١٩	١٥	٦٦
	٥١	٢٦	٢٦	٣٢	١٣٥

نسبة الطلاب السودانيين لطلاب البلاد العربية = ٨٣٥ / ٣

نسبة الطلاب السودانيين للطلاب الوافدين = ٣٨٥ /

بلغ عدد الطلاب السودانيين في عام ٨٢/٨٣ في كليات الأزهر -
عسكية ونظرية - ١٢٤٥ طالبا .

ومن الملاحظ ان عددا كبيرا من الطلاب السودانيين تلقوا ويتلقون العلم في الأزهر منذ القدم والى يومنا هذا ولعله مما ينبع الطر السببة الكبرى للطلاب السودانيين بالمقارنة مع غيرهم من الطلاب فقد ظل الأزهر كعبة العلم يهاجر اليها الطلاب من السودانيين وظلت مصر كطعمها دائما أبدا تمتع زراعيها حانية عطوف لهم ولغيرهم في أزهرها ومعاهدها العلمية .

هذا ويخصص الأزهر زيادة على ذلك مساحا دراسية للطلاب السودانيين من الجنوب وحمال السونة وهي المناطق التي يغلب على أهلها الوثنية وقليل منهم المسيحية حيث تقوم الرسائلات المسيحية بنشاط وافر صاك

والآن ينتظم الطلاب الوافدون بما فيهم السودانيون في الدراسة ويقيمون في مدينته انشئت خصيصا لاقامتهم واقتالهم من الاروقه المتيفة ولا يحفى على القارىء الأثر الكبير الذي تحدثه هذه المدينة في لم شملهم وتعاونهم وتعارفهم في مجتمع علمي مثالي وذلك بخدم عا صا اسمى وهو تدعيم الروابط بين الشعوب وموثيقها .

أقبل الطلاب السودانيون في الأزهر على الدرس والتحصيل
بحمد واجتهاد مند أي عزمهم والحقوا به . ووصفت مجلة الوقائع المصرية بعض
الذين كانوا يترددون عليها فهم ناهم عاية النهذيب والتجابه والاستقامة .
وكذلك ما جاء في الابحاراث التي منحها لهم اساتذتهم من علماء الأزهر .
كما قال عنهم أستاذ مصرى (١) .

« والحق أنه كلما حدث أى اتصال بين أبناء السودان وغيرهم من
متقضى أبناء العرب كان الأولون سياقين للاستعادة والتعليم
هذا وقد تولى بعض منهم مهنة التدريس فى الأزهر نذكر منهم على
مختلف العصور .

الشيخ محمد بن أحمد البدوى (٢) :

وهو حفيد الشيخ عيسى بن بشارة الاصارى الخزرجى عميد الأسرة
المعروفة فى أرض الحرية فى الاقليم الأوسط فى السودان . كان الشيخ
محمد ووالده الشيخ أحمد البدوى يواصلان دراستهما معا فى الأزهر على
علمائهم ونذكر من أولئك العلماء الشيخ ابراهيم الجازرى الشافعى شيخ
الأزهر المتوفى عام ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م والشيخ أحمد جنى الحنفى
والشيخ عيش المالكى المتوفى ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م وقد منح الشيخ
محمد ووالده آجازات مشتركة من أساتذتهم ما عدا الشيخ عيش فقد
منح كلا منهما أجازة مستقلة .

وتدل هذه الأجازات ان الشيخ محمد ووالده ينفها فى المذهب
الثلاثة الشافعى والحنفى والمالكى .

لقد عمل الشيخ محمد مدرسا فى الأزهر وظل فى وظيفته تلك نحو
ثمان سنوات حيث توفى فى مصر .

ومن السودانين الذين تولوا مهنة التدريس فى الأزهر الشيخان
أحمد الأزهرى وابن أخته اسماعيل عبد القادر الكردفانى اللذين ورد
ذكرهما آنفا .

(١) د. عبد العزيز عبد المجيد - التربية فى السودان - ج ٢ ص ٣٧ .
(٢) عز الدين الأمير - قوية لتراجم وانرها العلمى فى السودان ص ٧٤ .

ومنهم الشيخ محمد نور الحسن :

ويعرف في الأزهر بالشيخ نور وهو من أسرة دينية معروفة في السودان نرح إلى الأزهر في عام ١٩١٢ وأكمل تعليمه فيه وبرع أساساً في علوم اللغة العربية . وكان زميلاً لشيخين شلتوت وعبد اللطيف دراز في الدراسة .

اختير مدرسا في الأزهر ثم وكيلا له كما كان عضوا في المجمع اللغوي ونوفى في مصر عام ١٩٧١ ودفن في مصر مع الشيخ شلتوت ساء على وصيته .

الشيخ محمد المبارك عبد الله :

ولد في أم درمان عام ١٩٠٥ وبعد ان حفظ القرآن في الخلوة في العاشرة والتحق بالمعهد العلمي في أم درمان ثم سافر الى مصر والتحق بالأزهر عام ١٩٢٣ على نحو ما ذكر هو في وصفه لرحلته الى مصر وحصل على شهادة التخصص القديم في عام ١٩٣١ وهي ما تعادل الدكتوراه .

عين مدرسا في الأزهر وانتدب الى السودان للتدريس في المعهد العلمي وكلية الدراسات الإسلامية على نحو ما ذكرنا سابقا .

● شعراء السودان يلهجون بذكر أساتذتهم المصريين

حفظ السودانيون ذلك الصنع والعمل الحليل في قلوبهم بكثير
من الامتنان وحفظ الحبيب وتغنى بذلك الفضل شعراؤهم وكتابهم واني
لأسوق مثلا لذلك العرفان بالحبيب أبيانا من شعر بعض ممن درسوا على
أولئك الأساتذة .

يقوى الاستاد عبد الله عبد الرحيم في قصيدته « العروية » مشيرا
إلى أساتذته المصريين ذاكرا محاسنهم وفضلهم على بلاده وآثرهم الواضح
في رفعها وبهصصها .

وكانت لنا في غابر الأمس نهضة
مباركة لا اللهو منها ولا الدد
فبعد الرموف والخطيب كلاهما
له بيننا الفضل الذي ليس يجحد
هما حركتهما النفوس وانثرا
علوما على أضوائها اليوم نصعد
وطائفا هزوا النفوس بطيب
من القول يرضاه الوليد وأحمد
ولاحضا على الخرطوم نجم معارف
به وعوادى الدهر اذ ذاك تولد

وفي اليوم قد شابت وتسب وليدها
ومازيسسها منا كبير وامسرد
وذلك عهد قد سعدنا بقلله
لوان الكريم الحر في الدهر يسعد
فاليت لا انسى له فضل نعدله
على والاحسان متى هووجد
اولئك الكتاب اساس نهضة
وكنز ثمين للتساقفة يرفسد
هم العائشون في نفوس كثيرة
وفي كل قطر من صنائعهم يسد
تخيراتهم بين الانام لفضيلهم
واكبرتهم ان كنت للناس انفسد

كما يقول في قصيدة اخرى .

يا نسيمًا يختسار بين رياض
راويا عن اريجهم اغنسلاله
قف رويدا واجمع الزهر واحمل
لرجال العلوم منى رسالاله
لرجال العلوم في ارض مصر
واهبي الضاد حسنها والجزاله
قل لهدى الكرام يجمعها النادى
بندورا ويحتسبونهن هاله
لكم السود في البلاد مقيمنا
ما اظن الزمان يطوى ظلاله
انهم مصر والعروبة والسودان
شعب ابي الاله انفسالاله

وتتعلق ابيانا من قصيدة للشاعر السوداني عبد الله حسن
الكردي يتحدث فيها عن اثر المصريين ويحث لقرينهم بعد ان ابعثوا
من السودان عام ١٩٢٤ م .

امسرامهم فسوق السسما مكانه
 وهم ميامين السورى اخيسار
 فى كل جسامعة لهم نشء سسما
 بذكاء فكر طار منه شرار
 وبسكل حى للمعاهد ضسجة
 فالعلم بين ربوعهم اتسار
 انى يحسد الفضل من اوطسانهم
 والفضل ليس له سواهم دار
 انى لاذكروهم بقلب واجسد
 مسكر ليس او تسلاه نهسار
 واحسن مثل التاكسات قسريهم
 وحنين مثلى فى البعاد مزار

ويعرف الاستاذ محبوب جلال الدين وهو يستقبل الاديب المصرى
 الكبير على الجارم فى مايو عام ١٩٣٧ عند زيارته للسودان فى مهمة رسمية
 له تتعلق باثشاء كلية اللغة العربية فيه وكان البريطانيون قد ارادوا
 ان يعيدوا قدرا من العلاقات بين مصر والسودان بعد اتفاقية ١٩٣٦ .

انسج الصفا لاختسوانه
 فساد الشقيق لاوطانه
 ولافى الحب حبيبا ونلنا
 نعسم السرور بليقانه
 وجاشنت صسدود بزفراتها
 وفاسخ الفؤاد بتحنانه
 اعسدت لنا ذكريات مضت
 لعسد المرووف واقسمرانه

ولشعره محالا اوسع للاستاذ محمد سعيد العباسى الذى تغنى
 بفضل مصر وهزج باياذها عليه وعلى السودان وكان قد التحق بالأزهر
 ثم بالكلية الحربية فى مصر ودرس على العالم اللورى عثمان زناى وقد
 اهدى ديوان شعره لاستاده ورد عليه الأستاذ زناى بقوله :

« ولا احدى والله كيف اعتدائى عندك في تأخير الرد وقد طوفتني
بجملكم وشملتني بفضلكم اد تذكركم استاذكم على طول العهد وبعد
الشقة واني لاطيب نفسا ان اكون تلميذا لكم في حفظ الجميل ورعاية
الود والثبات على العهد . . . وقد تفضلتم بارسال كثير من قصائدكم
التي يفوح منها غير الاحلاص والتي يدل كل حرف فيها على شاعرية
مطبوعة تشير كل قافية الى ذوق جميل وكل شطر الى نفس كبيرة
وكل بيت الى مجد عامر وكل قصيدة الى حسن متبع من الاخلاق
المالية والحاصل الرقيقة . . »

ومن قصائده المديدة في حب مصر والتعنى بفضلها وفضل
أساتذته نقتطف بعضا من الأبيات :

واهيا مصر واوقسات سجدت بها
لقد تفضلت ولا اقض من الرب
يخونني الصبر ان غالبت دونكم
حر اشذاقي ودمعها جد منسكب
عندي لكم يسد ففضل لست اجد لها
يسد الزاني مولى العلم والحسب
سريت في ضسوته حينما يقوم من
عودي ويفسح لي من صدره الرحب
رى قصيدة اخرى يقول :

ان يسورى عنكم فمما من
مذهب الحب والوفاء ان اورى
لو يكون الخيار حكما لا اخترت
نزوحا عنكم ولا قيسه شبر
ربي قدر لمصر طالع اسعاد
وهي مصر اصلاح امر
ويقول في قصيدة اخرى :

بنو الكنانة ما اشهى الحديث لهم
الى النفوس وما املهم فيما
زدني سؤالا ازدك اليوم معرفة
بهم فما كان ذو جهل كهن علما

هم الكرام فكهم فيهم اخو نفسه
 حلو الشماثل تنسدى كره
 شوا المصارف بالسودان فازدهرت
 به وشادوا منار العدل فانتظمت
 ولا وربك ما كانوا لنا ابدا
 بعاسطين ولا كنا لهم خسدا
 عنسدى لصر وللفسر الكرام بد
 والحس من يات يرعى العهد والذمما
 ويقول في قصيدة اخرى :

اسمى بين بهجه ورشاقه
 وأديننا يا مصر تلك الطلاقه
 أنت للقلب مستراد وللعين
 جمال وللشمم بقاءه
 انت عنسدى اخت الحثيمه
 ما اسمك ديننا وما أجل اعتناقه
 انت ذكرتنى ولست بنساس
 در ندى رضىت منك فواقه

وفي قصيدة اخرى يقول العباسي :

ولو كان لى علم ما فى غيد
 لما بعث مصر بسوسودانيه
 ودعها امس لا عين قسلى
 ولسم نكن النفس بالسوساليه
 لها ولاينسائها الاكرمين
 اباد بنابرة اسسيه
 بسروحي وليست تهاب الردى
 كباتعة دونها شاربه
 فاني من غرس نعمتها
 غراس هو الثمر الدليه

وما بالقليل انتسباني لها
 قسائي حمادها السراوية
 بنى مصر حياكموا ذو الجلال
 بعرف تحياته الزاكية
 بسكم غسدت اليوم أم اللغات
 كحسنته في حسل صافيه
 حملتم به مصر وبأشسرفين
 وسالة آدابها العاليه
 بلوننا الكرام فكانوا البناء
 وكنتهم به جسر الزاوية

ومن المناسب أن نذكر تعليق الدكتور زكي مبارك تحت (١) عنوان
 جانبي « نعمة سودانية » مشيراً إلى قصيدة العباسي التي أهداها
 إليه .

« كان من توفيق الله أن تلثمت إلى الأدب السوداني بعض
 الالتفات فيه أنيحت لي فرصة بلعرف إلى ما هناك من روائع لو
 نشرت لبهرت شعراء مصر وأشام والعراق أقول هذا وأمامي قصيدة
 للشاعر محمد سعيد العباسي قصيدته خفيفة الروح حن فيها إلى
 أيامه في مصر فقال :

ولو كان لى عسلهم مما في غد
 لنا بعت مصر بسودانية
 واسمر في سرد القصيدة كاملة حتى قول العباسي .
 بلوننا الكرام فكانوا البناء
 وكنتهم به جسر الزاوية

ثم استطرد الدكتور زكي مبارك « أيها الشاعر الذي حبا مصر
 حياك الله وحياك فقد طوقت جيد مصر بقلائد صنعت من حبات القلوب -
 أهذا شعر أم سحر ؟ - هو عرق الشعر وفروق السحر - هو الهام جاءت
 به فطرة كريمة الأصل في بلاد أساؤها أصلاء . .

(١) مجلة الرسالة العدد ٤٨٢ عام ١٩٤٢ نقل عن وقعت مع العباسي - عبد القادر
 الشيخ ادريس أبو هالة ص ٢٠٥ .

وليعرف السودانيون اننا لا نقبل ان يكونوا اوفى منا باى حال
وسنعارض هذه القصيدة نقضاً وسريهم ان مصر تجريهم صدقاً
يصدف واحلاصاً باحلاص - اينها الأرواح الشوارد بأعلى السيل ايها
الحافظون لامجد الاسلام بالوادي السحيق هل تعرفون مكانكم فى
أنفس المصريين .

وهذاك ممن اشادوا بفضل مصر على السودان الاستاذ احمد
محمد صالح الشاعر والمربي الكبير فى كثير من قصائده نذكر بعض
أبيات من إحدى قصائده :

مصر وما مصر سوى
وطن القيساورة والأسود
وهنا الأديب الرفيع
وكعبه العلم المعيد
وزعيمه الشورى القدي
فى الجهاد وفى الجهاد
هى مؤئل للمستجير
ومنهم من عذب السورود
وعلى جنوب النيل كم
قاضيت ايامها بجود
جئنا وبين ضلوعنا
شوق العميد الى العميد

هذه قطوف مما جادت به قرائح بعض من شعراء السودان الذين
تلقوا العلم رأساً على معلمهم المصريين فى اللغة والدين ولنذكر جزءاً
بسيطاً من قصيدتين لشاعرين من الجيل الثانى الذى تشأ وثقف على
سودانيين درسوا على امثلة مصريين بعد ان اتمموا المصيرين من
السودان اثر حوادث عام ١٩٢٤ والشاعران من متخرجي المعهد العلمى
فى ام درمان يقول التجانى يوسف بشير .

عادنى اليوم من حديثك يا مفسر
رئى وظففت بى ذكسرى
وهفنا باسمك الفسواد ولجت
بسمات على الخواطر سكرى
انما مصر والشقيق الاخ السودان
كانا لحافى النيل صمدنا

حفظنا مجسده القديم وشادنا
 منه صبينا ودفعا منه ذكرى
 افلسنا الفسى هوى جوفنا
 سرحنا الفكر فى اواصر اخرى
 كيف يسا قومنا نباعد بين فكريين
 شمسنا وساتنا البعض ازرا
 كيف قولوا بجانب النيل شطيه
 ويجسرى على شواطئ اخرى
 كلمنا انكروا ثقافة مصر
 كنت من صنعها يراعا وفكسرا
 جئت فى حدها عسرا فحيا
 الله مستودع الثقافة مصر
 نضر (١) الله وجهها فهى ما تزداد
 الا بمسدا مسلى ومسيرا
 والإبيات الآتية من قصيدة الشاعر الناصر قريب الله يستقبل بها
 وفدا من الكنائس فى الثلاثينات بعد قطعة فرضها الاستعمار البريطانى
 بين مصر والسودان .

قال الشاعر .

مسده الاميسات يساعين قرى
 واسكى الشمو يا يراعة شعري
 فهنا الشعر يستمد قواه
 من جمال على ابتسامة نقر
 يسا شباب الكنائس اليوم عيد
 عاه فى حلى سرور وبشر
 عادنا والقلوب مسلاى استيقا
 لم يدع شوقها مكانا لمسجر
 فمساعيكم اتى غمرتنا
 لم تعادل لى ثناء يشكر

(١) كان الشاعر يوى ، لمصر الى مصر ولكي ظروف القيد من تحقير مطلبه .

جعلت حبنا الكنانة فرضا
شمان كف التدي بقلب حر
وبمصر لنا قلوب اقيامت
اتحسسونها نأحسنا مصر
لمصر والسودان مسنو شقيق
وبدا النيل شاهد حيث يجري
فسير أن السودان عاش ربيبا
في حماها فنال أطيب ذخر
فاقطعوا السنين الكايد أنا
أخوه في الهتاء ومس الضسر
عصمة الدين وحيدتنا وما عن
عصمة الدين وحدها من معز

● هؤلاء قالوا عن أثر الأزهر على السودان

شعر العلماء :

— وفي العهد التركي ظهرت طبقة العلماء واخذت تلعب دورا هاما في الحياة الثقافية ، فقد شهد الحكم التركي نزوح افراد قلائل الى الازهر او له . . . ولعل من المهم ان نلاحظ ان بداية الشعر العربي المصباح في السودان كُتب على يد هذه الفئة من العلماء الذين تلقوا تعليمهم دينيا ولغويا في الازهر وفضلوا فترة من حياتهم خارج السودان .

د . محمد ابراهيم الشوش

في الشعر الحديث في السودان صفحة (١٥)

— أما عمق الصلة بين سنار وعلماء الازهر فأمر لا سبيل الى الجدل فيه فان أعظم علماء سنار تخرج في الازهر الشريف .

محمد محمود علي

الشعر السوداني في المعارك السياسية

١٨٢١ - ١٩٢٤ م 'صفحة (٢٤)

— ولاهل السودان رغبة شديدة في تحصيل العلوم حتى لقد يقصد بعضهم الازهر الشريف في مصر ويقضي السنين الطوال في تحصيلها وقد أنشئ لهم رواق في الازهر منذ عهد طويل يعرف برواق

السناييين وكلهم عادوا الى السودان فأنشأوا فيها مدارس للعلم .

نصيم شمسفير جغرافيا وتاريخ السودان صفحة (١٦٨)

— فالمعهد التركي كان من أظلم العهود على السودان ثقافيا ولولا بيوتات العلم والدين والأفراد القلائل الذين شقوا طريقهم الى الأزهر الشريف وحرسوا على تلك العلوم على أيدي بعض الأساتذة العائدين من الأزهر الشريف لما بقي شيء من التراث العربي .

محمد أحمد محبوب الحركة الفكرية في السودان صفحة (١٢)

لقد طس الأزهر الشريف متارا للوعي والاشعاع لأولئك السنين كان لديهم شعف وتعلق بدراسة قواعد الدين الحنيف والفقه الاسلامي اكثر من التعلق بالروحانيات وعلم الباطن والكشف ومن ثم فان من الخطا الزعم بان السودان كان معزولا عن العالم الخارجى أو عن مصر بصفة خاصة .

محمد عمر شمسفير — تاريخ الحركة الوطنية في السودان صفحة (١٥)

ولعل أول ما بدأ من علاقة ثقافية بين مصر والسودان بشكل واضح لا يحظره كل مطلع على تاريخ هذه العلاقة كان من العهد السناي من مملكة القونج الإسلامية منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادى فى هذا العهد وجد الوفود من السودانيين ترد مصر قاصدة موردها العذب ذلك هو الأزهر الذى أصبح جامعة اسلامية فيهملون من العلم ما أمكنتهم ظروفهم وما وسعت قدراتهم — ثم نجد وفودا من العلماء المصريين يفسدون الى السودان على طول الطريق وبعد متحشمين الصعاب فيقيمون فى السودان متخذين لهم تلاميذ ومعجيين من الدراسين يحيطون ويأخذون عنهم العلوم ولها يأخذون عنهم معارف أخرى من الحياة فى مصر ولا بد ان هؤلاء العلماء كانوا يشجعون تلاميذهم على الهجرة الى مصر ليأخذوا العلم

من مصدره ويردوا المحرض الروى فى مكانه فلما هم الا سواقى على شاطئ
البحسر .

د . ابراهيم الحارثي
الرباط الثنائى بين مصر والسودان
صفحة (٥)

الذى يهمنا قبل الدخول الى الطرق الصوفية ان نذكر ان اثر مصر
كان علميا أكثر منه صوفيا خالصا فكان من يذهب من السودان الى الأزهر
يعود بحصيلة ممتازة من العقيدة والتوحيد واللغة وكان من يهاجر من مصر
الى السودان ف فيها قبل أن يكون متصوفا أو فقيها متصوفا لا متصوفا فقيها
فى حين ان الطامع الصوفى كان يغلب على من جاءوا من المغرب أو العراق
أو الحجاز . . .

الدكتور عبد القادر محمود
الطوائف الصوفية فى السودان
صفحة (٩)

دارفور :

كان الفور ولا يزالون من أكثر سكان السودان حماسا لدينهم وكانوا
فى تاريخهم الطويل أصدب المسلمين عودا أمام هجمات الغزاة وضربات
الفاحين ولم تلى قسامهم قط أو تقترب عزائمهم أبدا بل كانوا دائما رجال
صبر وجهاد فى دين الله ودفاع عن حياض الوطن وكانوا قلعة حصينة
تفرق عليها راية الاسلام وانه من تقرير الحقيقة ان نذكر هنا ان دارفور
كانت دائما أول من يشور على الظلم والطغيان وآخر من يستسلم لجيوش
الفاحين ويصدق ذلك فى جميع العهود دون استثناء ولكن لابد لهذا من
سبب - كل ذلك كان بفضل القيادة الرشيدة والتوجيه المخلص الذى
كان يبثله علماء دارفور من خريجي الأزهر وانتشار الوعي الدينى بين
طبقات العامة -

محبوب زياة
الاسلام فى السودان صفحة (٨٧)

كان بعض السودانيين يذهبون الى الارهر ثم يعودون بعد تحصيل العلم ويلاحظ ان الأثر المصرى فى نشر الثقافة الاسلامية فى السودان قد يتميز بعض الشيء عن غيره بأنه ذو طابع علمى فى معظمه ، أعنى ان الذين تأثروا بالثقافة المصرية فى ذلك العهد اتجهوا الى تعليم الساس الفقه والتوحيد والبقعة وغيرها من العلوم .

د . عبد المجيد عابدين

تأريخ الثقافة العربية فى السودان ص ٥٩ (

ولا تغفل فى مجال الحديث عن الحياة الفكرية فى هذا العصر ان نذكر متعلمى الارهر وخريجيه من السودانيين ومنهم من حصل على أعظم الاحازات العلمية .

عز الدين الامين

تراث الشعب السودانى

صفحة (٤٤)

كذلك تطلع المونج (حكام سنار) الى الازهر فكان الملك بادي الأول (١٦١١ - ١٦١٦ م) على صلة بعلماء الازهر وكان يرسل اليهم الهدايا والصلوات وكان السودانيون يلتحقون بالازهر ثم يعودون الى بلادهم يعلمون اللغة والتوحيد والفقه حتى لقد أصبحت مملكة سنار المركز العلمى لشرقى السودان وغربه .

د . حسن ابراهيم حسن

انتشار الاسلام فى القارة الأفريقية صفحة (٢٢٩)

ان التعصب الدينى فى السودان وهى الكلية قمته فى حصيلته وتفصيله وفى نشأته وأدراكه فيض من الازهر فالسودانيون أخذوا يعودون على الازهر يحددون العهد لمصادر معارفهم ويلتحقون بمركز الثقافة الاسلامية الشامخ الذى انتهت اليه عليها ليعودوا يعلمون العقائد والفقه والتفسير والحديث والعلوم العربية - فمنهم من كان المشاعل بعينه ان عادوا من شمال الوادى عملا بقوله تعالى : لولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون .

الآية ١٢٢ من سورة السوبة

ومنهم من أثر البقاء في القساورة ليقوم بالتدريس والتعليم بعد
ان علم . . .

ان كلية الدراسات العربية والاسلامية لن تفسى الفضل الذي
اولستموها حين تفضلتم بالمواقفة على اعارة صعوة مختارة من أساتذة جامعة
الأزهر ومعاهده وحين تفضلتم موافقتهم على منح طالبتها ست منح للدراسات
العليا بكلية البنات الاسلامية وهي ترجو دوام هذه الرعاية الكريمة ومواصلة
المدد في اعارة الجهادة من علماء الأزهر ومنح نوابح الحريجين فيها مسحا
للدراسات العليا بجامعة الأزهر وسنكون لزيارتكم هذه اعظم الاثر في
تقوية الروابط الثقافية الازلية الابدية ان شاء الله .

واذا كان النيل المبارك قد دأب يحمل في مسيرته من الجنوب الحبيب
والرخاء والحياة الى الشمال فقد دأب الشمال ممثلا بصفة خاصة في الأزهر
الشريف ان يجري الجنوب ما يعادل الحياة من المعارف الانسانية السامية
والثقافية الاسلامية العالية .

لقد اتفق على السوداني في مطلع هذا القرن وجه الامام الشيخ
محمد عبده وقد احد الاستعمار يحكم عليهم القيود المرفقة فأوحى اليهم
بالعزة الاسلامية وكانت زيارته شرارة الحركات التحريرية فيما بعد
فلتكن زيارتك الكريمة معنا لروح الاصلاح الديني الذي عمل له وامتاز به
الامام محمد عبده ودعا لنهضة التعليم الديني في السودان وعونا على
احياء التراث الاسلامي والحفاظ على القيم الاسلامية .

من كلمة الأستاذ محمد المبارك عير الله .

شيخ علماء السودان ومدير كلية الدراسات العربية والاسلامية -
نخبة للامام الأكبر محمد الفحام شيخ الأزهر الأسبق عند زيارته
للسودان .

خاتمة

فى مستهل القرن السادس عشر للميلاد وعلى وجه التحسديد عام ١٥٠٤ قامت فى السودان دولة سنار وكان أصحابها يطلقون عليها السلطنة الزرقاء (١) كذلك سميت سلطنة الفونج الى الاسرة الحاكمة .

قامت دولة سنار بفضل تحالف القبائل العربية النازحة التى استوطنت السودان مع أسرة سودانية حاكمه كانت تقطن فى الجزء الجنوبى الشرقى على حدود أثيوبيا ويزعم شيوخ تلك الاسر انهم ينتمون أصلا الى بنى أمية تركوا ديارهم بعد سقوط دولتهم وقيام دولة بنى العباس واختلف المؤرخون فى أصلهم هذا ولكن السائد صحة زعمهم بأنهم يرجعون الى بنى أمية لقد قضى ذلك التحالف على الدولة المسحية فى السودان وأصبحت البلاد جميعها تدين بدين الدولة الجديدة وهو الاسلام والسودان الجنوبى بالطبع لا يدخل فى هذا النطاق اذ لم يستكشف الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى العهد التركى على السودان .

لقد قامت دولة سنار الاسلامية قبل أقل من خمسة قرون وما يقرب من ألب عام من قيام الدولة - الاسلامية فى مصر وهى فى تاريخ حديث بالنسبة لدخول الاسلام فى مصر أو أى بلد عربى آخر ولذلك يمكننا القول ان بلدنا حديث عهد بالاسلام .

(١) الزرقاء يقصد بها السودان .

ظهرت الدولة السودانية الاسلامية الى حير الوجود بعد ما حلت
بالعالم الاسلامي كوارث عدة على رأسها سقوط بغداد في المشرق وخرطبة
والاندلس في المغرب وبعض ان تمزق الى دويلات ثم جثم الحكم التركي
العثماني على صدره وسعى سلاطين آل عثمان ليتولوا رعاية الامة الاسلامية
ويروى ان السلطان سليم القائد التركي بعد ان تم له فتح مصر قدم الى
سواكن وهم يعرو سنار (١) خاطب ملكها عماره دونقس يدعوه الى الطاعة
فرد عليه بما مفاده (اني لا اعلم ما الذي يحملك على حربي وامتلاك بلادى
فان كان لأجل تأييد الاسلام فاني وأهل مملكتي عرب مسلمون ندين
بدين رسول الله وان كان لغرض مادي فأعلم ان أكثر مملكتي عرب باعية
وقد هاجروا الى هذه البلاد في طلب الرزق ولا شيء عندهم تجمع منه حرية
سوية) وأرسل له مع الكتاب اسباب قبائل العرب الذين في مملكته حمعه
له الامام السمرقندي أحد علماء سنار ويقال ان السلطان سليم عدل
عن غزو سنار بعد ان وصله الكتاب والانساب وأخذها معه ولا تزال في
حزاة اسطنبول .

استمرت دولة سنار أكثر من ثلاثة قرون شهدت فيها وعاصرت
احداثا حساما حيث انتقل مركز الثقل الحضاري الى أوروبا بعد عصر
النهضة وما صاحبه من تطور كبير في ميران السياسة والثقافة والعكر
وتسلمت أوروبا مقود السياسة الدولية بعد ان ظل قرونا عند المسلمين .

ان تاريخ الثقافة العربية الاسلامية في بلادنا جزء لا يتجزأ من تاريخها
في البلاد العربية الاسلامية الاخرى ولعل من ابرز ظواهر الحضارة العربية
انها لم تنقطع بل ظلت تواصل سيرها على مدى عدة قرون في ثلاث قارات
آسيا وأفريقيا وأوروبا وفي تبادل ثقافي اسلامي متصل فكانت الكتب
تنسخ وتنتقل من المشرق الى المغرب وإلى السودان في أفريقيا وكان العلماء
والفقهاء يتنقلون من بلد عربي واسلامي لآخر يؤدون دورهم ورثة الانبياء
وينشرون العلم في كل بلد رحلوا اليها وكان المسلمون وهم مدغمون بتعاليم
القرآن وحديث الرسول صلعم يهاجرون من بلادهم طلبا للعلم كان الدرب
مطروحا وممهدا دون حواجز سياسية أو دينية أو لغوية من فارس والعراق
الى الشام ومصر والاندلس وأصبحت للثقافة الاسلامية وللغة العربية مكانتها
وسيادتها وأضحى الاسلام دين العقل ووسيلة لتوحيد تلك الشعوب

(١) نوح شقير - تاريخ وجغرافية السودان جبعة بيروت ص ٣٨٩ .

وائتلافها وأساس حصارة تقديمية نهل عنها الغرب وتفتحت عيونهم ومداركهم عليها .

ازدهرت الثقافة الإسلامية في السودان بفضل هؤلاء العلماء الوافدين اليه من الأزهر أساسا والبلاد العربية الأخرى وبفضل العلماء السودانيين الذين تخرجوا في الأزهر وأبائعهم وتلاميذهم الذين أخذوا العلم منهم وأصبح السودان موئلا لكثير من العلماء والمواطنين العرب الذين تركوا ديارهم في المشرق لتمصف الحكام وفهرهم ومن العرب خاصة تحت سيطرة المسيحيين الكاثوليك على الأندلس وتكليفهم بالمسلمين واجبارهم على اعتناق المسيحية وطرد ما يقرب من نصف المليون الذين أثروا ان يظلوا على دينهم وهاجر كثير من هؤلاء أولئك الى البلاد العربية ومنها السودان ولقوا من المعاملة الكريمة وحسن الوفادة مما جعلهم يتخذونهم مستقرا لهم .

لقد شيدت في البلاد مساجد كبرى وخلوى وزوايا في الشمال وأرض الجريرة والسيل الأبيض يؤمها الطلاب وقد تفرغ أولئك الرواد من العلماء والفقهاء واسقطوا لتعليم الناس وارشادهم وكانوا قد عرفوا علم الكلام والمنطق وأصول الفقه على مذهب مالك وبعضهم على مذهب مالك والشافعي كما وقفوا على الكتب المتداولة لكبار العلماء الإسلاميين في زمانهم ومن سبقوهم كان الطالب يبدأ بحفظ القرآن أولا حفظا جيدا مجودا ثم يتجه لدراسة علوم الفقه على مذهب مالك وعلم التوحيد واللغة العربية واللغة العربية وأدبها بالإضافة الى العلوم الاخرى كالرياضيات والعدك والتاريخ الإسلامي ومنهم من لم يكف بذلك بل يذهب الى مصر لينهل من ازهرها الشريف ثم يعود عالما مرموقا .

وكان العلماء يؤلمون الكتب في المقائد والشروح والجواشي وكانوا ينسخون الكتب الكبرى ويوزعونها لتعم الفائدة وقد لاحظ الرحالة السويسري بيركهاردت الذي زار السودان عام ١٨١٣ أنهم ينسخون الكتب في خط انيق لا يقل روعة عن المخطوطات التي رآها في القاهرة غير ان كتبهم التي ألغوها أو نسحوها أو احتفظوا بها في خزائنهم فقدت أما في حملة الدكتور دار الدموية المسعورة على طول البلاد وعرضها انتقاما لمقتل اسماعيل باشا قائد الجيش التركي الذي فتح البلاد عام ١٨٢٢ م وقمعا للثورة التي أشعلت البلاد ضد الحكم التركي الجديد حيث ترك الناس ديارهم وتفرقوا أبدى سببا أو بسبب تآكل الكتب وتلفها حتى أنت الثورة المهسدية (١٨٨٥ - ١٨٩٨) ففضت على البقية الباقية من الكتب واحرقت بأمر الامام المهسدي .

وحرق الكتب هذا ليس جديداً في التاريخ الاسلامي فقد أحسق المالكية في اشبيلية والأندلس مكتبة ابن حرم الأندلس في القرن العاشر لليلاد بل حتى احياء علوم الدين للغزالي أحرق في قرطبة .

لقد ظهر علماء سودانيون علاصيتهم في الداخل والخارج وقصدهم طلاب العلم من شرق أفريقيا وغربها ومنهم من ذهب الى غرب أفريقيا يعلم الناس هناك وأصبحت مسار مركزاً رئيسياً للعلم في أفريقيا وكانوا على اتصال مع وصفاتهم في الأزهر يجادلونهم ويعرضون عليهم بعض القضايا التي يختلفون عليها .

لقد حلت البلاد بحركة علمية عظيمة بنعت أوجها في القرن السابع عشر وكان الملوك والسلاطين يفتقون على العلماء ويجزلونهم العطساء ويستجيبون لكل مطلبهم وقامت تلك البيوتات الدينية بنشر العلم والثقافة الاسلامية القائمة على الكتاب والسنة تحافظ عليها هذا ومازال كثير من تلك البيوتات الدينية تضطلع بذلك الدور الى يومنا هذا ثم شهدت بلادنا علاقة أوثق بمصر بعد أن حضعت البلاد لحكم محمد علي وأسرته وأصبح الطريق الى الأزهر سهلاً مطروقاً وحل ببلادنا مصريون أزهريون منهم من حظى بالسفر الى أوروبا ضمن بعثتي محمد علي باشا الى هناك ودخل ما يسمى بالتعليم النظامي الذي كان يحمل طابعا حضاريا وثقافة حديثة على أسس ما كان يجري في أوروبا وسار ذلك التعليم جنبا الى جنب مع التعليم الديني .

ثم قامت الثورة المهدية متأثرة بما كان يجري في العالم الاسلامي من ثورات ودعوة الى العودة الى منابع الاسلام الأولى ونظرة اجتهادية الى إقامة مجتمع اسلامي معاف وانخرط في صفوفها كثير من العلماء - السودانيون الذين تخرجوا في الأزهر وشغلوا فيها مناصب كبرى كما أيدها وساندها الامامان جمال الدين الأفغاني - ومحمد عبده وعطف عليها كثير من علماء الأزهر وقتل في سبيلها والدعوة لها أحد علماء الأزهر الذي نفى الى الخرطوم بعد اشتراكه في الثورة العربية وهو العالم الأزهرى أحمد المروم ولكن الثورة المهدية لم تسر الى نهايتها التي من أجلها قامت ولقيت فتحها أمام الاخطبوط الاسنهابارى البريطاني .

لقد أتى الحكم البريطاني على السودان بعد معركة كررى المعروفة في سبتمبر سنة ١٨٩٨ .

أتى يحمل معه ثقافتين متباينتين ثقافة هي نتاج الثورة الصناعية

الأوربية واحد يقرضها على الناس بطرف شتى فيها الترغيب وفيها الترغيب وثقافة شرقية دينية سملها الاساقفة المصريون على نحو ما ذكرنا وتعلق السودانيون في بادئ الأمر بثقافتهم الاسلامية الموروثة ولكن شيئا فشيئا وأثر السيطرة الأوربية على الدول المستعمرة وفرض لغة الحاكم سيطرت الثقافة الأوربية على مصر والبلاد العربية وكانت مصر دائما ابدا نافذة السودان للعصر والثقافة العالمية وحرص المطابع تقتطف كتبها ومؤلفاتها وتظهر في مصر مثقفون درسوا في الاوراسيا يحبون بالثقافة الأوربية الجديدة كطه حسين واحمد الزيات وركي مبارك والمعلوطي والكثير عرهم وكان هناك الكاتب الكبير عباس محمود العقاد وتأثر جيل من السودانيين بهم وساروا في خطاهم ففقدوا لا محذور . وأقبلوا على انهاء الكتب الانجليزية والمرجمة من اللغات الأخرى ووجدوا بذلك موردا ثقافيا آخر غير ما ألفه آباؤهم .

ولعلني انتهر هذه العرصة لانقل لكم بالحرف الواحد بعضا من مقدمة الاستاذ محمد فريد أبي حديد عام ١٩٤٨ لديوان الشاعر السوداني محمد سميد العباسي مما يوضح ثقافة السودان ولغته العربية الخالصة التي تلقاها عبر مجاز محدده أولها وأساسها الازهر الشريف .

يقول الأستاذ أبو حديد :

وكننت قد رأيت نخبة من فصلاء أدباء السودان وقرأت لهم وسمعت منهم وكننت في كل مرة أزداد ايمانا أن الصور التي تلبس في شعرهم تبعث عن فن أصيل وعن نبج فياض بل لقد ذهب بي الخاطر أحيانا الى أن الملح في شاعر السودان أديبا أبعد أصلا في العروبة من سائر الأدباء .

لقد سمعت في شعر السودن البدوي وفي أهاليه الشعبية من صبيح الإلفاظ ومن صور التعبير ما لا يتوفر الا لقوم لهم لسان عربي أصيل من أرومة بدوية عريقة - لقد سمعت في السودان من شعراء الشعب قوما ينطقون لسانا للناس بما لا يدركه في غير السودان الا المتأدب المتوقر في دراسة اللغة فهو يشهد للناس بلغة عامية متحدنا عن الشادن والاسد والرحال والمسابر وما أظن عامة شعب عربي آخر تدرك لهذه الإلفاظ معنى من ذلك ذهب بي الخاطر أحيانا الى أن أهل السودان العربي انما ينطقون بلسان قديم ويفترقون العروبة من أصل أصيل عبر البحر الأحمر .

ملاحق

الاجازات العلمية

الاجازة الاولى : (١)

منحها العالم السوداني الشيخ عبد الرحمن بن جابر الذي درس على الشيخ البوصري في مصر لتلميذه الشيخ ابراهيم بن أم رابعة .

« ... أما بعد فإن الأخ الفقيه الصالح المأدب الموضع الشيخ ابراهيم بن أم رابعة استحق السيادة والامامة عندي وجعلته قطبا في مكانه ولسانا في عصره وترجمانا في أوانه ومريسا للمريدين وقُدوة للمسترشدين وملجأ للفقراء والمساكين مظهرا شمس المعارف بعد غروبها فاذنته في كل ما حقق نقله وسمعه مني أن يفشيه ويعلمه الناس محصيا وقد أذنت له بأشهارها وأشهار ما فيها وقشييع ما أشرنا اليه ... تاريخ اثنين وثمانين وتسعمائة من الهجرة النبوية (٢) »

الاجازة الثانية : (٣)

أجازها الشيخ على الاحموري شيخ الاسلام بمصر آنذاك لطالبه الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم والد العالم السوداني المعروف الشيخ خوجلي وقد جاء في الاجازة .

« ... أما بعد فقد قرأ على الشاب العاضل والنحرير الكامل الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم بن أبي ملاح الكباني تسببا والبري بلدا عقيدتي التي ألفتها في أصول الدين والتصوف وشرحها قراءة جيدة نافعة إن شاء الله وحضر قراءتي في مختصر العلامة الشيخ خليل في فقه المالكية في نحر مصنف الكتاب المذكور قراءة بحث وتحقيق دلت على بهاءه وفقهه

(١) و د . صيف الله - الطغوات - نسخة ابراهيم صديق ص ٣٣ .

(٢) المواقي ١٥٧٤ م .

(٣) و د . صيف الله - الطغوات - نسخة ابراهيم صديق ص ١١٦ .

بالكتاب المذكور وقد استعرب الله واجزته بما ذكر وبجميع ما يجوز لروايته بشرطه سائلا من الأيسمانى من الدعاء بسعادة الدارين والدعاء بالرحمة لامواتنا وأموات المسلمين جعله الله من العلماء العاملين ووفقه لما يحبه ويرصاه فى القول والعمل وجعله من عباده المحلصين ونفع بعلمه المسلمين بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

« - كتب فى آخر ذى الحجة حتام سنة ثلاثين بعد الألف » (١) .

الاجازة الثالثة : (٢)

متحها الشيخ محمد عيش للشيخ أحمد البدوى وكان الشيخ عيش شيخا على المالكة بالازهر . وقد ناصر الثورة العربية حيث مات سجيناً عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م : يقول الشيخ عيش .

« . . . قد من الله على بصحة الشيخ المبارك أحمد بن الشيخ محمد ابن الشيخ أحمد بن الشيخ عيسى السنارى المشهورين بالعلم والصلاح والبركة مدة عديدة وشاركى فى كتب عديدة فى فتون من العلوم الشرعية وآلها ولما أراد العود الى وطنه الشمس من الاجازة طبا منه الى من أهل ذلك وأنا ميقن انى لست ممن سلك تلك المسالك ولكن جبر حطره ورحاء يركته حملانى على اجابته فقلت أجزت أخى المذكور بما سمعته منى وغيره مما اجازنى به أشياخى ضاعف الله لهم الأجور موصيا له بملازمة التقوى فانها للفلاح السبب الاقوى والا يسئالى من صالح دعوائه فى جلوانه وحلوانه ضارعا للمولى الكريم ان يمن علينا بالخير العليم وان يتجنتنا من العثر والأهوال وان يصنع لنا ولاخواننا الأحوال وأن يختم لنا بخاتمة السعادة وأن يجعلنا من لهم الحسنى وريادة الذين دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحببتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين » .

وقد حصل هذا العالم السودانى على اجازتين أحريين واحدة من الفقه الشافعى من الشيخ ابراهيم الباجورى شيخ الازهر المتوفى عام ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ والآخرى من الشيخ أحمد حلى الحنفى .

(١) التوفى ١٦٢٢ م .

(٢) عر اندى الامى - فريه كنز بى وانرها العلى على السودان ص ٧٦ .

المراجع

اللغة العربية

- ١ - الاسلام والحضارة - محمد كرد علي
- ٢ - التمدن الاسلامي
الجزءين - الرابع والخامس - جرجي زيدان
مطابع مؤسسة دار الهلال
١٩٦٨
- ٣ - الازهر تاريخه وخطوره - وزارة الاوقاف المصرية
الاتحاد الاشتراكي العربي
دار مطابع الشعب
- ٤ - تاريخ الازهر في ألف عام - سنيه قراعه
مكتب الصحافة الدولي
يوليو ١٩٦٨
- ٥ - مصر الاسلامية - محمد عبد الله عنان
مطبعة لجنة التأليف
١٩٦٩ - الناصر
مكتبة الخانجي القاهرة
- ٦ - مصر في فجر الاسلام - سيده كاشف
- ٧ - تاريخ الجامع الازهر - محمد عبد الله عنان
- ٨ - كتاب الطبقات - للفقير محمد ضيف الله
نسخة ابراهيم صديق
المكتبة الثقافية
بيروت

٩ - كتاب الطبقات جامعة الخرطوم - لتلقيه محمد ضيف الله - تحقيق
وتقديم د . يوسف فضل

دار الطباعه للتأليف والنشر
جامعة الخرطوم ١٩٧١

١٠ - تاريخ السلطنة السنارية - تقديم وتحقيق الشاطر بصيلي
والادارة المصرية - مخطوطة
أحمد بن علي كاتب الشوقه
وزارة الثقافة والارشاد
المصري - ١٩٦٦

١١ - جغرافيه وتاريخ السودان - نعوم شقير
دار الثقافة - بيروت

١٢ - مشيخة العبدلاب - محمد محي الدين

١٣ - التربيّة في السودان - د . عبد العزيز عبد المجيد
ج (٢) و (٣) - المطبعة الاميرية
القاهرة - ١٩٤٩

١٤ - السودان في قرن - د . مكي شبيكه

١٥ - النداء في دفع الاقمرء - محمد عبد الرحيم

١٦ - السودان بين يدي - ابراهيم فوري
غردون وكنتشر

١٧ - تاريخ السودان الحديث - صرار صالح ضرار
١٩٦٤

١٨ - تاريخ سودان وادي النيل - د . شوقي الجمل
ج (٢) مكتبة الانجلو المصرية
١٩٦٩

١٩ - حركة الترجمة في مصر في - حاك تاجر
القرن التاسع عشر

٢٠ - مباحث الألسان المصرية في مباحث الادارة العصرية - طبعة ثانية
١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م رفاعة رافع الطهطاوي .

٢١ - تطور القضاء في السودان - حسين سيد أحمد المفتي

- ٢٢ - قرية كترانج وأثرها العلمي - عز الدين الأمين
على السودان - دار الطباعة
جامعة الخرطوم - ١٣٩٥/١٩٧٥ م
- ٢٣ - جهاد في سبيل الله - اعداد عبد الله محمد أحمد
الخرطوم ١٩٦٥
- ٢٤ - شيخ الاسلام - ابراهيم عبد الرزاق
العكي الأمين الضرير
مكتب النشر - الخرطوم
- ٢٥ - نقات اليراع - محمد عبد الرحيم
- ٢٦ - وقفات مع العباسي - عبد القادر القبيع ادريس
دار الفكر السودانية ١٩٧٠ (٩٠ هـ)
- ٢٧ - تطور التعليم في السودان - محمد عمر بشير
مترجم عن الانجليزية - دار الثقافة
بيروت - ١٩٧٠
- ٢٨ - تاريخ الثقافة العربية - د . عبد المجيد عابدين
في السودان - دار الثقافة
بيروت - ١٩٦٧
- ٢٩ - أصول الشعر السوداني - عبد الهادي الصديق
المجلس القومي لرعاية الآداب
والفنون - الخرطوم
- ٣٠ - التصوف الاسلامي - د . ركي مبارك
ج (١) و (٢) - المكتبة العصرية
صيدا - بيروت
- ٣١ - الشعر الحديث في السودان - د . محمد ابراهيم الشوش
معهد الدراسات العربية -
جامعة الدول العربية ١٩٦٢
- ٣٢ - بحث الشعر السوداني - عز الدين الأمين
معهد البحوث والدراسات العربية
جامعة الدول العربية ١٩٦٩

٣٣ - الشعر السوداني في المعارك السياسية - محمد محمد علي
١٨٢١ - ١٩٢٤ - مكتبة الكليات الأهلية - مطبعة النهضة
القاهرة ١٩٦٩

٣٤ - تاريخ الحركة الوطنية في السودان - محمد عمر بشير
الدار السودانية للكتاب
١٩٧٨ - مترجم عن الانجليزية

٣٥ - نابعه الشرق - السيد جمال الدين الأفغاني - محمد سعيد
عبد المجيد دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (سعيد الأفغاني)
القاهرة - ١٩٦٧ م - ١٣٨٦ هـ

٣٦ - الامام محمد عبده - سلسلة اعلام الاسلام - عبد الحليم الجندى
دار المعارف

٣٧ - الاسلام في السودان - وزارة الشؤون الدينية
مكتبة الثقافة الاسلامية والاوقاف - جمهورية السودان

٣٨ - الادارة البريطانية والحركة - د . جعفر محمد علي بحيث
الوطنية في السودان
مترجم عن الانجليزية
دار الثقافة - بيروت - ٧٢

٣٩ - تاريخ الشيخ محمد عبده - السيد محمد رشيد رضا
٤ - الرباط الثقافي بين مصر والسودان - د . ابراهيم الحارثي
دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٧٧ -

٤١ - المعائن في أخبار وآثار - عبد الحميد أبو القاسم
شيخ الاسلام أبو القاسم أحمد هاشم
دار جامعة الخرطوم للنشر
مطبعة جامعة الخرطوم

٤٢ - مذكرات وذكريات - محمد المبارك عبد الله
مطبعة محمد علي صبيح ١٩٧٢
الجزء الاول

- ٤٣ - انتشار الاسلام في ... د . حسن ابراهيم حسن
القارة الافريقية
مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣
- ٤٤ - الحركة الفكرية في السودان - محمد أحمد محجوب
- ٤٥ - الطوائف الصوفية في ... د . عبد القادر محمود
السودان - مطبعة مصر (السودان)
١٣٩١ هـ - ١٩٧١
- ٤٦ - مع التعليم الديني في السودان - محمد المبارك عبد الله
الجزء الثالث - المجلس الاعلى .
للمشئون الدينية والاوقاف
الخرطوم - رجب ١٤٠٠ هـ - يونيو ١٩٨٠
- ٤٧ - دراسات في تاريخ السودان ج (١) - د . يوسف فضل
دار التأليف والترجمة والنشر -
جامعة الخرطوم - ١٩٧٥
- ٤٨ - مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في
المصور الوسطى - حققها وكتب حواشيها د . مصطفى محمد
مسعد
مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم
١٩٧٢
- ٤٩ - امتداد الاسلام والعروبة - د . مصطفى محمد مسعد
الى وادى النيل الاوسط - مستخرج من
مجلة الدراسات التاريخية - الجمعية المصرية العدد الثامن ١٩٥٩
- ٥٠ - اولاد حابر - د . سراجتم عثمان
- ٥١ - العربية في السودان - عبد الله عبد الرحمن
دار الكاتب اللبناني
بيروت ١٩٦٧
- ٥٢ - الاسلام في السودان - محجوب رياده
سلسلة اقرا -

- ٥٣ - سعادہ المستہدی بسیرہ -
المہدی - للشیخ اسماعیل عبد القادر د . محمد ابراہیم أبو سلیم
الکردفانی
- ٥٤ - جمرہ الاولیاء ج (١) و (٢) - السید محمود أبو الفیض
مؤسسہ الحلبي وشركاه
١٣٨٧ ھ - ١٩٦٧ م
- ٥٥ - عصر سلاطین المالیک - محمود رزق سلیم
ونتاحہ العلمی والأدبی - المجلد
الثالث - المطبعة النموذجية
الحلمية الجديدة ١٩٤٩ - الناشر
مکتبة الآداب بالجماہیز
- ٥٦ - دیوان توفیق صالح جبریل
- ٥٧ - الشعر القومي فی السودان - د . عز الدین اسماعیل
دار العودة - بیروت
- ٥٨ - الدعوة الى الاسلام -
سیر توماس اربولد
مکتبة النهضة المصرية
١٩٧٠ واسماعیل السحراوی
- ٥٩ - البيان - مجلة ثقافية
العدد العاشر ١٩٧٨
وزارة الشؤون الدينية
والاوقاف السودانية
عدد خاص عن القرآن الكريم
- ٦٠ - صاعو الاریح العربی -
منسب حسی - دار الثقافة -
بیروت ١٩٦٩
- ٦١ - مملكة الفرج الإسلامية - د . مکی شبيبک
معهد الدراسات العربية
جامعة الدول العربية
١٩٦٣/١٩٦٤

٦٢ - تاريخ اللغة العربية في مصر - د . أحمد مختار عمر
الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

٦٣ - السلالات العربية في السودان - التيجاني عامر
دار الفكر - الدار السودانية

٦٤ - ديوان العباسي
مطبعة الكيلاني الصغير - مصر - للشاعر محمد سعيد العباسي
١٩٤٨

اللغة الانجليزية .

- Islam in the Sudan — J. S. Trimmingham Frank Cass doolia.
1965.
- The Influence of J. S. Trimmingham Islam Upon Africa.
(Longman) — 1968.
- A History of Islam .
In West Africa — J. S. Trimmingham (Oxford Paper lacks).
Oxford University Press 1970.
- The Arabs in History ; Arrow Books — — Prof Bernard
Lewis Anchor Press 1954.
- Modern Egypt — Earl of Cromer Vol. 11
McMillan and Coita, 1908.
- A History of The Arabs. H.A. MacMichael in The Sudan,
Vol. 1 and 11.
Frank Cass and Co Ltd.
- A Biographical Dictionary — of The Sudan, Richard Hill
F. Cass and Coita — 1967.
- Travels in Nubia - John Lewis Burckhardt London - 1819

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدم	٣
العرب ووادي النيل	٥
السودان وبداية انتشار الاسلام	١٤
نواة التعليم الدينى المنظم	١٩
الرواد السودانيون من متخرجى الأزهر	٢٦
العلماء المصريون الأزهريون فى السودان	٣٢
مؤلفات العلماء السودانيين	٣٤
الأزهر والقضاء والعناوى فى سلطنة سنار	٤١
سلطنة دارفور والأزهر	٤٤
الحكم التركى فى السودان	
(١٨٢١ - ١٨٨٥ م)	٤٩
اشيغال اسماعيل باشا	٥١
الطلاب السودانيون يقبلون على الأزهر	٥٥
متخرجو الأزهر السودانيون فى العهد التركى	
[١٨٢١ - ١٨٨٥ م]	٥٨
مدرسة الخرطوم الابتدائية	٦٣
احتفال مدرسة الخرطوم فى الوقائع المصرية	٧٠
القضاء فى العهد التركى	٧٢
علماء سودانيون يوايح درسوا على متخرجى الأزهر	٧٥
متخرجى الأزهر فى التسوره المهديّة [١٨٨٥ - ١٨٩٨]	٨٢
فقهاء متصوفون	٨٩
المرأة السودانية والتعليم الدينى قديما	٩٦

الموضوع	الصفحة
الشعب السوداني	٩٩
دور الأزهر إبان الحكم البريطاني [١٨٨٩ - ١٩٥٥ م]	١٠٣
الأساتذة المصريون والنشاط الاجتماعي	١١٦
التعلم الديني	١٢٣
المعهد العلمي بالسودان	١٢٧
جامعة أم درمان الإسلامية	١٣٢
يد الأزهر البيضاء تمتد إلى بييجيريا عبر السودان	١٣٤
إحصائية عديدة عن الطلاب السودانيين في الأزهر	١٣٧
شعراء السودان يلهجون بذكر أساتذتهم المصريين	١٤٤
هؤلاء قالوا عن أثر الأزهر على السودان	١٥٣
خاتمة	١٥٨
الملاحق	١٦٣
المراجع العربية	١٦٥
المراجع الأجنبية	١٧١

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٤/٨٨٠٣

ISBN ٢ - ٥٦١ - ٠١ - ٩٧٧ -

هذا الكتاب الأول من نوعه يصدر عن دور الأزهر الشريف في قطر
شقيق - السودان الأمر الذي ظل خافياً على كثير من المواطنين في وادي
الجيل والبلاد العربية .

والكتاب تسجيل مبدئى لما قام به العلماء الأزهريون - سودانيون
ومصريون - في نشر الثقافة الإسلامية في السودان .

ولعل مما يلفت النظر الإشادة الطيبة والثناء المستطاب الذي ظل
الأدباء والشعراء السودانيون يؤكده له نحو أساتذتهم الأزهرين اعتزالاً منهم
بجميل صنعهم منذ الزمن الغابر وإلى يومنا هذا .

To: www.al-mostafa.com